هزة غزة

هزة إيمان واعتقاد وعزة

السيد مراد سلامة

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هزة غزة

هزة إيمان واعتقاد وعزة

تأليف أبو همام

الشيخ السيد مراد سلامة

الناشر المكتبة المرادية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧]

كتاب قد حوى درراً بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهاً حقوق الطبع محفوظة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الناشر
المكتبة المرادية
سنة النشر ٢٠١٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعين ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلا له ، ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله .

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]

وقال تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد – ﷺ – وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار :وبـــــــــعد :أخي المسلم أختي المسلمة في هذه الصفحات نعيش مع أهل العزة و الإباء و التضحية و الفداء من جاد بنفسه و حمل روحه على أكفه ليكف أكف اليهود الذين لا عهد لهم و ذمة و نعيش مع الذين علموا الدنيا معنى الفداء و التضحية ، مع من علموا الدنيا معنى الصمود و الإقدام ،الذين سمت أهدافهم و علت هممهم و كان لسان حالهم

رضينا بلك اللهم ربا و خالقا و بالمصطفى المختار نورا و هاديا

فإما حياة نظم الوحي سيرها و إلا فموتا لا يسر الأعادي

إن قضية غزة و ما يدور فيها من أحداث دامية ليس أمراً غريبا و ليس مراً مستعجبا فتلك سنة الله تعالى في خلقه إنها سنة المدافعة بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان ليجتبي الله تعالى من خلقه صفوت الشهداء و الأولياء و ليمحص المؤمن من الكافر و المنافق{ وَلَا تَهِنُوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)آل عمران }فتلك سنة الله و لن تجد لسنة الله تبديلا ، و ليعلم الجميع أن الظلم مهما طال لابد من بزوغ فجر النصر و العدل فالتاريخ الإنساني منذ آدم و حتى هذه اللحظة مليء بالأحداث الجسام التي تشبه أحداث غزة و العراق و تكون العاقبة للمؤمنين المجاهدين

تالله ما الدعوات تهزم بالأذى ** أبدا و في التاريخ بـر يميني

ضع في يدي القيد ألهب أضلعي ** بالصوت ضع عنقي على السكين

لن تستطيع حـصار فكري ساعة ** أو نزع إيماني و نـور يقيني

فالنور في قلبي وقلبي في يدي ربي ** و ربي ناصري و مـعيني

إن الملحمة الدائرة في غزة مصدر للإيمان و العزة فيها من الدروس و العبر و الفوائد ما يعجز العاقل عن حصرها أو الوقوف على الحكمة منها و إليك أخي الحبيب بعض الدروس الإيمانية و العقدية من خلال أحداث تلك الملحمة

الفصل الأول: قطاع غزة : لمحة جغرافية وتاريخية

الفصل الثاني : لن ينكسر أهل الشام و إن تكالب عليهم اللئام و جاء هذا الفصل ليفصل في القضية و ليوضح لجميع البشرية تلك الحقيقة التي بينها لنا رسولنا – صلى الله عليه و سلم بأن الطائفة المنصورة التي ستظل على الحق و إن تآمر عليها المتآمرون و إن خذلها المتخاذلون موجودة في تلك البلاد أعني بلاد الشام فعمود الإيمان و الإسلام و القران ضع في تلك الديار المباركة

الفصل الثالث : أزمة أُمة و في هذا الفصل أوضحت أن أزمة الأمة ليست أزمة مالية و لا عسكرية و لا سكانية و لكنها أزمة عدم وجود القائد الرباني الذي يقود الأمة إلى الخروج من تيه الذل و الهوان و دللتُ على ذلك بأمثلة عديدة من خلال التاريخ الحافل بالرجال الذين جعل الله تعالى النصر و التمكين على أيديهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع :سنن : الابتلاء ، التمحيص ، : و بينت في هذا الفصل أن سنن الله تعالى في عباده ثابتة لا تتغير ولا تتبدل فمن أعظم تلك السنن سنة الابتلاء أن يبتلي الله المؤمنين بالكافرين و المنافقين و ذلك لحكم عليّة و غايات جلية بينتها هنالك

الفصل لخامس : إحياء روح الجهاد في سبيل الله في نفوس الأمة

و كشفت الغطاء عن تلك الحقيقة التي أحيتها أحداث غزة الشموخ في نفوس الملايين من أبناء الأمة إنها حقيقة الجهاد الذي طالما العدو اللدود يحاول أن يصف أهله بالتطرف و الإرهاب حتى كادت تلك الروح أن تنطفئ في نفوس أبناء الأمة فلما حدثت أحداث غزة هزت الأمة هزت عنيفة أحيت الأمة من ثباتها و جعلت الملايين يهتفون و يرددون " الجهاد في سبيل الله أسمى أمانينا " ثم بينت للقارئ منزلة الجهاد و فضله و مكانة المجاهدين عند رب العالمين

الفصل السادس: شهداء غزة زيادة في رصيد أهل العزة و جاء ذلك الفصل ليزداد رصيد الأمة من الشهداء الذين نالوا تلك المنزلة التي كاد معينها أن يجف لولا تلك الأحداث التي جعلت دماء هؤلاء الشهداء تغزي أغصان الشهادة في سبيل الله تعالى

الفصل السابع: هزت غزة أحيت عقيدة الولاء و البراء في الأمة و جاءت هزت غزة لتقبل الموازين على وجه الغرب الكالح الذي حاول أن ينتزع أوثق عرى الإيمان من قلوب الأمة و يجعلها مسخا إمعة فحاول كثيرا في شتى مناحي الحياة أن يُبعد المسلم عن عقيدة الولاء و البراء تحت مسمى تقارب الأديان و حوار الحضارات و الإنسانية و التطبيع حتى كادت روح الولاء و البراء أن تزهق لولا فضل الله تعالى فما بذله الغرب في سنين جاءت أحداث غزة لتهدمه على رءوس بناته في لحظات فأصبح وجه الغرب في نفوس أبناء الأمة رجالا و نساء شيوخا و أطفالا :أن عدوك هو عدو دينك فرفرفة روح الولاء و أثمرة على هزت غزة هزت عقيدة و عزة

الفصل الثامن: هزت غزة إعداد و عدة و في هذا الفصل وقفت من خلال رؤية الأحداث أنه ينبغي أن تعي الأمة هذا الدرس ألا و هو إعداد العدة لذلك العدو الذي يتعبد لشيطانه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالقتل و التدمير و قد امتلك أعتا ترسانة حربية متطورة فالواجب أمام ذلك إعداد العدة كما أمرانا الله تعالى

الفصل التاسع: مؤهلات جيل النصر و في هذا الفصل أوضحت للقارئ الذي يرجو نصرة دينه و غلبة عقيدته صفات جيل النصر و التمكين كما وردت في كتاب رب العالمين و سنة النبي الأمين – صلى الله عليه و سلم –

الفصل العاشر {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }

و في هذا الفصل :جاءت البشارات و المبشرات تثبت الإقدام و تُشعل العزائم لتقول للأمة { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) [غافر/٥١]}

أبشر فهذا الفجر لاح ها نحن جئنا يا صلاح

قد أدبر الليل العميـل وجاء للدنيا صبـاح

ما دام عـرقي نابض لن تعرف النفس ارتياح

حـتى أرى شعبـي وليس له عن الأقصى براح

الفصل الحادي عشر :لحلن الخلود و دم الشهيد: و جاء الفصل الختامي ليسمع القارئ لحن الخلود من خلال دم الشهيد إنها قصائد شعرية تضرب على وتر الخلود لمن جاد بنفسه وماله في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى

أمين أمين يا رب العالمين

أبو همام / السيد مراد سلامة

محمول ٠١٠٦٩٨٣٥٢٦٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

قطاع غزة: لمحة جغرافية وتاريخية

أخي المسلم أختي المسلمة : قبل أن نتعرف على الآثار الايجابية و الإيمانية التي تولدت جراء هذه الحرب اليهودية الباغية لابد أن نتعرف أولا على لمحة جغرافية و تاريخية لذلك القطاع الذي يدور على رحاه حرب الشجاعة و البسالة و التضحية و الفداء، ذلك القطاع الذي غير مجرى الأحداث العالمية و المنظومة الحربية حيث لا يمتلك أهله ما يمتلكه عدوهم من طائرات و دبابات و مدرعات و على الرغم من ذلك يعجز العدو على صد هجمات المجاهدين البواسل لأن لدى هؤلاء المجاهدين ما ليس عند عدوهم من أعتا الأسلحة المدمرة القاصمة إنها أسلحة الإيمان بالله تعالى و طلب الشهادة في سبيله فهم لا يقاتلون بعدد و لا عدة و إنما يقاتلون بهذا الدين الذي تكفل الله تعالى لمن نصره بالنصر و التمكين

" قطاع غزة [1] هو الاسم الإداري الذي أطلق على المنطقة التي رسمت في اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل في رودس بتاريخ ٢٤/فبراير/١٩٤٩ ، وقد أطلق عليه الأراضي الفلسطينية الخاضعة لرقابة القوات المصرية ، وحددت المادة الخامسة من الاتفاقية قطاع غزة بالحد الفاصل بين القوات العسكرية للطرفين ابتداء من الساحل عند وادي الحصي ، ويسير في اتجاه شرقي عبر دير سنيد ، وهكذا أصبح ذلك الشريط الساحلي الممتد على الساحل الجنوبي الشرقي لحوض البحر المتوسط ، هو ما يعرف بقطاع غزة ، إذ يحده من الجنوب الغربي جمهورية مصر العربية ، ومن الشمال خط الهدنة مع فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، ومن الغرب فيحده البحر المتوسط ، ومن الشرق خط الهدنة .[2]

ويقع القطاع في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من فلسطين ، ويطل على البحر المتوسط الذي يقع إلى الغرب منه ، وتمتد رقعته الأرضية السهلية الساحلية ما بين البحر المتوسط غربا ، وصحراء النقب شرقا ، ويفصلها عن بقية فلسطين خط وهمي يعرف بخط الهدنة ، بينما

---

[1] - الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة لعدنان عبد الرحمن أبو عامر

[2] – مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، اتفاقيات الهدنة العربية الإسرائيلية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨ ، ص٢٢٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يفصلها عن أراضي شبه جزيرة سيناء المصرية خط الحدود السياسية بين فلسطين ومصر ، إذ توجد مدينة رفح بقسميها الفلسطيني والمصري على جانبي الحدود .([3])

وتنبع أهمية الموقع الجغرافي للقطاع من عدة نواح رئيسة هي :

*منذ القدم ، وقع على أبرز الطرق التجارية في العالم ، تلك التي تبدأ في حضرموت واليمن ، حيث تجتمع تجارة البلاد وتجارة الهند ، ثم تسير شمالا إلى مكة والمدينة والبتراء ، ومن هناك إلى فرعين ، ينتهي أحدهما في غزة على البحر المتوسط ويمتد شمالا إلى دمشق وتدمر .([4])

*وفي العصر الحديث زاد موقعه الجغرافي أهمية بعد أن بنى الإنجليز خط السكة الحديدية الذي يربط القنطرة بحيفا لأغراضهم العسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى ، وغدت غزة أكثر مناطق جنوب فلسطين اتصالا بالعالم الخارجي أثناء الانتداب البريطاني ([5])

*ويختلف عرض القطاع من منطقة لأخرى ، بحيث يتراوح ما بين ٦-١٢كم ، كما تختلف ارتفاعاته عن سطح البحر ، والأجزاء الشرقية منه أعلى ارتفاعا ، إذ تتراوح ارتفاعاته في الشرق ما بين ٧٨-١٥٠ م فوق سطح البحر ([6])، ويبلغ طول القطاع من بيت حانون شمالا إلى رفح جنوبا حوالي ٤٦ كم ، وتبلغ مساحته ٣٦٥ كم٢([7])

وتبلغ الكثافة السكانية في القطاع ١٤ ألف نسمة في الكيلومتر المربع الواحد ، وهي النسبة الأعلى في العالم ، وقد بلغ عدد سكانه في العام ١٩٤٨ ، ٢٧٠ ألف فلسطيني ، منهم ١٩٠ ألف لاجئ ، فيما قدر عدد سكانه في نهاية عام ١٩٦٧ بنحو ٣٨٠ ألف نسمة ، ومع نهاية العام ١٩٨٧ حيث انطلقت الانتفاضة وصل عدد سكانه إلى ٥٦٠ ألف نسمة .([8])

---

[3] – صالح ،حسن، فلسطين:الجغرافيا والديموغرافيا ،شؤون عربية،جامعة الدول العربية،تونس ،العدد٦٠،ديسمبر ١٩٨٩ ،ص٧.

[4] – هيئة الموسوعة الفلسطينية ، الموسوعة الفلسطينية ،بيروت ، ط١، ١٩٨٥ ، ج٣ص٣٩٠ .

[5] – المرجع السابق .

[6] – إبراهيم، يوسف، العمران الريفي في قطاع غزة،رسالة ماجستير غير منشورة،معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،١٩٩٥، ص٢.

[7] – صالح، حسن ، مرجع سابق ، ص٧.

[8] – المكتب المركزي للإحصاء الإسرائيلي، ١٩٨٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد أدت حرب عام ١٩٦٧ إلى إحداث شرخ كبير في البنية السكانية لقطاع غزة ، وتسببت في حدوث موجات نزوح وهجرة كبيرة إلى خارجه خلال الحرب وما تلاها من سنوات ، ومع ذلك ، فقد واصل المجتمع الغزي نموه السكاني ، وهذا ما يؤكد فتوته وشبابه وقدرته على الحياة والاستمرار ، رغم الممارسات الإسرائيلية للتأثير في هذه المسألة والتحكم في عواملها واتجاهاتها . ([٩])

ويتوزع سكان قطاع غزة على المدن والمخيمات التالية:

١- المدن: جباليا، غزة ، دير البلح ، خان يونس ، رفح .

٢- المخيمات: جباليا، الشاطئ، البريج، النصيرات، المغازي، دير البلح، خان يونس، رفح .

٣- القرى والبلدات: بيت حانون، بيت لاهيا ، جباليا ، الزوايدة ، القرارة ، بني سهيلا ، عبسان الكبيرة والصغيرة ، خزاعة .

أما عن تاريخ قطاع غزة، فقد وقع تحت سيطرة العثمانيين عام ١٥١٧م ، وتم تقسيمه إداريا إلى ناحيتين تضمان ٢١٠ من القرى ، حيث بطش العثمانيون بأهل غزة وقتلوا ألفا من سكانها ، بعد أن ثار هؤلاء على الحكام الجدد ، وقتلوا أربعمائة من العثمانيين . ([١٠])

كما قاسى علماء غزة من ظلم الوالي العثماني عثمان باشا عام ١٧٧٠ ، جراء ممارسته لسياسة الابتزاز المالي بحق السكان ، الذين ثاروا عليه في مناطق مختلفة من فلسطين ، كالرملة ويافا ، وتجلى ذلك في تخلي أهل غزة وفلسطين عموما عن العثمانيين في الصراع الذي جرى بينهم وبين علي بك الكبير الذي احتلت قواته منطقة غزة دون مقاومة يوم ٣٠/أكتوبر/١٧٧٠ ، وما لبثت أن استجدت متغيرات سياسية على غزة أسوة بباقي أراضي فلسطين ، تمثلت في بروز نجم محمد أبو الذهب أحد قادة جيش علي بك ، الذي سرعان ما انقلب على قائده ، وتمكن من احتلال مدينة غزة يوم ١/نيسان /١٧٧٥ .([١١]) ([١٢])

---

[٩] – عطايا، أمين،الواقع الديمغرافي في قطاع غزة، مجلة صامد الاقتصادي ، مؤسسة صامد ، عمان ، العدد ٨٤ ،حزيران ١٩٩١، ص١٩٢ .

[١٠] – الحمد، جواد ، تحرير ، المدخل إلى القضية الفلسطينية ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٨٨ .

(٣) رافق، عبد الكريم ، فلسطين في عهد العثمانيين ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، ج٢، ص٧١٧ .

[١٢] – رافق، عبد الكريم ، فلسطين في عهد العثمانيين ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، ج٢، ص٧١٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان لغزة نصيب من الحملة الفرنسية على بلاد الشام ، حيث احتلت القوات الفرنسية بقيادة (كليبر) منطقة غزة واستسلمت له دون قتال يوم ٢٦/فبراير/١٧٩٩ ، ولم يدافع عنها حاكمها عبد الله باشا وفرسانه الذين انسحبوا إلى يافا ، وغنم نابليون في غزة معدات ومؤنا كثيرة ، وأقام فيها إدارة محلية من الزعماء المحليين إلى جانب الحامية الفرنسية (١٣)

وبعد اندحار الحملة الفرنسية حكم غزة محمد باشا أبو المرق ، ثم محمد أغا أبو نبوت ، وفي عام ١٨٣١ تحركت الحملة المصرية بقيادة إبراهيم باشا ، واحتلت العريش وغزة وعكا ، وغيرها من المدن الشامية ، وقسما من الأناضول . (١٤)

وما أن أشرفت الحرب العالمية الأولى بين عامي ١٩١٤-١٩١٧ على الانتهاء ، حتى احتل البريطانيون فلسطين بقيادة الجنرال اللنبي ، وجاء احتلالهم لقطاع غزة بعد معارك ضارية ، حيث انهزموا في ربيع عام ١٩١٧ مرتين ، ولحقت بهم خسائر فادحة إلى أن تمكنوا في المرة الثالثة من الاستيلاء عليه بتاريخ ٧/نوفمبر/١٩١٧ بعد حصار استمر ستة أشهر .(١٥)

وتصدت غزة للسياسة البريطانية في فلسطين، حيث تشكلت الجمعيات لتنسيق العمل الوطني ، وإبراز وحدة الشعب وتماسكه وإظهار الوعي الوطني ، عبر النشاطات والنضالات المشتركة ضد الانتداب .

وكان لغزة النصيب الوفير في المشاركة في ثورة البراق عام ١٩٢٩ ، وقام سكانها بمهاجمة المطار الحربي شرقي المدينة ، ومهاجمة مستوطنة (بيار تعبا) قرب بيت دراس ، وطردوا من كان فيها من اليهود ، وشاركوا في نسف البناية العسكرية في المدينة في عدة حوادث ، الأمر الذي واجهته السلطات بعنف شديد ، وفرض حظر التجوال وشن الاعتقالات والسجن ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من مواصلة نضالهم ، ولعل أبرز مظهر من مظاهر هذه المقاومة تمثل

---

١٣ – المرجع السابق، ص٧٢١ .

١٤ – مناع، عادل ، تاريخ فلسطين في أواخر الحكم العثماني ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص٧٠.

١٥ – الحوراني، عبد الله ، قطاع غزة : ١٩ عاما من الاحتلال ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص١٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في تخريب السكة الحديدية التابعة للجيش البريطاني عبر نزع القضبان وإحراق الألواح الخشبية ، وبذلك تعطلت السكة التي كانت بمثابة الشريان الحيوي لإمداداته . ([16])

واستمرت المواجهات المتبادلة بين أهل غزة وسلطات الانتداب، تتخذ أشكالا مختلفة وأساليب متنوعة ، حتى اليوم الأخير لهذا الانتداب في فلسطين يوم ١٤/مايو /١٩٤٨ ، حيث وقعت فلسطين تحت الاحتلال الإسرائيلي .

وقد قاسى القطاع الأهوال بعد نكبة عام ١٩٤٨ ، ففي ١٤/أغسطس/١٩٥٤ قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بنسف محطة مياهها ، وفي ٢٨/شباط/١٩٥٥ أعادت هجومها على ذات المحطة ، وعلى معسكر الجيش المصري المرابط بجوارها ، وذهب ضحية الهجوم عدد كبير من الجنود والمدنيين ، وفي ٥/نيسان/١٩٥٦ قامت المدفعية الإسرائيلية بقصف وسط غزة الآهلة بالسكان ، وقرى دير البلح وعبسان وخزاعة ، فكانت الخسائر الناتجة عن هذه الاعتداءات أكثر من ستين شهيدا ، وتسعين جريحا من النساء والرجال والأطفال ، وبعد أقل من عشرة أيام أطلقت المدفعية الإسرائيلية نيرانها على مستشفى غزة وقتلت أكثر من ستين فلسطينيا ، وجرحت ثمانين آخرين . ([17])

ولم يخفف من تلك المآسي والأحزان التي ألمت بسكان القطاع ، إلا انتقام الفدائيين الفلسطينيين ، ففي شهر أبريل من عام ١٩٥٦ دخلت أكبر مجموعة فدائية من القطاع قدرت بثلاثمائة فدائي ، باتجاه الأهداف التي حددت لها داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، حيث هاجموا مستعمرة ريشون ليتسيون التي تبعد ١٥ كم فقط عن تل أبيب ، واستمرت هذه العملية بتواصل يومي من ليلة السادس وحتى الثالث عشر من ذل الشهر ، واستشهد أحد عشر فدائيا ، ووقع ثلاثة آخرون في الأسر.([18])

وفي ٥/يونيو/١٩٦٧ احتلت إسرائيل قطاع غزة والضفة الغربية بما فيها القدس ، وقامت بفرض حكمها العسكري ، مما أدى إلى سيطرتها الكاملة على جميع أوجه حياة المجتمع

---

[16] – موقع غزة في التاريخ حتى نهاية الانتداب البريطاني ، مجلة صامد ، مرجع سابق ، ص٢٧٢ .

[17] – الدباغ ، مصطفى مراد ،موسوعة بلادنا فلسطين ،دار الهدى للطباعة والنشر،كفر قرع،طبعة جديدة ،٢٠٠٢،ج١ص٣٠١ .

[18] – الصوراني ، غازي ، قطاع غزة : ١٩٤٨–١٩٥٦ ، الأوضاع الاجتماعية والسياسية ، مجلة صامد، مرجع سابق ، ص٢٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتحكم في آفاق تطوره اللاحقة ، ورغم أن هذه الحرب كانت قصيرة الأمد ، إذ دامت ستة أيام فقط ، إلا أنها غيرت خريطة الشرق الأوسط تغييرا دراماتيكيا ، فقد حقق الجيش الإسرائيلي انتصارات باهرة على ثلاثة جيوش عربية ، وسيطرت على شبه جزيرة سيناء ، وعلى مدخل خليج العقبة ، ووقع قطاع غزة مرة أخرى في قبضة إسرائيل ، بعدما كان خضع لسيطرتها فترة قصيرة في حرب السويس سنة ١٩٥٦ . ([١٩])

وقد قوبل احتلال القطاع بمقاومة تميزت بالشدة ، وبارتفاع كبير في معدلات العمليات الفدائية ، ويعود ذلك لعدة أسباب :

١- حجم القمع الذي تعرض له سكان القطاع، مبكرا، فاق بمعدلاته كثيرا ما مورس في الضفة الغربية.

٢- تفشي البطالة الواسعة في القطاع، بعد أن سرح الاحتلال زهاء ثلاثة أرباع موظفي الحكومة (نحو خمسة آلاف موظف) ، وأحرق بعض مراكب الصيد ، ليحرم الصيادين من مصادر رزقهم .

٣- التأثير الملموس لجيش التحرير الفلسطيني المتواجد في غزة، حتى لحظة احتلال القطاع من قبل إسرائيل ، وبقاء بعض أفراده إلى ما بعد الاحتلال في القطاع .

٤- الخبرة الوطنية المخزونة لدى سكان القطاع، منذ مواجهة القوات الإسرائيلية في الخمسينيات، والأعمال الفدائية التي نفذت إبان تلك المرحلة. ([٢٠])

الآثار المترتبة على احتلال قطاع غزة :

قبل الحديث عن الآثار والنتائج التي ترتبت على احتلال إسرائيل لقطاع غزة ، ينبغي التنويه هنا إلى أن أهمية القطاع بالنسبة لإسرائيل لم يكن موضوعا مجمعا عليه داخل المجتمع السياسي والعسكري فيها ، بل كان هناك خلاف ، وخلاف شديد داخل المؤسستين العسكرية والسياسية ، وتبين ذلك من خلال البرامج الانتخابية والتصريحات العلنية ، وتجسد بشكل واضح بعد انطلاق الانتفاضة عام ١٩٨٧، فقد برزت آراء عديدة في

---

[١٩] – أرونسون، جيفري، سياسة الأمر الواقع في الضفة الغربية، ترجمة: حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١٩٩٠،١، ص٢٧.

[٢٠] – ياسين ، عبد القادر ، الحركة السياسية في قطاع غزة ١٩٤٨-١٩٨٧ ، مجلة صامد ، مرجع سابق ، ص٣٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إسرائيل ترى أنه لا يوجد في قطاع غزة أراض ذات قيمة تذكر ، فلا يوجد فيه جبل مسيطر على محيطه من الناحية الإستراتيجية ، أو نقطة رقابة لمتابعة تحركات جيوش معادية ، وليس لليهود فيه أي وشائج وصلات تاريخية ، وحسب قول أحد الصحفيين الإسرائيليين : " من من اليهود بحاجة إلى هذه الرمال في غزة ، بكل ما فيها من كراهية ؟ وما الذي يساوي فيها حياة رجل يهودي واحد " ؟ ([٢١])

ولعل ذلك ما يفسر رد شمعون بيريز وزير الخارجية على رئيس الوزراء إسحاق شامير الذي طالب بضرورة الاحتفاظ بقطاع غزة ، لكونه جزء لا يتجزأ من إسرائيل ، بقوله بعد انطلاق الانتفاضة مباشرة في أواخر عام ١٩٨٧ : يوجد الآن في قطاع غزة ٦٠٠ ألف عربي يعيش نصفهم في مخيمات اللاجئين ، وقد تضاعف عدد هؤلاء منذ عام ١٩٥٦ ، وفي خلال اثني عشر عاما سيصبح عددهم مليون نسمة ، فماذا يقصد شامير بهذا القول ؟ هل يعني أن المليون نسمة التي ستكون في القطاع لا يمكن فصلها عن إسرائيل ، هل تلك هي الهدية التي يرغب في تقديمها لإسرائيل ؟ ([٢٢])

فيما قال المحلل العسكري الإسرائيلي زئيف شيف : " إن إحدى المشاكل المعقدة للغاية تكمن في أن قطاع غزة ، قنبلة بشرية موقوتة ، حتى لو لم تكن هناك أسباب فلسطينية وطنية ، ورغبة شديدة من السكان في التحرر من الاحتلال الإسرائيلي ، ستأتي لحظة تنفجر فيها هذه القنبلة ، لأسباب ديمغرافية واقتصادية ، وبسبب البنية التحتية المتداعية ، وهذا كله أوصلني إلى نتيجة أنه سيأتي علينا يوم نتوسل فيه لكي يأخذ منا أحد ما ، هذا القطاع بمشاكله " ! ([٢٣])

وهناك قسم من الرأي العام في إسرائيل يميز وضع غزة عن وضع الضفة الغربية ومكانتها ، ففوائد غزة لا تضاهي بأي قدر فوائد الضفة الغربية ، وكذا أضرارها ، وفي الغالب ، فإن

---

[٢١] – القيمري، عطا، غزة شوكة في الحلق، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد١٣، شتاء ١٩٩٣، ص١٥٣.

[٢٢] – النشاش، عبد الهادي ، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى ، الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ص١٨ .

[٢٣] – هآرتس ، ١٩٨٨/٨/٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الواقع والحلم الصهيونيين على حد سواء ، لا يقبلان بغزة إلا على سبيل القط الذي يعرض مع الجمل ، –على حد وصف العسكريين الإسرائيليين –فلم يكن في وسع إسرائيل إلا أن تأخذ غزة عندما أخذت سيناء ، وما كان في وسعها أن تلقم مصر غزة عندما استرجعت هذه سيناءها ، وهكذا ربط مصير غزة إلى حد بعيد بمصير الضفة الغربية ،وإن كان ذلك على مضض من واقع الصهيونية وحلمها. (٢٤)

وقد شغل مستقبل القطاع حيزا ملحوظا في المقترحات والمشاريع الإسرائيلية، وهي في المجمل تصورات تتضمن الرؤيا الإسرائيلية له ، من خلال آراء لمحللين ومفكرين ، ولا بد من الإشارة إلى ملاحظة مركزية وهامة في هذا السياق ، وهي أن مجمل مشاريع التسوية المطروحة لم تمثل رأيا حكوميا رسميا ، بسبب الانقسام التقليدي المعروف في المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة ، حول تيارين مركزيين : الليكود والعمل .

ورغم هذا الاختلاف ، فقد كان للاحتلال الإسرائيلي للقطاع العديد من المظاهر ، لعل أهمها اختلافه شكلا ومضمونا عن أي احتلال آخر ، مدفوعا بتوجهات أيديولوجية صهيونية ، تعتبر أن الأراضي الفلسطينية المحتلة جزءا من الحق التاريخي للشعب اليهودي ، مما فسر كونه احتلالا إحلاليا يهدف أساسا إلى اقتلاع الفلسطينيين من ديارهم ، عبر سلسلة منظمة من الإجراءات الهادفة إلى تدمير بنى المجتمع وتضييق الخناق على أفراده بشتى الطرق ، بالأوامر العسكرية التي يصدرها قادة المناطق أحيانا ، وبالقبضة الحديدية أحيانا أخرى (٢٥)

وقد كان لاحتلال قطاع غزة العديد من الآثار والنتائج المباشرة ، من أهمها :

١–الهجرة القسرية ، لعشرات الآلاف من الفلسطينيين الذين تركوا القطاع خوفا من ارتكاب الجيش الإسرائيلي للمجازر ضدهم ، ، كما فعل عام ١٩٥٦ ، ولم يتمكن الكثيرون الذين كانوا خارج المنطقة قبيل نشوب الحرب من العودة ، لأن الإحصاء الإسرائيلي لم يشملهم ، وتم اعتبارهم نازحين ، لا حق لهم في الإقامة بالقطاع . (٢٦)

---

٢٤ – القيمري ، عطا ، مرجع سابق ، ص١٥٣ .

٢٥ – المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان الإغلاق الإسرائيلي لقطاع غزة دراسة قانونية وتوثيقية ، غزة ، ط١٩٩٦،١ ،ص٤ .

٢٦ –) صالح ، حسن ، الأوضاع الديمغرافية للشعب الفلسطيني ، الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سابق ، ج١ص٣١٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢-فرض العقوبات الجماعية على الأهالي،كاقتحام المنازل ليلا بحجة البحث عن السلاح،وجمع الرجال في أماكن عامة،واعتقالهم مددا مختلفة دون توجيه تهم إليهم،وفرض نظام منع التجوال . ([٢٧])

٣-تبدل مراكز القيادة في القطاع ، ففي حين كان أصحاب الثروات من الوجهاء والأعيان ، مقربين من النظام المصري ، وتم اعتبارهم رموزا سياسية ، جاء الاحتلال الإسرائيلي ليغير هذا الوضع ، مما نجم عنه اختفاء هذه الرموز عن القيادة ، وبدأ الالتفاف حول التنظيمات رغم عدم ظهورها بشكل علني واضح ، لأن إسرائيل منعت قيام أي مؤسسة فلسطينية .([٢٨]).

وقد أسندت سلطات الاحتلال إلى قيادة الجيش مسؤولية التشريع والإدارة ، وأصبح القائد العسكري هو المسؤول عن السلطتين التشريعية والتنفيذية ، إضافة إلى الهيمنة على السلطة العسكرية، وغداة احتلالها للقطاع أصدر القائد العسكري أمرا يخول بموجبه الصلاحيات التشريعية والتنفيذية له ، وأصدرت سلطات الاحتلال بين العامي ١٩٦٧-١٩٩٢ أكثر من ١١٠٠ أمرا عسكريا ([٢٩])

ولم تكن الأوامر العسكرية متاحة أمام الجمهور الذي تطبق عليه ، إذ لا تعلن السلطات عنها في الصحافة أو الإذاعة ، ولا تنشر في جريدة رسمية ، وتوزع فقط على المحامين العاملين ، وكانت هذه الأوامر تصدر على شكل أوامر غير مرقمة ، وأنظمة وإعلانات لا تحمل أرقاما متسلسلة يصعب حصرها ، وبالتالي التعرف على مضمونها ([٣٠])

الفصل الثاني

لن ينكسر أهل الشام وإن تكالب عليهم اللئام

---

[٢٧] – العارف ، عارف ، غزة نافذة على الجحيم ، مركز أبحاث منظمة التحرير ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٣ ، ص٦٩٨

(٦) الشعيبي،عيسى،الكيانية الفلسطينية:الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي،مركز أبحاث منظمة التحرير،بيروت،ط١٩٧٩،١، ص١٣٥

[٢٩] – الشعيبي،عيسى،الكيانية الفلسطينية:الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي،مركز أبحاث منظمة التحرير،بيروت،ط١٩٧٩،١، ص١٣٥

[٣٠] – مؤسسة الحق ، زاوية حقوق الإنسان ، رام الله ، ط١ ، ١٩٩٥ ، م١ص١٤٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن الناظر بعين النظر و الاعتبار إلى ما يدور على ثرى أرض العزة و الإباء في غزة العزة قد يصيبه اليأس و القنوط من الانتصار على ذلك العدو اللدود فالبعض يقول إن اليهود سيقضون على أهل غزة و لن يتركوا منهم شيخا ولا صغيرا و لا امرأة ،و لكن الحقيقة التي لابد نغرسها في نفوس أبنائنا و نبثها في نفوس هؤلاء المجاهدين أنهم لن ينكسروا و لو اجتمع عليهم من في الأرض جميعا فقد بشرنا رسول الله – صلى الله عليه و سلم – بذلك لذا قلت في بعض الخطب و الدروس" لو لم يبق من أهل الشام إلا امرأة حامل لأخرج الله تعالى من بطنها من يحمل راية الجهاد و يظهره الله على هؤلاء يهود " و إليك البيان من سنة النبي العدنان – صلى الله عليه و سلم – عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون ([31])

عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين قال وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله ([32])

و هذه الطائفة المنصورة قد حدد النبي – صلى الله عليه و سلم مكانها في حديث ثوبان مرفوعا .: " لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله و هم كذلك ، قالوا : و أين هم ؟ قال : ببيت المقدس و أكناف بيت المقدس " .([33])

عن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سئمت الخيل ، و ألقيت السلاح و وضعت الحرب أوزارها ، قلت : لا قتال ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يرفع (لعل الصواب يزيغ) الله قلوب أقوام يقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله

---

[31] – أخرجه البخاري ح ٧٣١١ و

[32] – اخرج الترمذي ح ٢٢٢٩ و صححه الألباني في صحيح الترمذي

[33] –قال الشيخ الألباني رواه عبد الله بن الإمام أحمد في " المسند

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عز وجل وهم على ذلك ألا إن عقر دار المؤمنين الشام والخيل معقود في ناصيتها الخير إلى يوم القيامة)([٣٤])

و لقد تكفل الله تعالى لأهل الشام بالنصرة و التأييد على عدوهم عن عبد الله بن حوالة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستجندون أجنادا جندا بالشام وجندا بالعراق وجندا باليمن قلت يا رسول الله اختر لي قال عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره فإن الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله ([٣٥])

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه و بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت إنه مذهوب به فاتبعته بصري فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام([٣٦])

عن سالم بن عبد الله عن أبيه صلى رسول الله (ﷺ) الفجر ثم أقبل على القوم فقال اللهم بارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في مدنا وصاعنا اللهم بارك لنا في حرمنا وبارك لنا في شامنا فقال رجل وفي العراق فسكت ثم أعاد قال الرجل وفي عراقنا فسكت ثم قال اللهم بارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في مدنا وصاعنا اللهم بارك لنا في شامنا اللهم اجعل مع البركة بركة والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب إلا وعليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا عليها ([٣٧])

و لقد وُضع عمود الكتاب و الإيمان بتلك البقعة المباركة من بلاد الشام و ها هو عليه الصلاة والسلام– يخبرنا بنبأ ذلك عن عبد الله بن حوالة أنه قال يا رسول الله اكتب لي بلدا أكون فيه فلو أعلم أنك تبقى لم اختر على قربك قال عليك بالشام ثلاثا فلما رأى النبي (ﷺ)

---

[٣٤] –أخرجه أحمد ح ١٧٠٠٦و صححه الألباني في الصحيحة ح ١٩٦١

[٣٥] –أخرجه أحمد ح ٢٠٣٧١و صححه الألباني في فضائل الشام ودمشق – (ص ٥)و قال صحيح

[٣٦] –أخرجه أحمد ح ٢١٧٨١ و قال الارنؤوط إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح

[٣٧] – أخرجه أحمد ح ٦٠٦٤ و قال شعيب الارنؤوط مسند أحمد بن حنبل – (ج ٢ / ص ١٢٤) صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير بشر بن حرب الأزدي روى له النسائي وابن ماجة وفيه ضعف وأخرج يعقوب الفسوي في " المعرفة " المنتقاة " (٧ / ٢ – ٣) و الجرجاني في " الفوائد " (و أبو نعيم في" الحلية " و ابن عساكر في " تاريخ دمشق و قال الألباني في فضائل الشام ودمشق – (ج ١ / ص ٩) إسناده صحيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كراهيته للشام قال هل تدرون ما يقول الله عز وجل يقول يا شام يا شام يدي عليك يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي أنت سيف نقمتي وسوط عذابي أنت الأندر واليك المحشر ، ورأيت ليلة أسري بي عمودا أبيض كأنه لؤلؤ تحمله الملائكة قلت ما تحملون قالوا نحمل عمود الإسلام أمرنا أن نضعه بالشام وبينا أنا نائم رأيت كتابا اختلس من تحت وسادتي فظننت أن الله تخلى من أهل الأرض فأتبعت بصري فإذا هو نور ساطع بين يدي حتى وضع بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليستق من غدره فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله([38])

عن عبد الله بن عمر (ﷺ) قال: قال لنا النبي (ﷺ) يوما إني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب فعمدوا به إلى الشام فإذا وقعت الفتن فان الإيمان بالشام ([39])
عن سالم بن عبد الله عن أبيه (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) ستخرج نار في آخر الزمان من حضر موت تحشر الناس قلنا فماذا تأمرنا يا رسول الله قال عليكم بالشام

و الملحمة الأخيرة التي سيمكن الله تعالى فيها للأمة الإسلامية ستجري أحدثها على ثرى أرض الشام عن أبي الدرداء (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام وفي رواية ثانية قال سمعت النبي (ﷺ) يقول يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ ([40])

عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ([41])

---

[38] – قال الشيخ الألباني حديث صحيح دون قوله يا شام يا شام يدي عليك يا شام وقوله أنت سيف نقمتي وسوط عذابي أنت الأندر

[39] –و قال الألباني في فضائل الشام ودمشق – (ج ١ / ص ١٢) صحيح

[40] –. أخرجه أبو داود ٢ / ٢١٠ ، والحاكم ٤ / ٤٨٦ ، وأحمد ٥ / ١٩٧ ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وأقره المنذري ٤ / ٦٣ ، وهو كما قالوا

[41] – أخرجه مسلم ح ٢٩٣٧و أحمد ح ١٧٦٦٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و هم الوفد الذي سيبعثه الله تعالى لتأييد دينه و نصرة شرعة

عن هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثا من الموالي أكرم العرب فرسا وأجودهم سلاحا يؤيد الله بهم الدين ([٤٢])

و فسطاط المعركة الحاسمة سيكون في بلاد الشام في دمشق ،عن عوف بن مالك (رضي الله عنه) قال أتيت رسول الله (ﷺ) وهو في بناء له فسلمت عليه فقال عوف قلت نعم يا رسول الله قال ادخل فقلت كلي أم بعضي قال بل كلك قال فقال لي اعدد عوف ستا بين يدي الساعة أولهن موتي قال فاستبكيت حتى جعل رسول الله (ﷺ) يسكتني قال قل إحدى والثانية فتح بيت المقدس قل اثنين والثالثة فتنة تكون في أمتي وعظمها والرابعة موتان يقع في أمتي يأخذهم كقعاص الغنم والخامسة يفيض المال فيكم فيضا حتى أن الرجل ليعطى المائة دينار فيظل يسخطها قل خمسا والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر يسيرون إليكم على ثمانين راية تحت كل راية ثمانين ألفا فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة فيها مدينة ويقال لها دمشق ([٤٣])

[٤٢] –أخرجه ابن ماجه ح ٤٠٩٠ وقال الألباني في فضائل الشام ودمشق – (ج ١ / ص ٢١) (حسن)

[٤٣] – أخرجه أحمد ح ٢٤٠٣١ وقال الألباني في فضائل الشام ودمشق – (ج ١ / ص ٢٣) صحيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث: أزمة أمة

إن الأُمة الإسلامية تمرُ في تلك الحُقبة من التاريخ بمرحلة عصيبة ،تمر بأزمة من أخطر الأزمات،هذا الأزمة ليست أزمة اقتصادية و لا أزمة اجتماعية ولا أزمة سكانية و إنما هي أزمة قائد يقود الأمة و يأخذ بيديها و يخرجها من تيه الذل و الاستعباد الذي أصابها فأضحت مهزومة لأذل أُمة أذلها الله تعالى و هل رأيت أذل ممن أذله الله للأذل ؟

إن الأُمة بحاجة إلى قائد رباني يعرف حدود الله تعالى و يلتزم بسنة نبيه — صلى الله عله و سلم قائد يعي أنه مسئول أمام الله تعالى عن رعيته ،قائد يعي أنها أمانة جعلت في عنقه قائد شجاع لا يعرف الخوف لقلبه طريقا، قائد يزن الأمور بميزان الحق و العدل ،قائد يحمل هم أمته ودينه ، إن العبرة ليست بالكثرة و إنما العبرة بالقوة الإيمانية التي تكون في قلب ذلك العدد ،

أما حال أُمتنا فهي كما يقول القائل

يملئون الأرض من كثرتهم** و لا يغنون عن أمر جلل

لقد مرت الأمة الإسلامية على مر العصور بأزمات كادت أن تفتك بها و كادت أن يلتهمها عدوها و لكن الله تعالى قيض لتلك الأزمات رجال يأخذون بزمام الأمور و يجتمع عليهم الناس من كل فج و إليك أخي الحبيب بعض تلك الأزمات و كيف كان المخرج منها

الأزمة الكبرى موت النبي – صلى الله عليه وسلم –و ارتداد قبل العرب و منع بعضهم الزكاة و أضحى المسلمون في فزع و رعب شديد إلى أن هيئا الله لتلك الأزمة الصديق الأكبر — رضي الله عنه فأخرجها من الأزمة منتصرة غالبة متوحدة لا يعرف الخوف واو الفرقة إلى قلوب أبنائها سبيلا

قال ابن رجب: ولما توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخولط ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من أعتُقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية([44]).

[44] – لطائف المعارف، ص١١٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال القرطبي مبيناً عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور: من أعظم المصائب المصيبة في الدين .. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها أعظم المصائب ([٤٥])وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه ([٤٦])

وقال ابن إسحاق: ولما توفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم – عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة فيما بلغني تقول: لما توفي النبي – صلى الله عليه وسلم – ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية، والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ([٤٧])

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: ... واضطربت الحال .. فكان موت النبي – صلى الله عليه وسلم – قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر وقال: مامات رسول الله وإنما واعده ربه كما واعد موسى، وليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ([٤٨]) ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلّم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمّم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو مُغشّى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي عليك فقد متها، ([٤٩]) وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال: اجلس يا عمر، وهو ماضي في كلامه، وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

---

[٤٥] – السلسلة الصحيحة للألباني رقم ١١٠٦.

[٤٦] – تفسير القرطبي (١٧٦/٢).

[٤٧] – ابن هشام (٣٢٣/٤).

[٤٨] – القواصم من العواصم، ص٣٨.

[٤٩] – البخاري، كتاب المغازي رقم ٤٤٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما بعد: فإن من كان يعبد محمد فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} (سورة آل عمران، آية: ١٤٤). فنشج الناس يبكون ([٥٠])

قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض ما تحملني قدماي، وعلمت أن رسول الله قد مات([٥١]) قال القرطبي: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجرأة حدُّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي – صلى الله عليه وسلم – فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسُّنح. ([٥٢])

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً، فالله هو الحي وحده الذي لا يموت، وأنه وحده الذي يستحق العبادة، وأن الإسلام باق بعد موت محمد – صلى الله عليه وسلم – ([٥٣])، كما جاء في رواية من قول الصديق: إن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا، وهو النور والشفاء وبه هدا الله محمد – صلى الله عليه وسلم – وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله فلا يبغين أحد إلا على نفسه. ([٥٤])

كان موت محمد – صلى الله عليه وسلم – مصيبة عظيمة، ابتلاءاً شديداً، ومن خلاها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد للأمة فذ لا نظير له ولا مثيل، ([٥٥]) فقد أشرق اليقين

---

[٥٠] – البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم ٣٦٦٨.

[٥١] – البخاري، كتاب المغازي رقم ٤٤٥٤.

[٥٢] – تفسير القرطبي (٢٢٢/٤).

[٥٣] – استخلاف أبو بكر الصديق، جمال عبد الهادي، ص١٦٠.

[٥٤] – دلائل النبوة للبيهقي (٢١٨/٧).

[٥٥] – أبو بكر رجل الدولة، مجدي حمدي، ص٢٥،٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في قلبه وتجلى ذلك في رسوخ الحقائق فيه فعرف حقيقة العبودية، والنبوة، والموت، وفي ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته – رضي الله عنه –، فانحاز بالناس إلى التوحيد (من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) ومازال التوحيد في قلوبهم غضاً طرياً، فما أن سمعوا تذكير الصديق لهم حتى رجعوا إلى الحق ([٥٦]) تقول عائشة رضي الله عنها فوالله لكأنّ الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر – رضي الله عنه – فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها. ([٥٧])

ثالثاً: سقيفة بني ساعدة:

لما علم الصحابة رضي الله عنهم بوفاة رسول الله –صلى الله عليه وسلم –اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده ([٥٨]) والتف الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة –رضي الله عنه – ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين وهم مجتمعون مع أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – لترشيح من يتولى الخلافة([٥٩])، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيباً ([٦٠])

قال عمر – رضي الله عنه –: فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكر ما تمالأ عليه القوم. فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينَّهم ([٦١])، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمِّلُ بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ماله؟ قالوا: يُوعَك. فلما جلسنا قليلاً تشهَّد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله

---

[٥٦] – استخلاف أبو بكر الصديق، ص١٦٠.

[٥٧] – البخاري، كتاب الجنائز رقم ١٢٤١، ١٢٤٢.

[٥٨] – التاريخ الإسلامي (٢١/٩).

[٥٩] – عصر الخلافة الراشدة للعمري، ص٤٠.

[٦٠] – نفس المصدر، ص٤٠.

[٦١] – الرجلان هما: عويم بن ساعدة، معن بن عدي رضي الله عنهما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكتيبة الإسلام وأنتم –معشر المهاجرين– رهط، وقد دفت دافة من قومكم([٦٢])، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر([٦٣])، فلما سكت أردت أن أتكلم– وكنت قد زوَّرتُ مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر– وكنت أداري منه بعض الحدِّ، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري

إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت. فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم –فأخذ بيدي ويد أبي عُبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا– فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدّم فتضرب عنقي لايُقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسَوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن.

فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذيقُها المرجَّب، ([٦٤]) منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ([٦٥])

وفي رواية أحمد: ... فتكلم أبو بكر – رضي الله عنه – فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من شأنهم إلا وذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار، ولقد علمت يا سعد([٦٦])أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال

---

[٦٢] – أي عدد قليل.

[٦٣] – أي يخرجوننا من أمر الخلافة.

[٦٤] – الجزيل عود ينصب للإبل الجَرِبَي لتحتك به والمحكك الذي يحتك به كثيراً، أراد أن يستشفى برايه، والعذيق النخلة: أي الذي يعتمد عليه

[٦٥] – البخاري، ح ٦٨٣٠.

[٦٦] – يعني سعد بن عبادة الخزرجي – رضي الله عنه –.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرِّهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم، قال فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء. ([٦٧])

صلاح الدين وتحرير بيت المقدس

يا صلاح الدين.. أيها القائد العظيم.. لقد بعثك الله إلينا لتخَلِّص المسلمين من الذل والهوان.. لتعيد إليهم عِزَّتهم وكرامتهم المسلوبة.. ولتعلِّمهم أن النصر لا يتم إلا بالإيمان بالله ورسوله، وأَنَّ راياتِ الإسلام لن تُرفَع ماداموا متفرقين غير معتصمين بحبل الله.

في سنة ٤٩٢هـ استولى الصليبيون على بيت المقدس، فقتلوا الأطفال واغتصبوا النساء ومثلوا بالشيوخ، وهدموا المساجد، وأحرقوا البيوت، وذبحوا الآلاف من شباب المسلمين الأبرياء، واقتحموا المسجد الأقصى، وقتلوا كل من احتمى به من

المسلمين، فقتلوا أكثر من سبعين ألفًا من أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبَّادهم وزهادهم ممن فارقوا الأوطان، وجاوروا ذلك الموضع الشريف، ليحتموا به ظنًّا منهم أن الصليبيين لن يقتحموا الأماكن المقدسة.

معركة حطين

كانت معركة حطين المباركة على المسلمين في يوم السبت ١٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ في وسط نهار الجمعة وكان صلاح الدين كثيرا ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الإسلامية وكانت تجاوز العد والحصر على تعبئة حسنة وهيئة جميلة وكان قد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بعكا عندما بلغهم اجتماع الجيوش الإسلامية فسار ونزل على بحيرة طبرية ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر هجوم الصليبيين عليه إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولا خرجوا من منزلهم وكان نزولهم يوم الأربعاء ٢١ربيع الآخر فلما رآهم لا يتحركون نزل على طبرية وهاجمها وأخذها في ساعة واحدة وبقيت القلعة محتمية بمن فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصر قلعتها ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها وذلك في يوم الخميس ٢٢ ربيع الآخر

---

[٦٧] – مسند أحمد (٥/١)؛ الخلافة والخلفاء، البهنساوي، ص٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحال الليل بين المعسكرين قياما على مصاف إلى بكرة يوم الجمعة فركب الجيشان وتصادما والتحم القتال واشتد الأمر وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون وقد أيقنوا بالويل والثبور وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ولم تزل الحرب تضطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق إلا الظفر ووقع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه إلى صبيحة يوم السبت فطلب كل من الفريقين مقامه وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهاد فحملت جيوش المسلمين من جميع الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين وكان حقا عليه نصر المؤمنين ولما أحس القوم بالخذلان هرب منهم في أوائل الأمر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجا منهم وكفى الله شره وأحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب وأطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام وانهزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها أحد واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر حتى كانوا يستسلمون للأمر خوفا من القتل لما مر بهم فأسر مقدموهم وقتل الباقون.

وكان ممن سلم من مقدميهم الملك جفري وأخوه والبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك وابن الهنفري وابن صاحبة طبرية ومقدم الديوية وصاحب جبيل ومقدم الأسبتار.

قال ابن شداد: ولقد حكي لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصا واحدا معه نيف وثلاثون أسيرا قد ربطهم بوتد خيمة لما وقع عليهم من الخذلان.

وأما أرناط فان صلاح الدين كان قد نذر أنه إن ظفر به قتله وذلك لأنه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من مصر في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وبلغ السلطان فحملته حميته ودينه على أن يهدر دمه.

من مواقف صلاح الدين : لما فتح الله تعالى عليه بنصره في حطين جلس صلاح الدين في دهليز الخيمة لأنها لم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الأسارى وسار الناس يتقربون إليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمن في أيديهم منهم وهو فرح بما فتح الله تعالى على يده للمسلمين ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرا لله تعالى على ما أنعم به عليه واستحضر الملك جفري وأخاه و أرناط وناول السلطان جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم ناولها لأرناط وقال السلطان للترجمان قل للملك أنت الذي سقيته وإلا أنا فما سقيته وكان من جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فقصد السلطان بقوله ذلك ثم أمر بمسيرهم إلى موضع عينه لهم فمضوا بهم إليه فأكلوا شيئا ثم عادوا بهم ولم يبق عنده سوى بعض الخدم فاستحضرهم وأقعد الملك في دهليز الخيمة.

وأحضر صلاح الدين أرناط وأوقفه بين يديه وقال له: ها أنا أنتصر لمحمد منك ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل فسل سيفه فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضر وأخرجت جثته ورميت على باب الخيمة،فلما رآه الملك على تلك الحال لم يشك في أنه يلحقه به فاستحضره وطيب قلبه وقال له لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فإنه تجاوز الحد وتجرأ على الأنبياء صلوات الله عليهم وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور ترتفع أصواتهم بحمد الله وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر ثم نزل السلطان على طبرية يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر وتسلم قلعتها في ذلك النهار وأقام عليها إلى يوم الثلاثاء.

تحرير القدس

قال ابن شداد: لما تسلم صلاح الدين عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا أمره إليه منتهزا الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه في يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ٥٨٣هـ وكان نزوله بالجانب الغربي وكان معه من كان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة وحزر أهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفا خارجا عن النساء والصبيان ثم انتقل لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق وضايق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البلد بالزحف والقتال حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم ولما رأى أعداء الله الصليبيون ما نزل بهم من الأمر الذي لا مدفع له عنهم وظهرت لهم إمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم لما جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والأسر وعلى حصونهم من التخريب والهدم وتحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك إليه فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان واستقرت الأمور بالمراسلة من الطائفتين وكان تسلمه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله تعالى عوده إلى المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى وكان فتحه عظيما شهده من أهل العلم خلق ومن أرباب الخرق والزهد عالم وذلك أن الناس لما بلغهم ما يسره الله تعالى على يده من فتوح الساحل وقصده القدس قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف أحد منهم وارتفعت الأصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب القاضي محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي.

وقد كتب عماد الدين الأصبهاني رسالة في فتح القدس،وجمع كتابا سماه الفتح القسي في الفتح القدسي وهو في مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى في هذه الواقعة.

وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الشاعر المشهور هذا الفتح فأنشد السلطان صلاح الدين قصيدته التي أولها:

هذا الذي كانت الآمال تنتظر* * * * *فليوف لله أقوام بما نذروا

وهي طويلة تزيد على مائة بيت يمدحه ويهنيه بالفتح.

يقول بهاء الدين بن شداد في السيرة الصلاحية: نكس الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان شكلا عظيما ونصر الله الإسلام على يده نصرا عزيزا ، وكان الإفرنج قد استولوا على القدس سنة ٤٩٢هـ ولم يزل بأيديهم حتى استنقذه منهم صلاح الدين، وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين دينارا وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينارا واحدا فمن أحضر قطيعته نجا بنفسه وإلا أخذ أسيرا وأفرج عمن كان بالقدس من أسرى المسلمين وكانوا خلقا عظيما وأقام به يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والرجال ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه وتقدم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بإيصال من قام بقطيعته إلى مأمنه وهي مدينة صور ولم يرحل عنه ومعه من المال الذي جبي له شيء وكان يقارب مائتي ألف دينار وعشرين ألفا وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من سنة ٥٨٣هـ([٦٨])

يوسف بن تاشفين وانتصاره في " الزلاقة " في الأندلس .([٦٩])

وكان يوسف بن تاشفين يتمتع بصفات جعلته محبوبًا؛ فهو شهم، حازم، شجاع علاوة على قدرته على القيادة والزعامة، ومهابة الناس له، مما جعل الناس تلتف حوله، وتساعده في العمليات العسكرية، ونشر تعاليم الإسلام في المغرب الأقصى، وبناء دولة المرابطين، ولما عاد أبو بكر بن عمر بعد قضائه على الفتنة وجد يوسف بن تاشفين يتمتع بمكانة عالية بين جنده ورعيته، فتنازل له رسميًّا عن السلطة وخلع نفسه وأقام مكانه ابن عمه يوسف.

اتخذ ابن تاشفين مدينة (مراكش) التي أنشأها عاصمة لملكه سنة ٤٦٥هـ لتكون نقطة الانطلاق لتوحيد وتجميع قبائل المغرب الأقصى تحت سيطرته، وبناء دولة قوية، كما أنشأ أسطولاً بحريًّا، ساعده على ضم المناطق المطلة على مضيق جبل طارق مما سهل ضم المغرب الأوسط، وأقام ابن تاشفين علاقات سياسية مع جيرانه من أمراء المغرب والمشرق، كما أحاط نفسه بمجموعة من الأتباع ينظمون أمور الدولة، فأعطى دولته طابع الملك.([٧٠])

فلما اشتدت هجمات الأسبان والفرنجة على مناطق المسلمين في الأندلس ، واتسع نطاق غزوهم لتلك البلاد فرضوا على حكامها الجزية وسقطت مدينة " طليطلة " في يد " ألفونسو السادس " ملك " قتشالة " ومملكه " بني ذي النون " في سنة ٤٨٧هـ وتهديده لهم جميعا بالويل والفناء ... وهم في حال تمزق وضعف وهوان لا يقدرون على الوقوف أمام ذلك الخطر الداهم الذي بات يهدد الوجود الإسلامي كله في الأندلس المسلمة ، وعندما أرسل " ألفونسو " رسولا إلى " المعتمد بن عباد " حاكم " اشبيلية " يطلب منه الخضوع له فضر ب" ابن

---

[٦٨] – مشاهير أعلام المسلمين – ص ١٢–١٣–

[٦٩] – الكامل في التاريخ – (ج ٤ / ص ٣٢٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب – (ج ١ / ص ٣٦) صفة جزيرة الأندلس – (ج ١ / ص ٣١) تاريخ الإسلام للذهبي – (ج ٧ / ص ٢٩١) البداية والنهاية – (ج ١٣ / ص ١٤) دولة السلاجقة – (ج ١ / ص ٢٣٣) دولة المرابطين – (ج ١ / ص ١٠١)

[٧٠] – مشاهير أعلام المسلمين – (ج ١ / ص ٤٨)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عباد " الرسول وقتل من معه وقال كلمته الشهيرة(لأن أكون راعي عند يوسف بن تاشفين خير من أكون قائدا كبيرا عند الأذقونش) وقد تتابعت وفود الأندلس التي ضمت الفقهاء من الأهالي على " يوسف بن تاشفين " في حاضرة دولته " مراكش " وشكوا إليه ما صار إليه حالهم من غزو الأعداء لبلادهم وطلبوا منه أن يتقدم لينقذ الإسلام والمسلمين قبل أن يصبحوا أثرا بعد عين تلك الديار (٧١) وعندئذ عزم القائد المنتصر أن يلبي نداء الجهاد في سبيل الله عملا بقول الله سبحانه وتعالي ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعلمون بصير﴾ [الأنفال ٧٢]

وكتب إلى رجال دولته يقول : ولما بلغنا من استحواذ النصارى على بلاد الأندلس و معاقلتها وإلزام الجزية لرؤسائها واستئصال أقاليمها و إيطائهم البلاد دارا لا يتخوف عسكرا يخرج إليهم فيبدد جمعهم ويفل حدهم وهم مع ذلك كله يقتلون الشباب والشباب ويأسرون النساء والصبيان فخوطبنا عن الجواز إلي الأندلس من جميع الأحواز المرة بعد المرة وألوتنا الأعذار إلي وقت الأقدار (٧٢)

وهكذا قرر " يوسف بن تاشفين " أن يلبي نداء أهل الأندلس وأن يبادر إلى نجدتهم وبدأت الاستعدادات للجهاد وهو يقرأ قول الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ﴾ [النساء ٧١] بدأت قوات الجيوش المرابطة بالاستعداد للموقعة التاريخية الفاصلة ، ونتابع وصولها من جميع أنحاء المغرب العربي إلى " مضيق جبل طارق " وتم حشدها عند بلدة "سبته " وكان أول ما عبر منها قوة من الفرسان المرابطة بقيادة " داود بن عائشة " التي اجتازت المضيق إلي الجزيرة الخضراء بالأندلس وسيطرت عليها لتكون عليها وفقا لما تم الاتفاق عليه بين " يوسف " وقادة الأندلس لتكون قاعدة تصل إليها القوات الأخرى تباعا عند عبورها ، ولما اكتملت عبور القوات عبر الشيخ " يوسف بن تاشفين " الذي أشرف على الثمانين عاما ولم يمنعه كبر سنه من أن يكون على رأس المجاهدين حدث ذلك في ضحي يوم الخميس منتصف ربيع الأول لسنة ٤٧٩هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٠٨٦م وما إن مخرت السفن عباب البحر حتى اضطربت أمواجه وتعالت فنهض

---

٧١ – تاريخ قضاه الأندلس ص ٩٧ لأبي الحسن عبد الله البناهي .

٧٢ –– دولة الإسلام في الأندلس ص٣١٥ لمحمد عبد الله عنان .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيخ المؤمن وسط سفينه وبسط يديه بالدعاء إلى الله العلي القدير قائلا " اللهم أن كنت تعلم أن جوازنا هذا خيرة للمسلمين فسهل علينا جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعبة حتى لا أجوزه " وما كاد يتم هذا الدعاء حتى سهل الله ، وهبت ريح طيبة ووصلت السفن إلي أرض الأندلس ، عندما علم " الفونسو السادس " مالك " قشتاله " بعبور " يوسف " وجيوشه إلى الأندلس ، وكان حينئذ يحاصر مدينة " سرقسطة " في شمال الأندلس ترك الحصار على عجل ، وبدأ يطلب النجدة من ملوك وأمراء أوربا بالتقوى بهم على محاربة المسلمين ، واتحادهم تحت راية البطل المرابطي فأرسل إلى " سانشو راميزر " ملك " أرجون " وتجمع ما استطاع حشده من قوات " جليقية " و " واشتوريش " و " سكونية " وتقاطر عليه سيل من الفرسان المتطوعين من جنوب فرنسا وإيطاليا وخطط " الفونسو " أن تكون المعركة مع المسلمين على أرضهم حتى لا تخرب بلاده إذا وقعت بها الهزيمة وسار على رأس القوات التي جمعها إلى الجنوب للقاء جيوش المسلمين وكان واثقا من تفوقه في العدة والكفائه الفنية ... واستقرت الجيوش الأوروبية بقيادة " الفونسو السادس " في مكان بعيد نحو ثلاثة أميال عن المعسكر الإسلامي لا يفصل بينها وبين المسلمين سوي فرع وادي " يانة " الممتد شمالا في اتجاه نهر " التاجة " الذي يعرف بنهر

" جريرو " وتقدر الروايات العربية جيش الفرنجة والأسبان بثمانين ألف مقاتل ويقدرها آخرون بخمسين ألفا ، وكانت الجيوش الإسلامية تنقسم إلى قسمين القوات الأندلسية وتحتل المقدمة ويقودها " المعتمد بن عباد " ويقود " التوكل بن الأفطس " قوات الميمنة منها وتشغل أهل شرق الأندلس المسيرة ، أما القوات المرابطة الضاربة فكانت تحتل المؤخرة وتنقسم إلى قسمين : الفرسان من أبناء القبائل ويتولى قيادتها " داود بن عائشة " أحد أبرز وأشجع قواد المرابطين ، ويتولى " يوسف بن تاشفين " الجيش الاحتياطي المؤلف من نخبة أنجاد المرابطين وقوات حرسه الخاص من الأفارقة الذين أعدهم لهذه المعركة .

بعث قائد المسلمين " يوسف بن تاشفين " قبل المعركة إلى ملك قشتالة برسالة عملا بأحكام السنة النبوية الشريفة وعرض عليه : أما الدخول في الإسلام ويكون له ما لهم وعليه ما عليهم أو الجزية أو الحرب ومما جاء فيها : " بلغنا يا أدفونش – كما يطلق المسلمين على الفونسو أنك دعوت إلى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر فيها البحر إلينا ، فقد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبرنا إليك ، وقد جمع الله في هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين إلا في ضلال . ([٧٣])

وعندما قرأ " الفونسو " الخطاب اشتد غضبه ورد على قائد المسلمين بكتاب غليظ فيه تهديد ووعيد وإنذارهم بأوخم العواقب ، ولكن " يوسف بن تاشفين " رد عليه بكلمات فقط قال فيها " الذي يكون ستراه " وقد حاول " ألفونسو " خديعة المسلمين في تحديد يوم الموقعة ، فأرسل إلى " المعتمد بن عباد " أكبر قواد الأندلس يوم الخميس يقول له : ان غدا يوم الجمعة وهو عيدكم ، وبعده السبت يوم اليهود وهم كثير في محلتنا ، وبعده الأحد وهو عيدنا ، فيكون اللقاء يوم الاثنين ، وقد أدراك " ابن عباد " و " يوسف بن تاشفين " خديعة " ألفونسو " وبالفعل جاءت طلائع المسلمين في الليل تنبئ أن معسكر النصارى في حركة وضوضاء وجلبة أسلحة ، ومما يدل علي استعداد القوم لبدء القتال . ومن ثم فقد لبث المسلمون على أهبتهم حذرين متجهزين وصدق حدس المسلمين فما كاد يتنفس صبح يوم الجمعة ١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ – ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦ م .

حتى بدأ هجوم " ألفونسو " وقوات " القشتاليين " " الأرجوانيين " التي يقودها " البارهانيس " وكان هجوما عنيفا رد قوات الأندلس بقيادة " المعتمد بن عباد " إلى الخلف ودفعها للتراجع عن مواقعها وكثر القتال في جند الأندلس ، كادت تدور عليهم الدائرة دون أن يتقدم لا نجادهم أحد ، وفي الوقت نفسه كان " الفونسو " قد هاجم مقدمة المرابطين الذي يقودهم " داود بن عائشة " ورده عن مواقعه عندئذ دفع القائد البطل " يوسف " بقوات البربر التي يقودها أبرع وأشجع قواده وهو " سيرين بن أبي بكر اللمتوني " لإنجاد الأندلسيين والمرابطين معا واستطاع هذا الهجوم أن ينفذ إلى قلب قوات " ألفونسو " من الفرنجة والأسبان وأدي ذلك إلى تغير سير المعركة واسترد الأندلسيون والمرابطون مواقعهم وثبتوا فيها واشتد القتال بين الطرفين وسرعان ما رجحت كفة المسلمين ، وفي هذا الحال حاول " ألفونسو " أن يتقدم بقواته اتجاه خيام المرابطين وبالفعل اقتحم الخندق الذي يحميها ، وفي ذلك الحين استخدم " يوسف " إستراتيجية غير المباشرة الذكية وبدلا أن

---

[٧٣] – المصدر السابق ص ٣٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يواجه " ألفونسو " وقواته تقدم بقواته الاحتياطية المكونة من أنجاد المرابطين الشجعان وتجاوزا المهاجمين وقصد إلى معسكر الأعداء ذاته وكانت تحرسه قوة ضعيفة لأن معظم قوات العدو ألقى بها " ألفونسو " في ميدان القتال ، أملا في أن يحرز نصرا سريعا ولكن خابا ظنه وتفوق عليه " يوسف " بثباته وشجاعته وعبقريته العسكرية فلما عرف "ألفونسو " ما حل بعسكرة ارتد من فوره لينقذ مملكته من الهلاك ، واصطدام بآخر المرابطين ووقعت بينهما معركة ضاربة وفشل ملك " قشتالة " في الوصول إلى معسكره الذي احتراق بعد أن أضرم فيه جيوش المرابطين النار ، واستمر القتال عنيفا و " يوسف " فوق فرسه على رأس جنوده يصول ويجول ويحض جنده على الثبات ويرغبهم في الاستشهاد ودوي الطبول من حوله يصم الآذان ويدخل الرعب إلى نفوس جنود الأعداء كما عمد المرابطون إلى القتال في صفوف متراصة متناسقة ثابتة وهي خطة جديدة لهم في القتال ، ولم يكن للفرسان الأسبان عهد بمثل هذه الطريقة في الحرب إذا كانوا معتادين على القتال الفردي وأودى هذا إلى أن يفقدوا توازنهم رغم تفوقهم في السلاح وعجزوا عن مقاومة هذه الصفوف المتراصة القوية وكانت المفاجأة الآخرة عندما دفع " يوسف " بحرسه الخاص من الأفارقة قوامه أربعة آلاف مقاتل إلى قلب المعمعة واستطاع أحدهم أن يصل إلى ملك " قشتالة " وأن يطعنه بخنجره في فخذه طعنة نافذة وأدرك " ألفونسو " وقادته وفرسانه أنهم يواجهون الموت . إذا استمروا في موقفهم وعندئذ أسرع " ألفونسو " وصحبة إلى التراجع بسرعة والانسحاب مهزومين بعد أن مزقت صفوف جيشه وتم القضاء عليهم ، وفي بعض الروايات لم يبق منها إلا عدد محدود لم يتجاوزوا الأربعمائة ونجا " ألفونسو " جريحا بجلده بعدما أن لحقت به الهزيمة منكرة ، ووصف " يوسف بن تاشفين " النصـــر في موقعه " الزلاقة " في رســالته قائلا : وتسـلل" ألفنش " تحت الظلام نارا لا يهدأ ولا ينام ومات من الخمسمائة فارس الذين معه بالطريق أربعمائة فلم يدخل طليطلة إلا في مائة فارس . ([٧٤])

وذعت أنباء النصر المبين في الحال إلى سائر البلاد الأندلس والمغرب واستبشر المسلمون خيرا ، فقدا كان يوم " الزلاقة " من أيام الإسلام المشهود في انتصار موقعة " الزلاقة " وهزيمة

[٧٤] – دولة الإسلام في الأندلس ٣٢٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جيوش أوروبا أن يثبت الإسلام والمسلمون على أرض الأندلس خمسة قرون أخرى مجد الشعراء " يوسف بن تاشفين " وجهاد وما حققه من انتصار فقال أبو طالب عبد الجبار .

فإذا أراد الله نصر الدين استصرخ الناس ابن تاشفين .

و هكذا يكون الخروج من الأزمات بتقدير رب الأرض و السموات و تهيئة للقائد الرباني الذي به تقال عثرات الأمة و ترفع رأسها لا يذلها جبار أو كفار و ظالم عنيد ٠

لقد شحت الأمة من أمثال هؤلاء الأفذاذ الذين تربوا على معاني الإباء و الحمية الربانية ، فالواجب على الأمة أن تعمل جاهدة على إيجاد تلك النماذج المشرقة المشرفة ،لا تلك النماذج التي تربة على الترف و البذخ و الرضا بالدون ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

سنن الابتلاء، التمحيص:

اعلم علمني الله و إياك : أن طريق الحق ليس مفروشا بالورود و الرياحين و ليس طريقا سهلا بل هو طريق ناح فيه نوح ألف سنة إلا خمسين عاما و القي في النار خليل الرحمن إبراهيم – عليه الصلاة و السلام –و اضطجع للذبح إسماعيل و القي في الْيَمِّ موسى و نُشر فيه زكريا بالمنشار و أُهدية رأس يحيى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل و القي فيه نبي الله دانيال بين يدي الحيوان المفترس و شُجَّ فيه رأس النبي – صلى الله عليه و سلم _و قتل في ذلك الطريق سلة من الأخيار و كوكبة من الأطهار أمثال سمية و حمزة عم النبي المختار ..و ما يحدث الآن في أرض البسالة و الفداء في غزة إنما هو سنة من سنن الله تعالى في عباده ليصطفي منهم من يستحق القرب و النصر و التمكين ،لذا وجب علينا أن تعرف على تلك السنة الربانية التي لابد منها و لا مفر لمن آمن و أقر ولقد أوضح الله تعالى للسالكين تلك السنة في كتابه و إليك البيان من كتاب الرحمن و من سنة النبي – العدنان – صلى الله عليه و سلم – : نبّه إليها القرآن الكريم : سنة الابتلاء ، فهي تضع المؤمن على محك الاختبار ، يقول الله تعالى : { أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ] [العنكبوت : ٢ ، ٣]} ، و للعلامة الفخر الرازي كلام جليل في تفسير هذه الآية يقول – رحمه الله – في التفسير قوله : { أَحَسِبَ الناس أَن يُتْرَكُواْ } يعني أظنوا أنهم يتركون بمجرد قولهم آمنا وهم لا يفتنون لا يبتلون بالفرائض البدنية والمالية ، واختلف أئمة النحو في قوله : { أَن يَقُولُواْ } فقال بعضهم : أن يتركوا بأن يقولوا ، وقال بعضهم : أن يتركوا يقولون آمنا ، ومقتضى ظاهر هذا أنهم يمنعون من قولهم آمنا ، كما يفهم من قول القائل تظن أنك تترك أن تضرب زيد أي تمنع من ذلك ، وهذا بعيد فإن الله لا يمنع أحداً من أن يقول آمنت ، ولكن مراد هذا المفسر هو أنهم لا يتركون يقولون آمنا من غير ابتلاء فيمنعون من هذا المجموع بإيجاب الفرائض عليهم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسألة السادسة : في الفوائد المعنوية وهي أن المقصود الأقصى من الخلق العبادة والمقصد الأعلى في العبادة حصول محبة الله كما ورد في الخبر « لا يزال العبد يتقرب إلي بالعبادة حتى أحبه وكل من كان قلبه أشد امتلأ من محبة الله فهو أعظم درجة عند الله » لكن للقلب ترجمان وهو اللسان ، وللسان مصدقات هي الأعضاء ، ولهذه المصدقات مزكيات فإذا قال الإنسان آمنت باللسان فقد ادعى محبة الله في الجنان ، فلا بد له من شهود فإذا استعمل الأركان في الإتيان بما عليه بنيان الإيمان حصل له على دعواه شهود مصدقات فإذا بذل في سبيل الله نفسه وماله ، وزكى بترك ما سواه أعماله ، زكى شهوده الذين صدقوه فيما قاله ، فيحرر في جرائد المحبين اسمه ، ويقرر في أقسام المقربين قسمه ، وإليه الإشارة بقوله : { أَحَسِبَ الناس أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءامَنَّا } يعني أظنوا أن تقبل منهم دعواهم بلا شهود وشهودهم بلا مزكين ، بل لا بد من ذلك جميعه ليكونوا من المحبين .

فائدة ثانية : وهي أن أدنى درجات العبد أن يكون مسلماً فإن ما دونه دركات الكفر ، فالإسلام أول درجة تحصل للعبد فإذا حصل له هذه المرتبة كتب اسمه وأثبت قسمه ، لكن المستخدمين عند الملوك على أقسام منهم من يكون ناهضاً في شغله ماضياً في فعله ، فينقل من خدمة إلى خدمة أعلى منها مرتبة ، ومنهم من يكون كسلاناً متخلفاً فينقل من خدمة إلى خدمة أدنى منها ، ومنهم من يترك على شغله من غير تغيير ، ومنهم من يقطع رسمه ويمحى من الجرائد اسمه ، فكذلك عباد الله قد يكون المسلم عابداً مقبلاً على العبادة مقبولاً للسعادة فينقل من مرتبة المؤمنين إلى درجة الموقنين وهي درجة المقربين ومنهم من يكون قليل الطاعة مشتغلاً بالخلاعة ، فينقل إلى مرتبة دونه وهي مرتبة العصاة ومنزلة القساة ، وقد يستصغر العيوب ويستكثر الذنوب فيخرج من العبادة محروماً ويلحق بأهل العناد مرجوماً ، ومنهم من يبقى في أول درجة الجنة وهم البله ، فقال الله بشارة للمطيع الناهض { أَحَسِبَ الناس أَن يُتْرَكُواْ } يعني أظنوا أنهم يتركون في أول المقامات لا ، بل ينقلون إلى أعلى الدرجات كما قال تعالى : { والذين أُوتُواْ العلم درجات } [المجادلة : ١١] { فَضَّلَ الله المجاهدين . . . عَلَى القاعدين دَرَجَةً } [النساء : ٩٥] . وقال بضده للكسلان { أَحَسِبَ الناس أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءامَنَّا } يعني إذا قال آمنت ويتخلف بالعصيان يترك ويرضى منه ، لا بل ينقل إلى مقام أدنى وهو مقام العاصي أو الكافر .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) }

ذكر الله ما يوجب تسليتهم فقال : كذلك فعل الله بمن قبلكم ولم يتركهم بمجرد قولهم { آمنا } بل فرض عليهم الطاعات وأوجب عليهم وفي قوله : { فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ } وجوه :

الأول : قول مقاتل فليرين الله

الثاني : فليظهرن الله

الثالث : فليميزن الله ، فالحاصل على هذا هو أن المفسرين ظنوا أن حمل الآية على ظاهرها يوجب تجدد علم الله والله عالم بالصادق والكاذب قبل الامتحان ، فكيف يمكن أن يقال بعلمه عند الامتحان فنقول الآية محمولة على ظاهرها وذلك أن علم الله صفة يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع ، فقبل التكليف كان الله يعلم أن زيداً مثلا سيطيع وعمراً سيعصي ، ثم وقت التكليف والإتيان يعلم أنه مطيع والآخر عاص وبعد الإتيان يعلم أنه أطاع والآخر عصى ولا يتغير علمه في شيء من الأحوال ، وإنما المتغير المعلوم ونبين هذا بمثال من الحسيات ولله المثل الأعلى ، وهو أن المرآة الصافية الصقيلة إذا علقت من موضع وقوبل بوجهها جهة ولم تحرك ثم عبر عليها زيد لابساً ثوباً أبيض ظهر فيها زيد في ثوب أبيض ، وإذا عبر عليها عمرو في لباس أصفر يظهر فيها كذلك فهل يقع في ذهن أحد أن المرآة في كونها حديداً تغيرت ، أو يقع له أنها في تدويرها تبدلت ، أو يذهب فهمه إلى أنها في صقالتها اختلفت أو يخطر بباله أنها عن سكانها انتقلت ، لا يقع لأحد شيء من هذه الأشياء ويقطع بأن المتغير الخارجات ، فافهم علم الله من هذا المثال بل أعلى من هذا المثال ، فإن المرآة ممكنة التغير وعلم الله غير ممكن عليه ذلك فقوله : { فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ } يعني يقع ممن يعلم الله أن يطيع الطاعة فيعلم أنه مطيع بذلك العلم { وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين } يعني من قال أنا مؤمن وكان صادقاً عند فرض العبادات يظهر منه ذلك ويعلم ومن قال ذلك وكان منافقاً كذلك يبين ، وفي قوله : { الذين صَدَقُوا } بصيغة الفعل وقوله { الكاذبين } باسم الفاعل فائدة مع أن الاختلاف في اللفظ أدل على الفصاحة ، وهي أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ أمره وفلان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نافذ الأمر فإنه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك إذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكاليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين { الذين صَدَقُوا } بصيغة الفعل أي وجد منهم الصدق وقال في حق الكافر { الكاذبين } بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام ولهذا قال : { يَوْمُ يَنفَعُ الصادقين صِدْقُهُمْ } [المائدة : ١١٩] بلفظ اسم الفاعل ، وذلك لأن في اليوم المذكور الصدق قد يرسخ في قلب المؤمن وهو اليوم الآخر ولا كذلك في أوائل الإسلام . ([٧٥])

و يقول تعالى مبينا لتلك السنة في موطن آخر { كقوله تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البأسآء والضرآء وَزُلْزِلُواْ حتى يَقُولَ الرسول والذين آمَنُواْ مَعَهُ متى نَصْرُ الله ألا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ <البقرة : ٢١٤] }

يقول الرازي — رحمه الله –والمقصود من هذه الآية ما ذكرنا أن أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام كان ينالهم الأمر العظيم من البأساء والضراء من المشركين والمنافقين واليهود ، ولما أذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الأموال والنفوس ما لا يخفى ، فعزاهم الله في ذلك وبين أن حال من قبلهم في طلب الدين كان كذلك ، والمصيبة إذا عمت طابت ، وذكر الله من قصة إبراهيم عليه السلام وإلقائه في النار ، ومن أمر أيوب عليه السلام وما ابتلاه الله به ، ومن أمر سائر الأنبياء عليهم السلام في مصابرتهم على أنواع البلاء ما صار ذلك في سلوة المؤمنين .

روى قيس بن أبي حازم عن خباب بن الأرت ، يقول أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه فقال لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله زاد بيان والذئب على غنمه » ([٧٦])([٧٧])

---

[٧٥] – تفسير الرازي – (ج ١٢ / ص ١٢٢–١٢٣)

[٧٦] –أخرجه البخاري في صحيحه ح ٣٨٥٢ و هذه الرواية غير الرواية التي ذكرها الرازي و لقد استبدلتها بتلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول ابن عثيمين – رحمه الله –الفوائد:

١ –من فوائد الآية: عناية الله عزّ وجلّ بهذه الأمة، حيث يسليها بما وقع بغيرها؛ لقوله تعالى: { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم... } إلخ؛ وهكذا كما جاء في القرآن جاء في السنة؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم لما جاءه أصحابه يشكون إليه بمكة فأخبرهم: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه، وعظمه؛ ما يصده ذلك عن دينه» ([٧٨]) تثبيتاً للمؤمنين.

٢ –ومن فوائد الآية: إثبات الجنة.

٣ –ومنها: أن الإيمان ليس بالتمني، ولا بالتحلي؛ بل لا بد من نية صالحة، وصبر على ما يناله المؤمن من أذًى في الله عزّ وجلّ.

٤ – ومنها: حكمة الله عزّ وجلّ، حيث يبتلي المؤمنين بمثل هذه المصائب العظيمة امتحاناً حتى يتبين الصادق من غيره، كما قال تعالى: { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم} [محمد: ٣١] ؛ فلا يُعرف زيف الذهب إلا إذا أذبناه بالنار؛ ولا يُعرف طيب العود إلا إذا أحرقناه بالنار؛ أيضاً لا يعرف المؤمن إلا بالابتلاء والامتحان؛ فعليك يا أخي بالصبر؛ قد تؤذى على دينك؛ قد يستهزأ بك؛ وربما تلاحَظ؛ وربما تراقَب؛ ولكن اصبر، واصدق، وانظر إلى ما حصل من أولي العزم من الرسل؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ساجداً لله في آمن بقعة على الأرض – وهو المسجد الحرام –؛ فيأتي طغاة البشر بفرث الناقة، ودمها، وسلاها، يضعونها عليه وهو ساجد؛ هذا أمر عظيم لا يصبر عليه إلا أولو العزم من الرسل؛ ويبقى ساجداً حتى تأتي ابنته فاطمة وهي جويرية – أي صغيرة – تزيله عن ظهره فيبقى القوم يضحكون، ويقهقهون ([٧٩])؛ فاصبر، واحتسب؛

---

[٧٧] – تفسير الرازي – (ج ٣ / ص ٢٥٤)

[٧٨] – أخرجه البخاري ص٥٧٩، كتاب الإكراه، باب ١: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، حديث رقم ٦٩٤٣.

[٧٩] –(أخرجه البخاري ص٢٢، كتاب الوضوء، باب ٦٩: إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، حديث رقم ٢٤٠، وأخرجه مسلم ص٩٩٧، كتاب الجهاد والسير، باب ٣٩: ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم ٤٦٤٩ [١٠٧] ١٧٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واعلم أنه مهما كان الأمر من الإيذاء فإن غاية ذلك الموت؛ وإذا مت على الصبر لله عزّ وجلّ انتقلت من دار إلى خير منها.

٥ –ومن فوائد الآية: أنه ينبغي للإنسان ألا يسأل النصر إلا من القادر عليه –وهو الله عزّ وجلّ –؛ لقوله تعالى: { متى نصر الله }.

٦ –ومنها: أن المؤمنين بالرسل منهاجهم منهاج الرسل يقولون ما قالوا؛ لقوله تعالى: {حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله}؛ يتفقون على هذه الكلمة استعجالاً للنصر.

٧ –ومنها: تمام قدرة الله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: {ألا إن نصر الله قريب}.

٨ –ومنها: حكمة الله، حيث يمنع النصر لفترة معينة من الزمن –مع أنه قريب –.

٩ –ومنها: أن الصبر على البلاء في ذات الله عزّ وجلّ من أسباب دخول الجنة؛ لأن معنى الآية: اصبروا حتى تدخلوا الجنة.

١٠ –ومنها: تبشير المؤمنين بالنصر ليتقووا على الاستمرار في الجهاد ترقباً للنصر المبشرين به.

١١ – ومنها: الإشارة إلى ما جاء في الحديث الصحيح: «حفت الجنة بالمكارة» ([٨٠])؛ لأن هذه مكارة؛ ولكنها هي الطريق إلى الجنة.

١٢ – ومنها: أنه لا وصول إلى الكمال إلا بعد تجرع كأس الصبر؛ لقوله تعالى: { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم... } إلخ.([٨١])

يقول سيد قطب – رحمه الله –في قوله { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)} هكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولى ، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها ، وإلى سنته – سبحانه – في تربية عباده المختارين ، الذين يكل إليهم رايته ، وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته . وهو خطاب مطرد لكل من يختار لهذا الدور العظيم . .

---

[٨٠] – أخرجه مسلم ص١١٦٩، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ١: صفة الجنة، حديث رقم ٧١٣٠ [١] ٢٨٢٢.

[٨١] – تفسير ابن عثيمين لسورة البقرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإنها لتجربة عميقة جليلة مرهوبة . . إن هذا السؤال من الرسول والذين آمنوا معه . من الرسول الموصول بالله ، والمؤمنين الذين آمنوا بالله . إن سؤالهم : { متى نصر الله؟ } ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة.

ولن تكون إلا محنة فوق الوصف ، تلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب ، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب : { متى نصر الله؟ } . .

وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة . . عندئذ تتم كلمة الله ، ويجيء النصر من الله : { ألا إن نصر الله قريب } . .

إنه مدخر لمن يستحقونه . ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية . الذين يثبتون على البأساء والضراء . الذين يصمدون للزلزلة.

الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة . الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله ، وعندما يشاء الله . وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها ، فهم يتطلعون فحسب إلى { نصر الله } ، لا إلى أي حل آخر ، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله . ولا نصر إلا من عند الله .

بهذا يدخل المؤمنون الجنة، مستحقين لها ، جديرين بها ، بعد الجهاد والامتحان ، والصبر والثبات ، والتجرد لله وحده ، والشعور به وحده ، وإغفال كل ما سواه وكل من سواه .

إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة ، ويرفعها على ذواتها ، ويطهرها في بوتقة الألم ، فيصفو عنصرها ويضيء ، ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية ، فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها . وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجاً كما وقع ، وكما يقع في كل قضية حق ، يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق ، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم ، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين . .

على أنه – حتى إذا لم يقع هذا – يقع ما هو أعظم منه في حقيقته. يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنتها، وأن تنطلق من إسار الحرص على الدعة والراحة، والحرص على الحياة نفسها في النهاية. . وهذا الانطلاق كسب للبشرية كلها، وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء. كسب يرجح جميع الآلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون، والمؤتمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته.

وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف . . وهذا هو الطريق . .

هذا هو الطريق كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولى ، وللجماعة المسلمة في كل جيل .

هذا هو الطريق: إيمان وجهاد. . ومحنة وابتلاء. وصبر وثبات . . وتوجه إلى الله وحده .

ثم يجيء النصر . ثم يجيء النعيم . .(٨٢)

و تعالى أخي الحبيب لترى تلك السنة ماثلة أمام عينيك في كتاب ربك عز وجل – عند يحدثنا عما أصاب المسلمين في غزوة احد يقول الله تعالى{ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) [آل عمران/١٣٧-١٤٢]

يقول الله تعالى{ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)

يقول ابن عاشور – رحمه الله – والمعنى : قد مضت من قبلكم أحوال للأمم ، جارية على طريقة واحدة ، هي عادة الله في الخلق ، وهي أنّ قوّة الظالمين وعتّوهم على الضعفاء أمر زائل ، والعاقبة للمتّقين المحقّين ، ولذلك قال : { فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين } أي المكذّبين برسل ربّهم وأريد النظر في آثارهم ليحصل منه تحقّق ما بلغ من أخبارهم ، أو السؤال عن أسباب هلاكهم ، وكيف كانوا أولي قوة ، وكيف طغوا على المستضعفين ، فاستأصلهم الله أو لتطمئنّ نفوس المؤمنين بمشاهدة المخبر عنهم مشاهدةَ عيان ، فإنّ للعيان بديع معنى لأنّ بَلَغتهم أخبار المكذّبين ، ومن المكذّبين عاد وثمود وأصحاب

---

٨٢ – في ظلال القرآن – (ج ١ / ص ١٩٧)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأيكة وأصحاب الرسّ ، وكلّهم في بلاد العرب يستطيعون مشاهدة آثارهم ، وقد شهدها كثير منهم في أسفارهم .)([٨٣])

ثم خاطب بذلك البيان الرباني الناس جميعا أن سنن الله تعالى جارية في خلقه و أن النصر و التمكين ليس إلا للموحدين الذين ساروا على درب الأنبياء و الرسل و أوضح سبحانه أنه لا ينتفع بذلك إلا أهل التقوى يقول تعالى – { هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ } يقول القطان – وفي الذي تقدم بيان للناس كافة ، وهدى وموعظة للمتقين خاصة . فهو يرشد إلى أنَّ سنن الله حاكمة على الأنبياء والرسل كما هي حاكمة على سائر خلقه . أما كونه هدى وموعظة للمتقين خاصة فلأنهم هم الذين يهتدون بمثل هذه الحقائق ، ويتعظون بما تنطبق عليها من الوقائع ، فيسيرون على النهج السوي ، ويتجنّبون نتائج الإهمال التي تظهر لهم مضرّةُ عاقبتها .)([٨٤])

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) }

يقول السعدي – رحمه الله – يقول تعالى مشجعا لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومناهضا لهممهم: { ولا تهنوا ولا تحزنوا } أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال [تعالى]: { وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين } .

---

[٨٣] – التحرير والتنوير – (ج ٣ / ص ٢٢١)

[٨٤] – تفسير القطان – (ج ١ / ص ٢٢٣)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم سلاهم بما حصل لهم من الهزيمة، وبيَّن الحكم العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: { إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله } فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: { إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون } .

ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا.

{ وليعلم الله الذين آمنوا } هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك.

{ ويتخذ منكم شهداء } وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، { والله لا يحب الظالمين } الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله.

{ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين } .

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في آيات أخر من كتاب الله [وقوله : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الذين جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصابرين } [آل عمران : ١٤٢] وقوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نَعْلَمَ المجاهدين مِنكُمْ والصابرين وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } [محمد : ٣١] وقوله تعالى : { مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين على مَآ أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الخبيث مِنَ الطيب } [آل عمران : ١٧٩] الآية . وقوله تعالى : { وَلِيَبْتَلِيَ الله مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ والله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور } [آل عمران : ١٥٤

] الآية . وقوله تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الذين جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ الله وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ المؤمنين وَلِيجَةً والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [التوبة : ١٦] إلى غير ذلك من الآيات ، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله هنا : { وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ } [العنكبوت : ٣] الآية . وقد بينت السنة الثابتة أن هذا الابتلاء المذكور في هذه الآية يبتلى به المؤمنون على قدر ما عندهم من الإيمان ، كقوله صلى الله عليه وسلم « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل » .([٨٥])

و لقد رسخت تلك السنة في نفوس المؤمنين و المؤمنات على مر العصور و الطهور فهذا ورقة بن نوفل – رضي الله عنه – لما جاء الرسول و خبره بخبره و دار بينهم الحوار التالي

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال{اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم}فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله

---

[٨٥] – تفسير السعدي – (ج ١ / ص ١٤٩)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي)([٨٦])

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان وإن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش([٨٧]) ([٨٨]) .

يقول النووي – رحمه الله – قوله سبحانه وتعالى : { إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك} معناه : لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده ، والصبر في الله تعالى وغير ذلك ، وأبتلي بك من أرسلتك إليهم ، فمنهم من يظهر إيمانه ، ويخلص في طاعاته ، ومن يتخلف ، ويتأبد بالعداوة والكفر ، ومن

---

[٨٦] – أخرجه الحميدى (٥٢٧) أحمد – (٢٢٠/١) (١٩١٠ البخاري – ح٣ مسلم – (٣٤/٢) النسائى – (١٤٩/٢). وفى السنن الكبرى (٩١٧)

[٨٧] –فسره في الحديث بأنه الفحاش وهو السيئ الخلق

[٨٨] – أخرجه مسلم ج ١٧ ، ص ١٩٧ ١٩٨ و أحمد ح١٧٥١٩و اليهقي في الكبر ح ٨٠٧٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينافق ، والمراد أن يمتحنه ليصير ذلك واقعا بارزا فإن الله تعالى إنما يعاقب العباد على ما وقع منهم ، لا على ما يعلمه قبل وقوعه ، وإلا فهو سبحانه عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها ، وهذا نحو قوله : { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين } أي : نعلمهم فاعلين ذلك متصفين به .([٨٩])

في هذا الحديث دلالة اعتبار ذلك الواقع الضخم ومراعاته ، وكذلك ضخامة التكليف وبدء الحمل، كما يوضح مع ذلك كيف تلتقي السنن الربانية، ومنها سنة اشتراط الجهد البشري وابتلاء بعض الناس ببعض ، مع سنة العهد الرباني بنصر دينه وأوليائه وإن طال الابتلاء، فهما مقترنتان متضافرتان تعملان عملاً واحداً في نهاية المطاف ([٩٠]) .

ولعلم الله (عز وجل) أن الابتلاء هو الوسيلة لتمييز الصفوف وتمحيص القلوب، جعله سنة ماضية ، فحملُ الأمانة لا يصلح له كل الناس ، بل يحتاج إلى قوم مختارين، وهم الصفوة الذين يعدّون لهذا الأمر إعداداً خاصّاً ليحسنوا القيام به .

ويضرب (محمد قطب) مثلاً لذلك قائلاً: (أرأيت لو أنّ قائداً أراد إعداد جنوده للفوز في معركة صعبة ضارية، أيكون من الرحمة بهم أن يخفف لهم التدريب ويهوّن لهم الإعداد، أم تكون الرحمة الحقيقية بهم أن يشدد عليهم في التدريب، على قدر ما تقتضيه المعركة الضارية التي يعدِّهم من أجلها ؟ والمؤمنون هم حزب الله وجنوده ولله المثل الأعلى والمعركة التي يعدهم من أجلها هي المعركة العظمى: (معركة الحق والباطل، التي ينصر فيها الله الحق على يد أولئك الجنود حسبما

اقتضت مشيئته وجرت سنته) ([٩١]).

ومن النتائج المترتبة على سنة الابتلاء لاحقاً: سنة التمحيص، فالمؤمن من جهة يتعرض للمحنة، فيُصقل معدنه من أثرها، وينضج بها كما ينضج الطعام بالنار، والمنافق من جهة ثانية لا يستطيع الصمود أمام الفتنة فتخور قواه وتنحل عراه وينكص على عقبيه ؛ ولهذا جعل الله (تعالى) التمحيص مَعْبراً لتنقية الصف المؤمن من أدعياء الإيمان، فيقع به التمييز

---

[٨٩] – شرح النووي على مسلم – (ج ٩ / ص ٢٤٧)

[٩٠] – سفر بن عبد الرحمن: ظاهرة الإرجاء، ص ١٦

[٩١] – محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص ١١١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين الدر الثمين والخرز الخسيس، كما في قوله (تعالى): [مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ] [آل عمران : ١٧٩] ، وقوله (تعالى) : [وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] [آل عمران: ١٥٤].

وعلى ضوء سنة التمحيص تتحقق سنة أخرى ، وهي سنة التمكين ، إذ يمكّن الله (عز وجل) للمؤمنين في الأرض بعد أن يثبتوا جدارتهم واستحقاقهم للنصر بلجوئهم إليه وحده في وقت المحنة، وتجردهم له، وتطلعهم إليه في زمن الشدة،مستيقنين من نزول نصره بعد الأخذ بكافة الأسباب المأمور بها شرعاً من صبر وتقوى وإعداد.

وقد أدرك أهل العلم والبصيرة هذه الحقيقة؛ فعندما سئل الإمام الشافعي (رحمه الله): (أيما أفضل للرجل: أن يمكّن أو يبتلى ؟ فقال : لا يمكّن حتى يبتلى))([٩٢])

إن الله تعالى يبتلي أحبابه ليميز من يكون أهلا لخدمته و القرب منه في جنته و دار كرامته وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}[آل عمران: ١٧٩].

يقول ابن عاشور — رحمه الله – بيّن هنا أنّ الله لم يرد دوام اللبس في حال والمنافقين واختلاطهم ، فقدّر ذلك زماناً كانت الحكمة في مثله تقتضي بقاءه وذلك أيّام ضعف المؤمنين عقب هجرتهم وشدّة حاجتهم إلى الاقتناع من الناس بحسن الظاهر حتّى لا يبدأ الانشقاق من أوّل أيّام الهجرة ، فلمّا استقرّ الإيمان في النفوس ، وقرّ للمؤمنين الخالصين المُقام في أمْن ، أراد الله تعالى تنهية الاختلاط وأن يميز الخبيث من الطيّب وكان المنافقون يكتمون نفاقهم لَمَّا رأوا أمر المؤمنين في إقبال ، ورأوا انتصارهم يوم بدر ، فأراد الله أن يفضحهم ويظهر نفاقهم ، بأن أصاب المؤمنين بقَرح الهزيمة حتّى أظهر المنافقون فرحهم بنصرة المشركين ، وسجّل الله عليهم نفاقهم بادياً للعيان كما قال

جَزَى الله المصائبَ كلّ خير ** عرفتُ بها عدوّي من صديقي)([٩٣])

---

[٩٢] – ابن القيم : الفوائد ، ص٢٢٧

[٩٣] – التحرير والتنوير – (ج ٣ / ص ٢٨٦)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ عن الآية الأخيرة: «أي لا بد أن يعقد سبباً من المحنة يظهر فيه وليه، ويفتضح فيه عدوه، يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر»(٢).

ويقول صاحب الظلال ـ رحمه الله تعالى ـ: «ويقطع النص القرآني بأنه ليس من شأن الله ـ سبحانه ـ وليس من مقتضى ألوهيته، وليس من فعل سنته، أن يدع الصف المسلم مختلطاً غير مميز، يتوارى المنافقون فيه وراء دعوى الإيمان، ومظهر الإسلام، بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان، ومن روح الإسلام؛ فقد أخرج الله الأمة المسلمة لتؤدي دوراً كونياً كبيراً، ولتحمل منهجاً إلهياً عظيماً، ولتنشئ في الأرض واقعاً فريداً، ونظاماً جديداً، وهذا الدور الكبير يقتضي التجرد والصفاء والتميز والتماسك، ويقتضي ألا يكون في الصف خلل، ولا في بنائه دَخَل، وبتعبير مختصر يقتضي أن تكون طبيعة هذه الأمة من العظمة بحيث تسامي عظمة الدور الذي قدره الله لها في هذه الأرض، وتسامي المكانة التي أعدها الله لها في الآخرة.

وكل هذا يقتضى أن يصهر الصف ليخرج منه الخبث، وأن يضغط لتتهاوى اللبنات الضعيفة، وأن تسلط عليه الأضواء لتتكشف الدخائل والضمائر، ومن ثم كان شأن الله ـ سبحانه ـ أن يميز الخبيث من الطيب ولم يكن شأنه أن يذر المؤمنين على ما كانوا عليه قبل هذه الرجة في العظيمة!(٩٤)

يقول الأستاذ / عبد العزيز بن ناصر الجليل– حفظه الله – وللدلالة والتأكيد على أن مجتمعات المسلمين تعيش اليوم حالة شديدة من الابتلاء والتمحيص والفتنة في هذه النوازل أذكر بعض المواقف التي أفرزتها هذه السُّنَّة ـ أعني سُنَّة الابتلاء والتمحيص ـ في خِضَمِّ هذه الفتن المتلاطمة، ولم يكن لهذه المواقف أن تُعرف ويُعرف أهلها قبل حصول هذه الفتن، وقد ظهرت هذه المواقف مع أننا في أول السُّنَّة وبداية الابتلاء؛ فكيف يكون الحال في آخر الأمر؟ نعوذ بالله أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن. وفي ذكر هذه المواقف نصيحة وتحذير لنفسي ولإخواني المسلمين من الوقوع فيها، أو المبادرة بالخروج منها لمن وقع فيها.

---

٩٤ – ظلال القرآن – (ج ٢ / ص ٦)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموقف الأول: موقف المنافقين والمرجفين: لم يعد خافياً على أحد ما تطرحه وسائل الإعلام المختلفة وبكل وقاحة ودون حياء ولا خوف من الله ـ عز وجل ـ أو من الناس؛ وذلك في ما يتعلق بثوابت الدين أو ما يتعلق بالمرأة والتحريض على خروجها ومخالطتها للرجال والزج بها في أعمال مخالفة لحكم الله ـ عز وجل ـ وحكم رسوله –صلى الله عليه وسلم – ، والسعي الحثيث لمحاكاة المرأة الغربية في هديها وأخلاقها.

وليس المقصود هنا تتبع ما يفعله المنافقون والمرجفون في هذه السنوات الأخيرة والمحن العصيبة التي تمر بالمسلمين، وإنما المقصود الدلالة على أن سنة الله ـ عز وجل ـ في الابتلاء والتمحيص تكشف وتفضح المنافقين وتبرزهم في مجتمعات المسلمين كما فضح الله ـ عز وجل ـ إخوانهم وسلفهم في عزوة الأحزاب وغزوة أحد وغزة تبوك التي أنزل الله ـ عز وجل ـ فيها سورة كاملة هي سورة التوبة التي من أسمائها (الفاضحة)؛ لأنها فضحت المنافقين وميزتهم. وهذه من الحِكَم العظيمة، والفوائد الجليلة لسُنَّة الابتلاء؛ إذ لو بقي المنافقون في الصف المسلم دون معرفة لهم؛ فإنهم يشكلون خطراً وتضليلاً للأمة، أمّا إذا عُرفوا وفُضحوا وتميزوا فإن الناس يحذرونهم، وينبذونهم ويجاهدونهم بالحجة والبيان، أو بالسيف والسنان إن ظهر انحيازهم للكفار ومناصرتهم لهم، وبذلك يتخلص المسلمون من سبب كبير من أسباب الهزيمة والفشل، ويتهيؤون لنصر الله ـ عز وجل ـ وتأييده.

الموقف الثاني: موقف اليائسين والمحبَطين والخائفين:

لما كشف أعداء هذا الدين من الكافرين وبطانتهم من المنافقين عن عدائهم الصريح وحربهم المعلنة على الإسلام وأهله، وعندما تعرض كثير من المسلمين ومؤسساتهم الدعوية والخيرية للمضايقة والأذى شعر بعض المسلمين حينئذ بشيء من اليأس والإحباط والخوف؛ وبخاصة لما قام شياطين الإنس والجن يبثون وساوسهم وشبههم في تضخيم قوة الأعداء وأنها لا تقهر؛ عند ذلك سيطر على بعض النفوس اليأس من ظهور هذا الدين والتمكين لأهله؛ فكان منهم فئة ظهر ضعف يقينها ومرض قلوبها في هذه الابتلاءات، فشكَّت في ظهور هذا الدين، واهتز يقينها بوعد الله ـ تعالى ـ بنصرة دينه، وهؤلاء على خطر يهدد إيمانهم ويُخشى أن يقعوا في فتنة المنافقين الظانين بالله ظن السوء. وفئة أخرى لم يساورها الشك في دين الله ـ تعالى ـ بنصرة أوليائه، وإنما أصابها اليأس من ذلك في هذا الزمان؛ حيث رأت أن المسلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اليوم غير قادرين على المواجهة لعدم تكافئهم مع عدوهم؛ وعليه فلا داعي للمقاومة التي لا تفيد شيئاً، وإنما هي بمثابة المحرقة التي تحرق المسلمين وبخاصة المجاهدين منهم، والحل عند هؤلاء: الاستسلام للواقع وانتظار معجزة ربانية من الله ـ عز وجل ـ كانتظار المهدي أو المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا يخفى ما في هذا التصور من الانحراف والشطط، وكم هو مفرح للكفرة والمنافقين مثل هذا التفكير ومثل هذه المواقف المستخذية التي تبث اليأس في نفوس المسلمين وتعيقهم عن بذل الجهد في الدعوة والجهاد والأخذ بالأسباب الشرعية والمادية للنصر على الأعداء.

وإن مواقف الخوف واليأس والإحباط ما كانت لتُعرف لولا سُنَّة الابتلاء والتمحيص؛ وظهور هذه السنة وعملها اليوم في حياة المسلمين هي التي أفرزت وأظهرت مثل هذه المواقف، وفي ظهورها فائدة لأصحابها لعلَّهم أن يراجعوا أنفسهم ويُقلِعوا عن هذه المواقف بعد أن اكتشفوا هذا المرض الكامن في نفوسهم بفعل هذه السُّنَّة، كما أن فيه فائدة أيضاً لغيرهم ليحذروا من هذه المواقف ويحذروا ممن ينادي بها. قال الله ـ تعالى ـ في تحذير عباده المؤمنين من الوهن واليأس والإحباط: {وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ في وصف عباده الصابرين والموقنين بنصره: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ في وصف أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم – لما تحزبت عليهم الأحزاب: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}[الأحزاب: ٢٢].

الموقف الثالث: موقف المسايرين للواقع أهل الحلول الوسط:

وهم الذين نظروا إلى شدة ما يصيب المسلمين في هذه الأزمنة من الأذى والتضييق والابتلاءات المتنوعة، فرأوا أن الثبات والصمود على ثوابت هذا الدين والصبر على أحكامه الشرعية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومصادمة الواقع مما يصعب في مثل هذه الظروف؛ لأن أعداء هذا الدين لا يرضون بذلك، بل يوجهون حربهم إلى هؤلاء الثابتين الذين يطلقون عليهم تارة: الأصولية، وتارة: المتشددين، وتارة: الإرهابيين؛ والخطير في الأمر في هذه المواقف أنها تغطَّى بشَبَه شرعية، ويحاول أصحابها أن يؤصلوا مواقفهم هذه بأدلة يزعمون أنها قواعد شرعية مع أنها غير منضبطة بضوابط الشرع، ولا ملتزمة بمقاصده؛ كاستدلالهم مثلاً بالضرورة وأحكامها، وقواعد التيسير ورفع الحرج، وبالمصالح المرسلة وغيرها مما هي صحيحة في أصلها لكنها فاسدة في تطبيقها(١).

وعلامة أصحاب هذا الموقف أنهم يصفون أنفسهم أو يصفهم غيرهم بالاعتدال أو الوسطية.

وهذه المواقف ما كانت لتُعرف لولا سُنَّة الابتلاء التي تمحص وتميز الصفوف ويكشف الله بها كوامن النفوس التي يعلمها الله مسبقاً، لكنه ـ سبحانه ـ يظهرها للناس بفعل سنة الابتلاء والتمحيص، وصدق الله العظيم: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} [آل عمران: ١٧٩].

وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم – أن المتمسك بدينه في آخر الزمان يعد غريباً بين الناس، ووصفه بأنه كالقابض على الجمر؛ وهذا الوصف لا يقدر عليه إلا أولو العزم من المؤمنين الصابرين؛ قال –صلى الله عليه وسلم – : «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ غريباً؛ فطوبى للغرباء. قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس»

وقال –صلى الله عليه وسلم – : «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر».

ولا يخفى على من يراقب اليوم كثيراً من الفتاوى والحوارات التي تقوم بها بعض الصحف والمجلات والقنوات الفضائية ما تحمل من هذه المواقف المتميعة التي يحاول أصحابها أن يتشبثوا في الاقتناع بها بأدنى شبهة أو أدنى قول شاذ يخالفه الدليل الصحيح من الكتاب والسنة، وهذه المواقف والفتاوى لم تقتصر على الأحكام فحسب، بل تعدتها إلى أصول العقيدة وأركانها، وبخاصة ما يتعلق بمسائل الإيمان والكفر وحدودها، أو بمسائل الولاء والبراء، أو ما يتعلق بالجهاد وأحكامه. والمقصود أن سُنَّة الابتلاء والتمحيص التي نعيشها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه الأيام قد أفرزت مثل هذه المواقف ولله ـ عز وجل ـ الحكمة في ذلك؛ لأن في ظهورها خيراً لأهلها لعلهم يحاسبون أنفسهم فيتخلصون منها؛ كما أن فيها خيراً أيضاً لغيرهم حتى يحذروها ويحذِّروا منها.

الموقف الرابع: موقف المتعجلين المغيِّرين بالقوة:

وهذا الموقف يقابل الموقف السابق؛ فبينما ينحو الموقف السابق إلى التنازل عن بعض الثوابت والتعلق ببعض الشبهات والشذوذات، يذهب أصحاب هذا الموقف إلى الطرف المقابل؛ حيث لم يصبروا على ما يرون من شدائد ومحن وابتلاءات توجه للمسلمين في دينهم وأعراضهم وعقولهم، ورأوا أن الموقف إزاء مثل هذه الابتلاءات هو المواجهة المسلحة دون أن ينظروا إلى ما يترتب عليها من مفاسد كبيرة، ودون أن ينظروا إلى واقعية المصالح التي يسعى لتحقيقها، فنشأ من جراء ذلك أضرار عظيمة عليهم وعلى الدعوة وأهلها في المحيط الذي تدور فيه هذه المواجهات.

وهنا أود التنبيه إلى أنه ليس المعنى في هذه المواقف تلك الحركات الجهادية التي تدافع عن المسلمين وديارهم في أفغانستان والعراق والشيشان وفلسطين وكشمير وغيرها ممن يقوم بجهاد الدفع عن ديار المسلمين المحتلة، وإنما المعني هنا أولئك الذين يرون المواجهة المسلحة في بعض بلدان المسلمين قبل وضوح راية الكفر في تلك البلدان للناس، ودون وضوح راية أهل الإيمان في مقابل ذلك، مما ينشأ عنه اللبس والتلبيس على الناس، فتختلط الأوراق ويجد هؤلاء المجاهدون المستعجلون أنفسهم وجهاً لوجهٍ مع إخوانهم المسلمين، فحينئذ تقع الفتنة بين المسلمين، ويقتل بعضهم بعضاً، كما هو حاصل في الجزائر وما قد حصل في بعض البلدان العربية أما تلك الحركات الجهادية التي أعلنت جهادها على الكفار في العراق وأفغانستان لمواجهة التحالف الصليبي أو في كشمير لمواجهة الهندوس والوثنيين، أو في الشيشان لمواجهة الملاحدة الشيوعيين، أو في فلسطين لمواجهة اليهود الغاشمين فإنها حركات مشروعة لوضوح الراية الكفرية، وزوال اللبس عن المسلمين في تلك الأماكن، كما أنه جهاد للدفاع عن الدين والعرض والمكان حتى لا ترتفع فيه راية الكفار. (٩٥)

---

٩٥ – مجلة البيان – (ع ٢١٨ / ص ٤)مقال تحت عنوان الأحداث المعاصرة في ضوء السنن الربانية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن الصراع بين الحق والباطل سنة ربانية جارية كما قال تعالى: وكذلك (جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ((٢٨) فالأنبياء وهم أكرم الخلق وأعدل الخلق وُجدَ لهم أعداء ومضادون، يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق.

يقول الالوسي – رحمه الله – { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِىّ عَدُوّاً مّنَ المجرمين } فإنه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء عليهم السلام ، والبلية إذا عمت هانت ، والعدو يحتمل أن يكون واحداً وجمعاً أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الأباطيل جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها عدواً من مرتكبي الجرائم والآثام ويدخل في ذلك آدم عليه السلام لدخول الشياطين وقابيل في المجرمين ويكتفي بدخول قابيل إن أريد بالمجرمين مجرمو الإنس أو مجرمو أمة النبي ، وقيل : الكلية بمعنى الكثرة ، والمراد بجعل الأعداء جعل عداوتهم وخلقها وما ينشأ منها فيهم لا جعل ذواتهم ، ففي ذلك رد على المعتزلة في زعمهم إن خالق الشر غيره تعالى شأنه ، وقوله تعالى : { وكفى بِرَبّكَ هَادِياً وَنَصِيراً } وعد كريم له عليه الصلاة والسلام بالهداية إلى كافة مطالبة والنصر على أعدائه أي كفاك مالك أمرك ومبلغك إلى الكمال هادياً لك إلى ما يوصلك إلى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ ما أنزل إليك وإجراء أحكامه في أكناف الدنيا إلى أن يبلغ الكتاب أجله وناصراً لك عليهم على أبلغ وجه .([٩٦])

و لقد بين الله تعالى لنا ما حل بالصالحين من أتباع الأنبياء و الرسل حتى نتأسى بهم و نسير على دربهم و حتى لا يظن مسلم أن الطريق سهل و ميسور فقال تعالى { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) آل عمران

[٩٦] – تفسير الألوسي – (ج ١٤ / ص ٨٧)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول السعدي – رحمه الله – هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: { وكأين من نبي } أي: وكم من نبي { قاتل معه ربيون كثير } أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد ربتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك.

{ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا } أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال: { والله يحب الصابرين } .

ثم ذكر قولهم واستنصارهم لربهم، فقال: { وما كان قولهم } أي: في تلك المواطن الصعبة { إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا } والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها.

ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: { فآتاهم الله ثواب الدنيا } من النصر والظفر والغنيمة، { وحُسن ثواب الآخرة } وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المنكدات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء، فلهذا قال: { والله يحب المحسنين } في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء، كفعل هؤلاء الموصوفين ([٩٧])

---

[٩٧] – تفسير السعدي – (ج ١ / ص ١٥١)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس:

إحياء روح الجهاد في سبيل الله

واعلم علمني الله و إياك : أن هذه الحملة التي شنها يهود على أرض غزة أحيت في نفوس الأمة و في نفوس أبنائهم الجهاد في سبيل الله بعد أن ظل العدو الماكر سواء في الشرق أم في الغرب يصف المجاهدين بالتطرف و الإرهاب و إراقة الدماء جاءت هذه الهزة العنيفة لتنفض غبار هذه الحملات التي شنوها على المجاهدين في الشيشان و أفغانستان و فلسطين و ألبانيا و العراق لتحيي روح الجهاد في نفوس الأمة الإسلامية جمعاء فهاهم ينادون و يتمنون الموت في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى و هاهم يجاهدون بالأموال كما حثهم الكبير المتعال و أخبرهم أنه اشترى منهم الأموال و الأنفس بجنات تجري من تحتها الأنهار يقول تعالى {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١١١) سورة التوبة {الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} (٢٠) سورة التوبة

اعلم بارك الله فيك : أن الجهاد في سبيل الله تعالى من أشرف الأعمال التي ينال بها العبد القرب من الكريم الوهاب عن أبي هريرة قال : مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب في عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزو في سبيل الله ن من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة قال أبو عيسى هذا حديث حسن([98])

[98]- سنن الترمذي [جزء ٤ - صفحة ١٨١ [ح ١٦٥٠ قال الألباني حسن انظر حديث . رقم : ٧٣٧٩ في صحيح الجامع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول المباركفوري – – رحمه الله – قال الطيبي وعذبة صفة أخرى مميزة لأن الطعم الألذ سائغ في المريء ومن ثم أعجب الرجل وتمنى الاعتزال عن الناس (فأعجبته) أي العيينة وما يتعلق بها من المكان (فقال) أي الرجل (لو اعتزلت الناس) لو للتمني ويجوز أن تكون لو امتناعية وقوله (فأقمت في هذا الشعب) عطف على اعتزلت وجواب لو محذوف أي لكان خيرا لي (فذكر ذلك) أي ما خطر بقلبه (فقال لا نفعل) نهى عن ذلك لأن الرجل صحابي وقد وجب عليه الغزو فكان اعتزاله للتطوع معصية لاستلزامه ترك الواجب ذكره بن الملك تبعا للطيبي (فإن مقام أحدكم) قال القارىء بفتح الميم أي قيامه وفي نسخة يعني من المشكاة بضمها وهي الإقامة بمعنى ثبات أحدكم (في سبيل الله) أي بالاستمرار في القتال مع الكفار خصوصا في خدمة سيد الأبرار (أفضل من صلاته في بيته) يدل على أن طلبه كان مفضولا لا محرما (سبعين عاما)

قال القارىء المراد به الكثرة لا التحديد فلا ينافي ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة رواه الحاكم عن عمران بن حصين وقال على شرط البخاري([99]) ويقول سبحانه وتعالى – ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)

يقول السعدي – رحمه الله – يخبر تعالى خبرا صدقا، ويعد وعدا حقا بمبايعة [ص ٣٥٣] عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه { اشْتَرَى } بنفسه الكريمة { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } فهي المثمن والسلعة المبيعة.

{ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ } التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات.

---

[99] – تحفة الأحوذي [جزء ٥ – صفحة ٢٣٨ و الحديث أخرجه الدارمي عن عمران بن حصين ح ٢٣٩٦ و الحاكم ح **٢٣٨٣**و الطبراني في الكبير ح ١٥٠٨٧و البيهقي في الشعب ح ٤٢٣١و قال **الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٨٨٦ في صحيح الجامع .**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا للّه نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه فـ { يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ } فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من اللّه مؤكدة بأنواع التأكيدات.{ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ } التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.{ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا } أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم اللّه، { بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ } أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضا، ويحث بعضكم بعضا.

{ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من اللّه الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو اللّه جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان.

وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب اللّه الكبار المنزلة على أفضل الخلق.([100])

وهي أعز ما يوهب ، وأحسن ما قيل في ذلك .

أثامن بالنفس النفيسة ربها &&& وليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها تملك الأخرى فإن أنا بعتها &&& بشيء من الدنيا فذاك هو الغبن

لئن ذهبت نفس بدنيا أصيبها &&& لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

فالجهاد هو التجارة الرابحة في الدنيا و الآخرة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }

---

[100] – تفسير السعدي ج ١ ص ٣٥٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصيغة التعبير بما فيها من فصل ووصل ، واستفهام وجواب ، وتقديم وتأخير ، صيغة ظاهر فيها القصد إلى إقرار هذا الهتاف في القلوب بكل وسائل التأثير التعبيرية .

يبدأ بالنداء باسم الإيمان : { يا أيها الذين آمنوا } . . يليه الاستفهام الموحي . فالله سبحانه هو الذي يسألهم ويشوقهم إلى الجواب : { هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم }

ومن ذا الذي لا يشتاق لأن يدله الله على هذه التجارة؟ وهنا تنتهي هذه الآية ، وتنفصل الجملتان للتشويق بانتظار الجواب المرموق . ثم يجيء الجواب وقد ترقبته القلوب والأسماع: { تؤمنون بالله ورسوله } . . وهم مؤمنون بالله ورسوله . فتشرق قلوبهم عند سماع شطر الجواب هذا المتحقق فيهم! { وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم } . . وهو الموضوع الرئيسي الذي تعالجه السورة ، يجيء في هذا الأسلوب ، ويكرر هذا التكرار ، ويساق في هذا السياق . فقد علم الله أن النفس البشرية في حاجة إلى هذا التكرار ، وهذا التنويع ، وهذه الموحيات ، لتنهض بهذا التكليف الشاق ، الضروري الذي لا مفر منه لإقامة هذا المنهج وحراسته في الأرض . . ثم يعقب على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين : { ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } . . فعلم الحقيقة يقود من يعلم إلى ذلك الخير الأكيد . . ثم يفصل بهذا الخير في آية تالية مستقلة ، لأن التفصيل بعد الإجمال يشوق القلب إليه ، ويقره في الحس ويمكن له : { يغفر لكم ذنوبكم } . . وهذه وحدها تكفي . فمن ذا الذي يضمن أن يغفر له ذنبه ثم يتطلع بعدها إلى شيء؟

أو يدخر في سبيلها شيئاً؟ ولكن فضل الله ليست له حدود : { ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن } . . وإنها لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن في حياته القصيرة حتى حين يفقد هذه الحياة كلها ثم يعوض عنها تلك الجنات وهذه المساكن في نعيم مقيم . . وحقاً . . { ذلك الفوز العظيم } . .

وكأنما ينتهي هنا حساب التجارة الرابحة . وإنه لربح ضخم هائل أن يعطي المؤمن الدنيا ويأخذ الآخرة فالذي يتجر بالدرهم فيكسب عشرة يغبطه كل من في السوق . فكيف بمن يتجر في أيام قليلة معدودة في هذه الأرض ، ومتاع محدود في هذه الدنيا ، فيكسب به خلوداً لا يعلم له نهاية إلا ما شاء الله ، ومتاعاً غير مقطوع ولا ممنوع؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد تمت المبايعة على هذه الصفقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه ليلة العقبة . قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشترط لربك ولنفسك ما شئت » . فقال صلى الله عليه وسلم : « أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم » . . قال : فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال : « الجنة » قالوا : ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل «

ولكن فضل الله عظيم . وهو يعلم من تلك النفوس أنها تتعلق بشيء قريب في هذه الأرض ، يناسب تركيبها البشري المحدود . وهو يستجيب لها فيبشرها بما قدره في علمه المكنون من إظهار هذا الدين في الأرض ، وتحقيق منهجه وهيمنته على الحياة في ذلك الجيل : { وأخرى تحبونها : نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين } . .

وهنا تبلغ الصفقة ذروة الربح الذي لا يعطيه إلا الله . الله الذي لا تنفد خزائنه ، والذي لا ممسك لرحمته . فهي المغفرة والجنات والمساكن الطيبة والنعيم المقيم في الآخرة . وفوقها . . فوق البيعة الرابحة والصفقة الكاسبة النصر والفتح القريب . . فمن الذي يدله الله على هذه التجارة ثم يتقاعس عنها أو يحيد؟!

وهنا يعن للنفس خاطر أمام هذا الترغيب والتحبيب . . إن المؤمن الذي يدرك حقيقة التصور الإيماني للكون والحياة؛ ويعيش بقلبه في هذا التصور؛ ويطلع على آفاقه وآماده؛ ثم ينظر للحياة بغير إيمان ، في حدودها الضيقة الصغيرة ، وفي مستوياتها الهابطة الواطية ، وفي اهتماماتها الهزيلة الزهيدة . . هذا القلب لا يطيق أن يعيش لحظة واحدة بغير ذلك الإيمان ، ولا يتردد لحظة واحدة في الجهاد لتحقيق ذلك التصور الضخم الوسيع الرفيع في عالم الواقع ، ليعيش فيه ، وليرى الناس من حوله يعيشون فيه كذلك . . ولعله لا يطلب على جهاده هذا أجراً خارجاً عن ذاته . فهو ذاته أجر. . هذا الجهاد . . وما يسكبه في القلب من رضى وارتياح. ثم إنه لا يطيق أن يعيش في عالم بلا إيمان. ولا يطيق أن يقعد بلا جهاد لتحقيق عالم يسوده الإيمان. فهو مدفوع دفعاً إلى الجهاد. كائناً مصيره فيه ما يكون . .

ولكن الله سبحانه يعلم أن النفس تضعف، وأن الاندفاع يهبط، وأن الجهد يكل وأن حب السلامة قد يهبط بتلك المشاعر كلها ويقودها إلى الرضا بالواقع الهابط . .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن ثم يجاهد القرآن هذه النفس ذلك الجهاد؛ ويعالجها ذلك العلاج، ويهتف لها بالموحيات والمؤثرات ذلك الهتاف المتكرر المتنوع، في شتى المناسبات ([101]).

أنواع الجهاد في سبيل الله سوى القتال

و اعلم علمني الله و إياك: أن الجهاد في سبيل الله تعالى له أنواع كثير ينبغ للمسلم ان يطرق تلك الأبواب إن أغلق في وجهه باب الجهاد الأعظم فلا يضيع الفرصة على نفسه و يتكاسل

النوع الأول الجهاد بالمال

اعلم زادك الله علما أن من أنواع الجهاد التي حث الله عليها الجهاد بالمال فقد حثنا الله في غير ما آية من الآيات فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الصف: ١١-١٠}فقدم الله تعالى الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس وإخواننا في غزة يحتاجون إلى الغذاء و الدواء و المسكن فوجب عليك أخي المسلم أن تضرب بسهم في ذلك المجال و أن تنفق مما أتاك الله و لقد شاهدتُ على شاشات الفضائيات النساء في السودان و هن يتصدقن من حليهن و يسارعن إلى ذلك و كلهن انشراح لذلك العمل ألا و هو الجهاد بالمال ، ثم شاهدت أيضا في مداس السودان الأطفال الصغار في المدارس و هم يجمعون التبرعات لإخوانهم في غزة ،و على الجانب المظلم نرى بعض الأمراء العرب يدفع عشرة ملايين لمغنية أمريكية ستغنى له ساعة من الزمن و في احتفال رأس السنة في بعض الدول العربية و هي نفس دولة ذلك الأمير يدفعون لها عشرين مليون من أجل أنها ستغني لهم ساعتين في حين أنهم لم يسارعوا لإنقاذ إخوانهم في غزة و إن تصدقوا تصدقوا بفتات موائدهم فيا للعار و الشنار من فعل هؤلاء الأشرار ، إن الله تعالى يقول { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) [الحديد

[101] – ظلال القران ج ٧ ص ١٩٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

: ١٠ ، ١١]

يقول السعدي – رحمه الله – أي: وما الذي يمنعكم من النفقة في سبيل الله، وهي طرق الخير كلها، ويوجب لكم أن تبخلوا، { و } الحال أنه ليس لكم شيء، بل { للهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } فجميع الأموال ستنتقل من أيديكم أو تنقلون [ص ٨٣٩] عنها، ثم يعود الملك إلى مالكه تبارك وتعالى، فاغتنموا الإنفاق ما دامت الأموال في أيديكم، وانتهزوا الفرصة، ثم ذكر تعالى تفاضل الأعمال بحسب الأحوال والحكمة الإلهية، فقال: { لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا } المراد بالفتح هنا هو فتح الحديبية، حين جرى من الصلح بين الرسول وبين قريش مما هو أعظم الفتوحات التي حصل بها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدعوة إلى الدين من غير معارض، فدخل الناس من ذلك الوقت في دين الله أفواجا، واعتز الإسلام عزا عظيما، وكان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها، كالمدينة وتوابعها، وكان من أسلم من أهل مكة وغيرها من ديار المشركين يؤذى ويخاف، فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وأنفق وقاتل، أعظم درجة وأجرا وثوابا ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك، كما هو مقتضى الحكمة، ولذلك كان السابقون وفضلاء الصحابة، غالبهم أسلم قبل الفتح، ولما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص وقدح في المفضول، احترز تعالى من هذا بقوله: { وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } أي: الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة [كلهم]، رضي الله عنهم، حيث شهد الله لهم بالإيمان، ووعدهم الجنة، { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } فيجازي كلا منكم على ما يعلمه من عمله، ثم حث على النفقة في سبيله، لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه، وبذل الأموال في التجهز له، فقال: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } وهي النفقة [الطيبة] التي تكون خالصة لوجه الله، موافقة لمرضاة الله، من مال حلال طيب، طيبة به نفسه، وهذا من كرم الله تعالى [حيث] سماه قرضا، والمال ماله، والعبد عبده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافا كثيرة، وهو الكريم الوهاب، وتلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المضاعفة محلها وموضعها يوم القيامة، يوم كل يتبين فقره، ويحتاج إلى أقل شيء من الجزاء الحسن([١٠٢])

{وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ البقرة: ١٩٥ }

{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }البقرة٢٦٢

و لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الصور في الجهاد بالمال و لنسلط الضوء على ذلك

أبو بكر – رضي الله عنه - عن أبي هريرة (ما منكم من أحد كان له عندنا يد إلا الصديق فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله) ([١٠٣])

عبد الرحمن بن عوف

عن الزهري قال: تصدق ابن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، وحمل على خمس مئة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمس مئة راحلة في سبيل الله.

وكان عامة ماله من التجارة ([١٠٤])

عن سعيد بن زيد أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان على حراء ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، و عبد الرحمن بن عوف فقال: " أثبت حراء ! فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد " ([١٠٥])

يقف عليه الصلاة والسلام على المنبر، وحر الشمس يتوقد، والناس في عسر ومشقة، وهو يجهز جيش العسرة إلى تبوك ، فيقول: { من يجهز هذا الجيش وأضمن له الجنة }

---

[١٠٢] – تفسير السعدي – (١ / ٨٣٨)

[١٠٣] – أخرجه الترمذي ح ٣٦٨١ و صححه الألباني في صحيح الجامع ح و ٥٦٦١

[١٠٤] – مرسل – أخرجه الطبراني (٢٦٥) وأبو نعيم في " الحلية " ١ / ٩٩ وهو في " الإصابة " ٦ / ٣١١ ونسبه صاحب الكنز (٣٦٦٧٩) إلى ابن عساكر

[١٠٥] – أخرجه أبو داود ح ٤٦٤٨ و الترمذي ح ٣٧٧٨ و ابن ماجه ح ١٣٤ و صححه الألباني في صحيح الترمذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيتلكأ الناس؛ لأنها ميزانية ضخمة، ومال باهظ عظيم، فيقول: { من يجهز هذا الجيش وأضمن له الجنة } وهو أصدق الصادقين، وهو الضمين الذي لا يخلف، وهو الكفيل الذي لا يكذب، فيقوم عثمان بين الناس – عثمان البذل والعطاء، عثمان الصدقات والأعطيات– فيقول: يا رسول الله! أشهد الله وملائكته، وأشهدك أني أجهزها في سبيل الله، أرجو ذخرها وبرها عند الله، بخٍ بخٍ، غفر الله لـ عثمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر: { اللهم ارض عن عثمان } ثم أخذ صلى الله عليه وسلم يقول: { ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم } وكيف يضره ما عمل؟! وهو أعتق نفسه من النار والعار والدمار، واشترى نفسه من الله.

فعن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم. وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول الله على ثلثمائة بعير بأحلاسها في سبيل الله؛ فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه. خرجه الترمذي، وخرجه أحمد، وقال في آخره: قالت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده – هكذا ويحركها – وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب، ما على عثمان ما عمل بعدها ([١٠٦])

وقال أبو عمر: جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً، وأتم الألف بخمسين فرساً.

وروي عن قتاده أنه قال: حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً.

وعن ابن شهاب الزهري: حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسعمائة وأربعين بعيراً وستين فرساً أتم بها الألف، خرجه القزويني الحاكمي.

---

[١٠٦] – . أخرجه أحمد ح ١٦٠٩٩ و الترمذي ح ٣٦٣٣ و الطبراني في الأوسط ح ٦٠٧٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار في كمه – حين جهز جيش العسرة – فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم.([١٠٧]).

النوع الثاني جهاد النفس

و أنت عبد الله واجب عليك إن تجاهد نفسك و تكفها عما حرم الله تعالى لأننا نحن الذين نأخر النصر و التمكين بسبب ذنوبنا و معاصينا فالبدار البدار

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال":المجاهد من جاهد نفسه في الله "([١٠٨])

ومجاهدة النفس تكون بحملها على طلب العلم والتفقه في الدين والعمل الصالح والدعوة إلى الله تعالى والصبر في سبيل ذلك، قال تعالى) وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ {٢} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (العصر}

يقول ابن القيم — رحمه الله – قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } العنكبوت ٦٩. علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد.

قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا، فمن نصر عليها نصر على عدوه، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه

ألقى الله سبحانه العداوة بين الشيطان وبين الملك، والعداوة بين العقل وبين الهوى، والعداوة بين النفس الأمارة وبين القلب. وابتلى العبد بذلك وجمع له بين هؤلاء، وأمد كل حزب بجنود وأعوان، فلا تزال الحرب سجالا ودولا بين الفريقين، إلى أن يستولي أحدهما على الآخر، ويكون الآخر مقهورا معه.

---

[١٠٧]– أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب وقال الألباني حسن انظر المشكاة ح ٦٠٤٦، حسن ، المشكاة (٦٠٦٤) وخرجه أحمد

[١٠٨] – أخرجه الترمذي ح و ابن حبان في صحيحه ح و صححه الألباني في الصحيح الجامع ح ٦٥٥٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا كانت التوبة للقلب والعقل والملك فهنالك السرور والنعيم واللذة والبهجة والفرح قرة العين وطيب الحياة وانشراح الصدر والفوز بالغنائم. وإذا كانت النوبة للنفس والهوى والشيطان فهنالك الغموم والهموم والأحزان وأنواع المكارة وضيق الصدر وحبس الملك. فما ظنك بملك استولى عليه عدوه فأنزله عن سرير ملكه وأسره وحبسه وحال بينه وبين خزائنه وذخائره وخدمه وصيّرها له، ومع هذا فلا يتحرك الملك لطلب ثأره، ولا يستغيث بمن يغيثه، ولا يستنجد بمن ينجده. وفوق هذا الملك ملك قاهر لا يقهر، وغالب لا يغلب، وعزيز لا يذل، فأرسل إليه: إن استنصرتني نصرتك، وإن استغثت بي أغثتك، وإن التجأت إلي أخذت بثأرك، وإن هربت إلي وأويت إلي سلطتك على عدوك وجعلته تحت أسرك. فإن قال هذا الملك المأسور: قد شد عدوي وثاقي وأحكم رباطي، واستوثق مني بالقيود، ومنعني من النهوض إليك، والفرار إليك، والمسير إلى بابك، فإن أرسلت جندا من عندك يحل وثاقي، ويفك قيودي، ويخرجني من حبسه، أمكنني أن أوافي بابك، وإلا لم يمكنني مفارقة محبسي، ولا كسر قيودي.

فإن قال ذلك احتجاجا على ذلك السلطان، ودفعا لرسالته، ورضا بما هو فيه عند عدوّه، خلاه السلطان الأعظم وحاله وولاه ما تولى. وإن قال ذلك افتقارا إليه، وإظهارا لعجزه وذله، وأنه أضعف وأعجز من أن يسير إليه بنفسه، ويخرج من حبس عدوه، ويتخلص منه بحوله وقوته، وأن من تمام نعمة ذلك عليه، كما أرسل إليه هذه الرسالة، أن يمده من جنده ومماليكه بمن يعينه على الخلاص، ويكسر باب محبسه، ويفك قيوده. فإن فعل به ذلك فقد أتم إنعامه عليه، وإن تخلى عنه، فلم يظلمه، ولا منعه حقا هو له، وأن حمده وحكمته اقتضى منعه وتخليته في محبسه، ولا سيما إذا علم أن الحبس حبسه، وأن هذا العدو الذي حبسه مملوك من مماليكه، وعبد من عبيده، ناصيته بيده لا يتصرف إلا بإذنه ومشيئته، فهو غير ملتفت إليه، ولا خائف منه، ولا معتقد أن له شيئا من الأمر، ولا بيده نفع ولا ضر، بل هو ناظر إلى مالكه، ومتولي أمره ومن ناصيته بيده، وقد أفرده بالخوف والرجاء، والتضرّع إليه والالتجاء، والرغبة والرهبة، فهناك تأتيه جيوش النصر والظفر.([109])

---

[109] – الفوائد ص٥٩-٦٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و يقول —رحمه الله – ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه". كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج، وأصلا له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له، متسلط عليه، لم يجاهده، ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه، حتى يجاهد نفسه على الخروج.([110])

مراتب جهاد النفس

يقول ابن القيم — رحمه الله – فجهاد النفس أربع مراتب أيضا:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه، شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السموات.([111])

النوع الثالث :جهاد الشيطان و الشطان هو ذئب الإنسان يتربص به الدوائر و الغفلات لينال منه و ليضمه إلى حزبه لذا كان لزاما و اجل مسمى أن يجاهد العبد ذلك اللعين و يتحصن المسلم بحصن رب العالمين

---

[110] – زاد المعاد في هدي خير العباد – (٤٨ / ٢)

[111] زاد المعاد في هدي خير العباد – (٤٩ / ١)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن أعدى أعداء بني آدم الشيطان الرجيم قال تعالى{ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ] (فاطر ـ ٦}

فعداوة الشيطان ظاهرة بينة لكل إنسان كما أخبر بذلك الرحيم الرحمن يقول تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }

يقول ابن القيم – رحمه الله –وبينهما عدو ثالث، لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما، ويخذله، ويرجف به، ولا يزال يخيل له ما فى جهادهما من المشاق، وترك الحظوظ، وفوت اللذات، والمشهيات، ولا يمكنه أن يجاهد ذينك العدوين إلا بجهاده، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان، قال تعالى: {إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا} [فاطر: ٦]. والأمر باتخاذه عدوا تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر، ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

فهذه ثلاثة أعداء، أمر العبد بمحاربتها وجهادها، وقد بلى بمحاربتها في هذه الدار، وسلطت عليه امتحانا من الله له وابتلاء، فأعطى الله العبد مددا وعدة وأعوانا وسلاحا لهذا الجهاد، وأعطى أعداءه مددا وعدة وأعوانا وسلاحا، وبلا أحد الفريقين بالآخر، وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلو أخبارهم، ويمتحن من يتولاه، ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه، كما قال تعالى: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون، وكان ربك بصيرا} [الفرقان: ٢٠]، وقال تعالى: {ذلك، ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض} [محمد: ٤]، وقال تعالى: {ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم} [محمد: ٣١]. فأعطى عباده الأسماع والأبصار، والعقول والقوى، وأنزل عليهم كتبه، وأرسل إليهم رسله، وأمدهم بملائكته، وقال لهم: {أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا} [الأنفال: ١٢]، وأمرهم من أمره بما هو من أعظم العون لهم على حرب عدوهم، وأخبرهم أنهم إن امتثلوا ما أمرهم به، لم يزالوا منصورين على عدوه وعدوهم، وأنه إن سلطه عليهم، فلتركهم بعض ما أمروا به، ولمعصيتهم له، ثم لم يؤيسهم، ولم يقنطهم، بل أمرهم أن يستقبلوا أمرهم، ويداووا جراحهم، ويعودوا إلى مناهضة عدوهم فينصرهم عليهم، ويظفرهم بهم، فأخبرهم أنه مع المتقين منهم، ومع المحسنين، ومع الصابرين، ومع المؤمنين، وأنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدافع عن عباده المؤمنين ما لا يدافعون عن أنفسهم، بل بدفاعه عنهم انتصروا على عدوهم، ولولا دفاعه عنهم، لتخطفهم عدوهم، واجتاحهم.

وهذه المدافعة عنهم بحسب إيمانهم، وعلى قدره، فإن قوى الإيمان، قويت المدافعة، فمن وجد خيرا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه.)([١١٢])

النوع الرابع جهاد المنافقين

جهاد المنافقين المندسين بين صفوف الأمة يخذلون و يثبطون و يشيعون الحرب النفسية على المجاهدين و ذلك ما حدث في تلك الحرب الضروس التي تدور رحاه على ثرى أرض غزة فقد خرج كثير من هؤلاء المنافقون ليقولوا إن حماس جبهة إرهابية و منظمة متطرفة يجب القضاء عليها و هذا هو من النفاق الذي يجب على كل مسلم أن يبن للعالم عوره و كذبه قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] (التحريم ـ ٩]، ولما كان المنافق يظهر الإسلام ويبطن الشرك ويظهر الخير ويبطن الشر، فلا يمكن جهاده بالقتال كما يجاهد الكافر وذلك لأنه بظاهره يستحق أن يعامل معاملة المسلمين لكن له علامات يعرف بها .

وجهاد المنافقين يكون بمناقشتهم وإقامة الحجة عليهم وبيان باطلهم والتحذير منهم وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين مشهور ومعلوم .

يقول الشيخ سليمان العودة حفظه الله :

جهاد المنافقين: وهذا يكون بكشف ألاعيبهم، وفضحهم وبيان مؤامراتهم؛ لأنهم يبغون في المسلمين غائلة السوء، ويخططون، ويتآمرون للقضاء على الإسلام، فلابد من جهاد المنافقين فهذه نماذج من أنواع الجهاد باعتبار من يقع عليه.

فهل يصح أن نتجاهل جهاد المنافقين، ونتفطن إلى جهاد الكفار؟ مع أن جهاد الكفار هو في موقع واحد أو موقعين أو ثلاثة، لكن جهاد المنافقين في كل مكان، أستطيع أن أقول لكم: لا يكاد يوجد في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، لا بلد، ولا مدينة، ولا قرية، بل ربما أحياناً ولا مؤسسة، إلا ويوجد فيها منافقون يسعون لتوجيه هذا البلد، أو هذه الدولة،

[١١٢] – زاد المعاد في هدي خير العباد – ج٢ص ٤٨–٤٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو تلك المؤسسة، أو المدرسة إلى الوجهة التي تخدم أغراضهم، فيخططون، ويتآمرون، وهذا أمر ملموس، فمن لهؤلاء المنافقين، كيف نتجاهل هذه الثغرات المفتوحة في كل مكان؟!

مثلاً: جهاد المنافقين من خلال أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي، فإنهم أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي فيها جهاد الكفار وفيها جهاد النافقين، نستطيع أن نقول ذلك، فجهاد الكفار من أبرز صوره –مثلاً– ما يمكن أن يسمى اليوم –بما يعبرون عنه– بالبث المباشر؛ لأنه عبارة عن بث من قبل الدول الكافرة إلى البلاد الإسلامية، فهو يعني جهد إعلامي من الكفار يحتاج إلى مقابلة من المسلمين، لكن هذا الجهد حتى الآن لم يحدث بصورة واضحة، صحيح إنه يقال أنه يوجد في بعض دول المغرب العربي ، لكنه لا يزال حتى الآن خوف وقلق أكثر منه حقيقة واقعية، إنما الحقيقة الواقعة منذ عشرات السنين هي أن المنافقين في كثير من بلاد العالم الإسلامي، استطاعوا أن يتسللوا إلى أجهزة الإعلام، ويجعلوا منها أبواقاً لحرب الإسلام، كم من مسرحية –مثلا– قدموها للاستهزاء بالمشايخ والعلماء، أو ما يسمونهم بالملالي جمع ملا، ورجال الدين كما يعبرون، وتصويرهم بأنهم عبارة عن مجموعة من الدراويش، والجهلة، والأغبياء، وفي نفس الوقت يقدمون الفنانين، والمطربين، وأهل الرياضة، وغيرهم على أنهم هم القدوة، وهم الأبطال، الذين يقتدي بهم الجيل.

وكم من منافق تسلل من خلال هذه الأجهزة، ليسمع المسلمين والمسلمات كلام الفحش، والزور، والخنا، ويربي شباب المسلمين وفتياتهم على عبارات العشق والغرام، وبحيث يصبح لا هَمّ لهم، إلا ترديد مثل هذه الكلمات، والحديث عن قضية اللقاء، وحسرة الوداع، وصفات المحبوبة، وكيفية اللقاء بها، وإلى غير ذلك، حتى مسخوا الأنظمة الموجودة في بلاد المسلمين، وغيروا أوضاع المسلمين، وقلبوها رأساً على عقب.أ–هـ

مراتب جهاد المنافقين

وأما جهاد الكفار والمنافقين، فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل السادس

شهداء غزة زيادة في رصيد أهل العزة

و اعلم علمني الله و إياك: أن منازل المؤمنين عند الله تعالى تتفاوت فيما بينها كما بين الله تعالى ذلك في قوله { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) [النساء/٦٩، ٧٠] }

فهناك منزلة الأنبياء ثم منزلة الصديقية ثم منزلة الشهداء ثم منزلة الصالحين،

فالمنازل أربعة بعضها دون بعض: الأول: منازل الأنبياء

والثاني: منازل الصديقين

والثالث: منازل الشهداء

والرابع: منازل الصالحين

فلما أغفلت الأمة الجهاد في سبيله و تقاعس عنه جم غفير من الأمة الإسلامية إلا من رحم الله تعالى فيحدث الله تعالى في عباده المؤمنين من الأحداث التي تحرك النفوس إلى الجهاد في سبيل الله تعالى حتى لا تكون منزلة الشهادة معطلة من أبنائها فما يحدث في غزة من أحداث إنما هو من الخير الوفير الذي يمن به العزيز الغفور فان كان في ظاهره شر إلا انه كله خير من باب قول الله تعالى {لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ "سورة النور: ١١"} و المجاهدون في سبيل الله وهم جند الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم بأس أعدائه ويحفظ بهم بيضة الإسلام ، ويحمي بهم حوزة الدين ، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاء كلمته ودفع أعدائه وهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها ، وإن باتوا في ديارهم ، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه ، والشارع قد نزل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجر والوزر ولهذا كان الداعي إلى الهدى ، والداعي إلى الضلال لكل منهما بتسببه مثل أجر من تبعه ، وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عما لهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عند الله ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات ، ويكفي في ذلك قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم } (الصف ١٠)

فشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة التي دل عليها رب العالمين العليم الحكيم فقال { تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم } (الصف ١١) فكأن النفوس ضنت بحياتها وبقائها فقال { ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } يعني أن الجهاد خير لكم من قعودكم للحياة والسلامة فكأنها قالت : فما لنا في الجهاد من الحظ ؟ فقال { يغفر لكم ذنوبكم } (الصف ١٢) مع المغفرة { ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم } فكأنها قالت هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا ؟ فقال { وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين } (الصف ١٣) فلله ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جذباً لها وتسييراً إلى ربها وما ألطف موقعها من قلب كل محب ، وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشة حين تباشره معانيها فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم " [١١٣] أ.هـ

ويقول العزيز الحميد وهو يقرر فضل المجاهدين في سبيله وما أعد لهم في دار كرامته { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم } (التوبة١١١)

– يقول ابن القيم رحمه الله " أول نقدة من أثمان المحبة : بذل الروح فما للمفلس الجبان البخيل وسومها ؟

بدم المحب يباع وصلهم * * * فمن الذي يبتاع بالثمن

تالله ما هزلت فيستلمها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس ، فتأخر البطالون ، وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمنا ؟ فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد { أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين } (المائدة ٥٤) لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة

[١١٣] – طريق الهجرتين وباب السعادتين ٤٣٨ – ٤٣٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدعوى ، فلو يعطي الناس بدعواهم لادعي الخلي حرقة الشجى ، فتنوع المدعون في الشهود فقيل : لا نقيل هذه الدعوى إلا ببينة { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله } (آل عمران ٣١) فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة بتزكية { يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم } (المائدة ٥٤) فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فقيل لهم إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا إلى بيعة {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } (التوبة ١١١) فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وأن لها شأناً فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس ، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار وقالوا : والله لا نقيلك ولا نستقيلك " فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم : مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معاً { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله"آل عمران ١٦٩-١٧٠ } ([114])

يقول المولى سبحانه وتعالى : { ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون } (البقرة ١٥٤)

ويقول سبحانه وتعالى { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عن ربهم يرزقون } (آل عمران ١٦٩) أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " أنه سئل عن أرواح الشهداء ، قال : قد سألنا عن ذلك فقال " أرواحهم كطير خضر لها قناديل معلقة في العرش تسرح حيث شاءت ،

ثم تأوي إلى قناديلها ، فبينما هم على ذلك إذ طلع عليهم ربك إطلاعه فيقول ما تشتهون ؟ فيقولون وما نشتهى ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا ؟ فإذا رأوا أن لابد من أن يسألوا ، قالوا : ترد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيل الله مرة أخرى ، فإذا رأى أن لا يسألوه شيئاً تركهم]

[114] – مدارج السالكين ج ٢ ص ٨ : ٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– عن ابن عباس ﷺ قال " لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنها الجنة .تأكل من ثمارها فتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم([١١٥])

– ويقول العز بن عبد السلام رحمه الله –([١١٦]) أحيا الله فيه بعد مماتهم وعوضهم عن حياتهم التي بذلوها بأيديهم حياة أبديه سرمدية لا يصفها الواصفون ولا يعرفها العارفون ، وكذلك لما فارقوا الأهل والأوطان أسكنهم في جواره وآنسهم بقربة بدلاً من أنس من فارقوه من أحبائهم لأجله فطوبي لمن حصل على هذا الجزيل في جوار الجليل "

وهيا لنعيش مع شهيد الحق سيد قطب رحمه الله وهو يقول يقرر تلك الحقيقة " إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق شهداء قتلى أعزاء أحياء قتلى كراماً أذكياء ، فالذين يخرجون في سبيل الله والذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق هم عادة أكرم القلوب ، وأذكى الأرواح وأطهر النفوس ، إنهم أحياء فلا يجوز أن يقال عنهم ، أموات لا يجوز أن يعتبروا أمواتاً في الحس والشعور ، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه ، فهم لابد أحياء إنهم قتلوا في ظاهر الأمر وحسبما ترى العين ، ولكن حقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد ، وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع ، وهؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة ، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد

وحبوب سنبلة تجف *** سنملأ الوادي سنابل

وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوي ويمتد فهم ما يزالون عنصراً فعالاً مؤثراً في تكييف الحياة وتوجيهها وهذه هي صفة الحياة الأولى، فهم أحياء أولاً بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس ، ثم هم أحياء عند ربهم ، أحياء . ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى ويكنفون في ثيابهم التي استشهدوا فيها، فالغسل تطهير للجسد الميت، وهم أطهار بما فيهم

---

[١١٥] _ رواه أحمد وابو داود وهو في صحيح الجامع رقم ٥٠٨١ .

[١١٦] – محكمة جهاد وفضائله ص ٥٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من حياة وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر لأنهم بعد أحياء . أحياء فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء أحياء ، فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم ولا يتعاظمهم الأمر ولا يهولنها عظم الفداء .ثم هم بعد أحياء مكرمون عند الله مأجورون أكرم الأجر وأوفاه

– ويقول أيضاً رحمه الله " حقيقة ضخمة في ذاتها وضخمة في آثارها إن الذين قتلوا في سبيل الله ليسوا أمواتاً بل أحياء ، أحياء عند ربهم لم ينقطعوا عن حياة الجماعة المسلمة من بعدهم ولا عن أحداثها فهم متأثرون بها مؤثرون فيها والتأثير أهم خصائص الحياة .

فهم يرزقون عند ربهم .

وهم فرحون بما آتاهم الله من فضله وهم يستبشرون بمصائر من وراءهم من المؤمنين وهم يحلفون بالأحداث التي تمر من خلفهم من إخوانهم .

فهذه خصائص الأحياء من متاع واستبشار واهتمام وتأثر ، فما الحسرة على فراقهم ؟! وهم أحياء موصولون بالأحياء والأحداث فوق ما نالهم من فضل الله ، وفوق ما لقوا عنده من الرزق والمكانة يستقبلون رزق الله بالفرح لأنهم يدركون أنه من فضله عليهم ، إن كان هناك حزن لفراقهم فالفرح كل الفرح كل الفرح فرحهم ﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمه خير مما يجمعون ﴾ (آل عمران ١٥٧) فالموت في سبيل الله بهذا القيد وبهذا الاعتبار خير من الحياة وخير مما يجمعه الناس في الحياة من أغراضها الصغار ، من مال وجاه ومن سلطان ومن متاع ، خير بما يعقبه من مغفرة من الله ورحمته وهي في ميزان الحقيقة خير مما يجمعون)([١١٧])

جوائز الشهداء

الشهيد هو الذي باع نفسه لله وقدم ماله بين يديه لأنه عقد مع الله بيعة الرضوان ألا يمل في طلب الشهادة فصدق الله فصدقه الله وأعطاه جوائز لا تقدر بمال ولا بالدنيا فمنحه عطايا وهبات لا تكون إلا له فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ

[١١٧] – في ظلال القرآن ج١ ص ٥١٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للشهيد عن الله سبع خصال : - يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده في الجنة ويحلي حلة الأيمان ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر .

ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع في سبعين أنساناً من أهل بيته([118])

وصدق الله العظيم إذ يقول { يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم } (فصلت ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣)

– وعن فضالة بن عبد الله – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ – قال : كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر " ([119])

– يقول سيد حسين العفاني – حفظه الله – " فالشهيد أولى وأحرى لأنه أفضل منه ، وما نال المرابط ما ناله من الفضل إلا بتعرضه للشهادة وتوقعه لها فكيف لا يعطى ذلك الفضل من نالها "

إن الفتنة في القبر بسؤال الملكين ، إنما هي لاختبار ما عند المرء من حقيقة الإيمان والتصديق ، ولا شك بأن من وقف للقتال ، ورأى السيوف تلمع وتقطع والأسنة تبرق وتخرق ، والسهام ترشق وتمرق والرؤوس تندر ، والدماء تثغب ، والأعضاء تتطاير ، والناس بين قتيل وجريح وطريح فيثبت على ذلك ، ولم يول الدبر ، ولم ينهزم ، وجاد بنفسه لله تعالى إيماناً به وتصديقاً بوعده ووعيده كما وصف الله تعالى المؤمنين في قوله تعالى ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ (الأحزاب ٢٢) فيكفيه هذا امتحانا لإيمانه واختبار له وفتنة ، إذ لو كان عنده شك أو ارتياب لولى الدبر ، وذهل عما هو واجب عليه من الثبات ، وداخله الشك والارتياب ،

---

[118] – رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وهو في صحيح الجامع رقم ٥٥٨

[119] – رواه بن حبان والحاكم وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما قال تعالى ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ (الأحزاب ١٢) فيكفي الشهيد هذا الامتحان من سؤال الفتان ... والجزاء عند الله من جنس العمل ،

– عن أبي هريرة– رضي الله عنه — عن النبي – ﷺ— أنه سأل جبريل عن هذه الآية ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ (الزمر ٦٨) من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال " هم شهداء الله "[١٢٠]

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله – ﷺ — سألت جبريل عن هذه الآية { ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء } من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم قال هم الشهداء ثنية الله تعالى ، متقلدون أسيافهم حول عرشه] [١٢١]فأين صعق السيوف من صعق يوم القيامة ؟! !

إن للموت لسكرات وإن هول المطلع شديد وإن للقبر عذاباً لا ينجو منه إلا الصالحون ، وإن فيه لسؤال الملكين الفاتنين ثم بعد ذلك الخطر العظيم ، إما سعيداً فإلى النعيم والمقيم وإما شقياً فإلى عذاب الجحيم ، والشهيد آمن من جميع ذلك لا يخشى شيئاً من هذه المهالك لا يجد إلا مس القرصة ، فما يقعدك عن انتهاز هذه الفرصة ؟!

[الشهيد لما ترك وأزواجه يزوج من الحور العين] وانظر إلى الشهيد لما اغبر بالتراب تزيل الحور عنه التراب ولما ترك الأزواج ، وقرة عينه من الدنيا يوفر له هذا النصيب وليس لأحد نصيبه قال رسول الله – ﷺ – " للشهيد عند الله سبع خصال .... ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين [١٢٢]

– عن مجاهد قال " قام يزيد بن شجرة في أصحابه فقال : إنها قد أصبحت عليكم ما بين أخضر وأحمر وأصفر ، وفي البيوت ما فيها ، فإذا لقيتم العدو غداً فقدماً قدما ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما تقدم رجل من خطوة إلا تقدم إليه الحور العين فإذا تأخر استترن منه ، وإن استشهد كانت أول نفحة كفارة خطايا وتنزل إليه ثنتان من الحور

---

[١٢٠] – رواه الحاكم في المستدرج وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

[١٢١] – حديث صحيح السيوطي في الجامع وصححه والحاكم انظر فيض القدير ج٤[٧٨ : ٧٩]

[١٢٢] – سبق تخريجه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العين فتنفضان عنه التراب وتقولان له : مرحباً قد آن لك ، ويقول مرحباً قد آن لكما " [٤] [١٢٣])وروي عبد الرزاق بإسناد صحيح عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال " إذا التقى الصفان أهبط الله الحور العين إلى السماء الدنيا فإذا رأين الرجل يرضين قدمه قلن : اللهم ثبته ، وإن فر احتجبن منه فإن هو قتل نزلنا إليه فمسحتا التراب عن وجهه وقالت : اللهم عفر من عفرة وترب من تربة] والجزاء من جنس العمل .

– وعن أنس – رضي الله عنه–: أن رجلاً أسود أتى النبي ﷺ : فقال له : يا رسول الله : إني رجل أسود منتن الريح منتن الريح ، قبيح الوجه ، لا مال لي فإنا أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال " في الجنة " فقاتل حتى قتل فأتاه النبي ﷺ فقال : " قد بيض الله وجهك ، وطيب ريحك ، وأكثر مالك وقال : لهذا أو لغيره " لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته " [١٢٤])

انظر... لما ترك المجاهد الفراش والأزواج جاد عليه الملك الوهاب بكثرة الأزواج من الحور العين ، والجزاء عند الله من جنس العمل ...

ترك نساء الدنيا ، التي يروم منها غيره أقذر ما فيها ويخاف هجرها ، ويخشى تجا فيها ، يحمله حبها على الكد والتعب والشقاء الشديد والنصب ، توردك الموارد المهلكة ، وترضى في أدنى هواها بهلاكك وما أوشكه ، ففاز بوصال من خلقت من النور ، ونشأت في ظلال القصور مع الوالدان والحور ، في دار النعيم والسرور ، والله لا يجف دم الشهيد حتى تلقاه ، وتستمتع بشهود نورها عيناه ، حوراء عيناء ، جميلة حسناء ، بكر عذراء ، كأنها الياقوت لم يطمثها انس قبلك ولا جان ، كلامهم رخيم ، وقدها قويم وشعرها بهيم [١٢٥]، وقدرها عظيم ، وجفنها فاتر ، وحسنها باهر وجمالها زاهر ودلالها ظاهر ، كحيل طرفها ، جميل ظرفها ، عذب نطقها ، عجب خلفها ، حسن خلقها ، زاهية الحلي ، بهية الحلل ، كثيرة الوداد ، عديمة الملل ، قد قصرت طرفها عليك فلم تنظر سواك ، وتحببت إليك

---

[١٢٣] – رواه بن أبي شيبه في مصنفه وابن عبد الرزاق موقوفاً بإسناد صحيح

[١٢٤] – رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم

[١٢٥] – بهيم : ما كان لوناً واحداً لا يخالطه غيره سواداً كان أو بياضا .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بكل ما وافق هواك ، لو برز ظفرها لطمس بدر التمام ، ولو ظهر سوارها ليلاً لم يبق في الكون ظلام ، ولو بدا معصمها .

لسبي كل الأنام ، ولو اطلعت بين السماء والأرض لملأ ريحها ما بينهما ، ولو تفلت في البحر المالح عاد كأعذب الماء ، كلما نظرت إليها ازدات في عينيك حسناً وكلما جالستها زادت إلى ذلك الحسن حسناً ، أو يجمل بعاقل أن يسمع بهذه ويقعد عن وصالها ؟! كيف وله الجنة من الحور العين أمثال أمثالها ؟! ...][126])

" حين يرى الشهيد كرامته عند الله وما أعد الله وما أعد له من الدرجات العالية يدرك أنه اشترى غالياً برخيص وباع خسيساً بنفيس فيتمنى أن يعاد إلى الدنيا ليكرر عمله العظيم وجهاده الرائع لولا أن الحق قد سبقت كلمته أنهم إليها لا يرجعون فعن أنس ﷺعن النبي – ﷺ – قال : ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا أن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإن يسره أن ير جع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى][127])وفي رواية " فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " أنه سئل عن أرواح الشهيد وقال : قد سألنا عن ذلك ، فقال : أرواحهم كطير خضر لها قناديل معلقة في العرش تسرح حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديلها فبينما هم على ذلك إذا اطلع عليهم ربك إطلاعه فيقول : ما تشتهون ؟ فيقولون ؟ وما نشتهي ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا ؟ فإذا رأوا أن لابد من أن يسألوا قالوا : ترد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيل الله مرة أخرى ، فإذا رأى أن لا يسألوه شيئاً تركهم " [128]

الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم

يقول الله تبارك وتعالى { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا } (الأحزاب ٢٣) إن من أعظم علامات الإيمان الصادق والأخوة الوثيقة التي تربط الشهداء الذين سبقوا إلى الله بإخوانهم الذين ينتظرون : أن

---

[126] – الجزاء من جنس العمل ج(١) ٥٨٤ : ٥٨٨ .

[127] – أخرجه البخاري ومسلم

[128] – أخرجه مسلم والترمذي وأحمد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشهداء يرغبون في أن يعرف إخوانهم ما نزلوا فيه من الخير وما آلوا إليه من النعيم المقيم ليجتهد الخامل وينشط الكسول ويخف الثقيل ، ولتتحرك الأشواق إلى لقاء الحنان المنان " جل وعلا " في صحبة الأنبياء والصديقين فعن أنس رضي الله عنه قال : بعث النبي ﷺ أقواماً من بني سليم إلى بني عامر في سبعين فلما قدموا قال لهم خالي : أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ – وإلا كنتم مني قريباً فتقدم فأمنوه فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ – إذ أو مأوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا

على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلاً أعرج صعد الجبل — قال همام وأراه آخر معه — فأخبر جبريل " عليه السلام " النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم فكنا نقرأ " أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا " ثم نسخ بعد ، فدعا عليهم أربعين صباحاً على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله ﷺ [1] [129])

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب ؟ فقال الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم قال

فأنزل الله " { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ... } (إلى أخر الأية١٦٩) [2] [130])

إن المؤمن المجاهد لا ينسى في غمرة فرحة إخوانه الذين ساروا معه على الدرب ويرجوا أن يعرفهم ما سيق إليه من الخير الذي ينتظرهم ليخفوا للجهاد والاستشهاد ، ومن قبل ذلك قال الرجل الصالح الذي دعا قومه لا تباع الرسل فأبوا عليه وقتلوه قال حين

نزل في مقعد الصدق وقيل له "ادخل الجنة " { يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين } (يس آية ٢٦)[131])

---

[129] – أخرجه البخاري ومسلم

[130] – أخرجه أبو داود وأحمد وصححه الحاكم على شرط مسلم

[131] – مجلة الرسالة ع (١١) سنة ١٤٢٥ ص ٢٧ ، ٢٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أي مواجهة بلا واسطة كيف لا وقد باع لله نفسه ! واسترخص في سبيل الله روحه وآثر ما عند الله على الدنيا وما فيها فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لقيني رسول الله ﷺ يا جابر مالي أراك منكسراً ؟ قلت : يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالاً وديناً ، قال : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قلت ؟ بلى يا رسول الله قال " ما كلم الله أحد قط إلا من وراء حجاب و أحيا أباك فكلمه كفاحاً ، فقال : يا عبدي تمن علي أعطك قال : يا رب تحييني فقتل فيك ثانية

قال الرب عز وجل " إنه قد سبق مني { إنهم إليها لا يرجعون }

– زاد في رواية – قال : يا رب فأبلغ من ورائي – فأنزل الله عز وجل { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً } الآية كلها (آل عمران ١٩٦) يا بشرى تلك العين الكريمة التي تلذذت بالنظر إلى وجه الله الكريم ، وتلك الأذن العظيمة التي تلذذت بهذا الخطاب الرحيم ، وذلك اللسان الطيب الذي خاطب العلي الأعلى " جل وعلا " ولئن كان ذلك الشهيد على الله يوم لقائه والعرض عليه يوم الحساب " أ.هـ] [١٣٢])

إن هذا الدم الزكي النفيس الذي أهريق في ذات الله لهو أنفس وأغلى ما يبذل ولئن كان الموتى تتغير روائحهم وروائح دمائهم فإن الشهداء سيعرفون بين الناس يوم القيامة حين يبعثون بدمائهم ، اللون لون الدم والريح ريح المسك وتلك آية لهم خاصة حتى يعرف الأشهاد

كرامة الشهداء عند الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " والذي نفسي لا يكلم أحد في سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك][١٣٣])

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " من جرح جرحاً في سبيل الله جاء يوم القيامة يدمي اللون لون الدم والريح ريح المسك ، ومن جرح في سبيل الله بطابع الشهداء] ([١٣٤])

---

١٣٢ – المصدر السابق ص ٢٩

١٣٣ – أخرجه البخاري ومسلم

١٣٤ – أخرجه ابن حبان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– وفي رواية " من جرح جرحاً في سبيل الله جاء يوم القيامة ريحة كريح المسك لونه لون الزعفران ، عليه طابع الشهداء ومن سأل الله الشهادة مخلصاً أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه " [١٣٥]

ولذلك أمر بأن يزمل الشهيد في دمه ولا يمسح عنه حتى يخرج به يوم القيامة فعن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " زملوهم بدمائهم فإنه ليس كلم يكلم في الله إلا يأتي يوم القيامة يدمي لونه لون الدم وريحه ريح المسك][١٣٦][١٣٧]

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام " رحمه الله " إنما يجئ الجريح كذلك يوم القيامة تفضيلاً له على أهل الموقف ونداء عليه بأنه بذل نفسه حتى جرح في سبيل الله " [١٣٨]

فضل من اغبرت قدمه في سبيل الله

و اعلم علمني الله و إياك: إن لكل حركة في ميدان المعركة اجر و ثواب من الكريم الوهاب فالذي قاتل في سبيله و لم يقتل بل اغبرت قدامه في السير إلى الميدان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً [١٣٩]

وعنه أيضاً عن رسول الله ﷺ " قال : " لا يجتمع غبار في سبيل الله وخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً " [١٤٠]

– وقال رسول الله ﷺ : " ما أغبرتا قدما في سبيل الله فتمسه النار " يقول ابن حجر رحمه الله — وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذه وسعه ؟ وللحديث شواهد ، منها ما أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء مرفوعاً " من أغبرت قدماه في سبيل الله باعد الله منه النار مسيرة ألف عام للراكب المستعجل " وأخرج ابن حبان من حديث جابر

---

[١٣٥] – أخرجه ابن حبان

[١٣٦] – أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن

[١٣٧] – أحكام الجهاد وفضائله

[١٣٨] – أخرجه النسائي وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧٤٩٣

[١٣٩] – أخرجه النسائي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧٤٩٢

[١٤٠] – أخرجه البخاري .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنه كان في غزاة فقال " سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكر نحو حديث الباب ، قال : فتوابت الناس عن داوبهم فما رؤى أكثر ماشياً من ذلك اليوم] أ.هـ ([141])

[141] – أخرجه ابن حبان في صحيحه " (١٥٨٨) والطيالسي (١٧٧٢) وأحمد (٣ / ٣٦٧)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل السابع

هزت غزة أحيت عقيدة الولاء والبراء في الأمة

إن المتأمل في أحوال العالم الإسلامي عامة و العالم العربي خاصة يجد أن ذلك العالم غرق في بحار التطبيع مع ذلك العدو اللدود و اجتاحت العالم الإسلامي تلك الموجة المظلمة التي تدعوا إلى التقارب بين الأديان و نبذ العداوة و البغضاء لمن يسد السم للأمة في جميع المحاور و المجالات حتى كادت أن تموت في الأمة الإسلامية أوثق عرى الإيمان ألا و هي عقيد الولاء و البراء ممن كفر بآيات الله و حارب أوليائه ... حتى أنهم حذفوا الآيات القرآنية التي تبين لأبناء الأمة عداوة اليهود و النصارى للأمة فنشأ جيل لا يعرف شيئا عما يضمره العدو الماكر و لقد كانت هناك آثار سيئة على مصرنا الحبيبة من جراء ذلك التطبيع اكتشفتها الحكومة و المخابرات المصرية في الفترة الأخيرة و إليك بعض آثار التطبيع

آثار التطبيع على مصر([١٤٢])

يقو الشيخ **ناصر بن حمد الفهد**" بعد سنوات عجاف من السلام والتطبيع بين مصر واليهود ، ظهرت بعض الآثار اليهودية على أرض مصر ، ومن ذلك :

١- إفساد الدين :

فقد أنشيء المركز الأكاديمي اليهودي في مصر [١٤٣]، وهو يقوم بدور رائد في مجال إفساد الدين ، وقتل روح الولاء والبراء عند المسلمين ، ويقوم بالتعاون مع الكثير من المراكز

---

[١٤٢] –من كتاب التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين ص ٣٨–٤٢

[١٤٣] نشرت جريدة البيان الإماراتية بتاريخ ١٩ جماد أول ١٤٢٢ مقالاً لأمين اسكندر بعنوان (استراتيجية التطبيع الإسرائيلية ..النموذج المصري) جاء فيه عن هذا المركز : "يأتي إنشاء هذا المركز الإسرائيلي في قلب القاهرة تطبيقا لنصوص معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية في ٢٦ مارس ١٩٧٩، وكذا الاتفاق الثقافي الموقع في ٨ مايو ١٩٨٠، وقد بدأ المركز الأكاديمي الإسرائيلي نشاطه في مطلع عام ١٩٨٢، وعين البروفيسور الإسرائيلي (شيمون شامير) مديراً له ومشرفاً عليه ، ...، ويكشف د. رفعت سيد أحمد في كتاب (**وكر الجواسيس في مصر المحروسة**) بالوثائق الملفات السرية للمركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة إن من أبرز استراتيجياته في مجال التطبيع الثقافي استراتيجية **تهويد التاريخ المصري** ، حيث يتم نسبة كل الإنجازات الفكرية والسياسية والاجتماعية في مصر للأقلية اليهودية التي قدر لها أن تعيش في مصر آنذاك ، ففي عام ١٩٨٨ وتحت إشراف (اشير عودفيا) مدير المركز حينذاك أجرى المركز ستة أبحاث موسعة محاولا تأكيد وإبراز الدور اليهودي حينذاك ، وفي عام ١٩٨٩ عرض المركز بحثاً بعنوان (دراسة مقارنة بين الحكمة التوراتية والحكمة المصرية القديمة) وكان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأميركية المنتشرة في مصر بأسماء ووظائف مختلفة. وركّز المركز في أبحاثه على : ضرورة فتح الأبواب أمام حركة الناس وتبادل المعلومات والثقافة والعلوم ، و ضرورة مراجعة البرامج الدراسية من الجانبين ، وفحص ما يُدرَس وتحديد ما يجب حذفه ، ودراسة البرامج المتبادلة في وسائل الإعلام ، وأن يسمح كل طرف للآخر بإذاعة برامج ثقافية عن وثائقه وتاريخه ، و ضرورة إزالة المفاهيم السلبية في الأيديولوجية العربية والإسلامية تجاه اليهود. وقد تحقق لهم الكثير مما أرادوا فبرامج التعليم تمّت مراجعتها ، وحُذف منها كل ما يتعلق باليهود من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ووقائع تاريخية [١٤٤].

٢-التجسس:

ففي أوائل أيلول ١٩٨٥م كشفت المخابرات المصرية عن شبكة تجسس "إسرائيلية" في القاهرة يقودها المستشار العسكري بالسفارة ، واكتشفت السلطات المصرية أن المركز الأكاديمي "الإسرائيلي" تحوّل منذ تأسيسه عام ١٤٠٢ (١٩٨٢م) في القاهرة إلى واحد من أخطر بؤر التجسس وأبرز مظاهر الاختراق الثقافي في مصر، ثم كشف بعد ذلك عن عصابات التجسس "الإسرائيلي" الواحدة تلو الأخرى [١٤٥].

٣-إفساد الاقتصاد :

فقد تبيّن أن هناك خطة لإغراق السوق المصرية بملايين الدولارات المزيفة ، وقد ضُبطت ـ على سبيل المثال فقط ـ ٨٠ قضية لتهريب وترويج عملات مزيفة من فئة المائة دولار مهربة من تل أبيب إلى القاهرة ، وفي عام ١٤١٠ (١٩٨٩م) ضبطت شبكة مكونة من ١١ يهودياً كان بحوزتهم مليونا دولار مزيفة ، وفي التحقيقات اعترف الجميع أنهم يعملون ضمن شبكة دولية مركزها تل أبيب. علماً أن عدد قضايا العملات المزيفة عام ١٤٠٤ (١٩٨٤م) كان ٣٤ قضية ، ارتفع بين عامي (٨٩ ـ ٩٠) ليصل إلى ١٤٥ قضية ، صادرت السلطات خلالها ٢٨

من إعداد (نيلي شوباك) وبحثاً آخر عن (يهود مصر في الفترة الهيلينية والرومانية) وهو من إعداد (روفائيل بنكلفيتش)، وفي عام ١٩٨٩ عمل المركز بحثاً بعنوان (تأثير الفلسفة الإسلامية على الفلسفة اليهودية) " اهـ .

[١٤٤] وانظر (التطبيع الثقافي) في المبحث الأول .

[١٤٥] في فترة كتابة هذه الرسالة (محرم ١٤٢٣) ذكرت وكالات الأنباء أن هناك محاكمة لجواسيس لليهود في مصر!!!.

مليون دولاراً مزيفاً. ويكون تقرير مصلحة الأمن العام أكثر تحديداً عندما يؤكد أن ٧٦٪ من جرائم التهريب عام ١٤٠٩ (١٩٨٩م) قام بها الصهاينة [١٤٦].

٤-ترويج المخدرات :

ففي عام ١٤٠٩ (١٩٨٩م) تم القبض على ٥ أشخاص من العاملين في المركز الأكاديمي "الإسرائيلي" بالقاهرة خلال تهريب الهيروبين في معجون أسنان ، وقبلها بعامين ضُبط الصهيوني "ساسون فريد" وهو يقوم بترويج الهيروبين في مدينة العريش ، وقبل ذلك بعام ١٤٠٦(١٩٨٦م) أكدت تقارير وزارة الداخلية المصرية أن مجموع القضايا التي ضُبط فيها الصهاينة بلغ (٤٤٥٧) قضية ، هُرّب فيها ٥,٣٠ طن من الحشيش ، و ٣٠ كيلو أفيون[١٤٧].

٥-إفساد المزروعات :

فقد اتفقت مصر مع اليهود على التطبيع الزراعي ، والتعاون في هذا المجال ، ولأهمية هذا المجال دخلت أميركا طرفاً ثالثاً لرعاية هذا التعاون وكان ما يسمى "المشروع الثلاثي" يكون فيه التمويل أميركياً والخبراء صهاينة بالاشتراك مع بعض المصريين أحياناً أما أرض البحث فهي مصرية ، وبعد سنوات قليلة من بداية التوسع في التطبيع الزراعي بدأت نتائجه تظهر في زراعات مصر التي أصابها الهلاك مثل الخضروات والقطن والقمح والذُّرة ، بل إن الأرض نطقت هي الأخرى بما أصابها من التطبيع وذلك بعد إصابة تربتها بالجدب نتيجة البذور الملوّثة عمداً ، وكذلك الأسمدة والمبيدات الفاسدة ،

والخطير أن البذور الملوّثة والتي تؤدي إلى تدمير الزراعات هي مثل قنابل موقوتة تُحدث آثارها بعد سنوات من استخدامها ؛ وهذا ما حصل عندما فوجئ المزارعون بتدهور الإنتاج عاماً بعد عام إلى أن تأكد أن الجميع جلبوا الدمار لأنفسهم ؛ لأنه بتحليل البذور كانت المفاجأة أنها تحمل نسبة كبيرة من أمراض تصيب الإنسان بالفشل الكلوي وأنها مصابة

---

[١٤٦] نشرت جريدة الشعب المصرية بتاريخ ١٩٩٣/٣/١٦م موضوعاً بعنوان (اتفاق إسرائيلي أمريكي للتجسس الاقتصادي على المنطقة العربية) انظر تفصيل ما ورد فيه في (حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى) ص ٣٩٨-٣٩٩.

[١٤٧] نشرت جريدة القبس – العدد ٥٢٣٨-سنة١٥-١٩٨٦/١٢/١١م خبراً مفاده أن ثلاثة من كبار تجار المخدرات المصريين اعترفوا بعد القبض عليهم بأن اثنين من الدبلوماسيين اليهود كانا وراء تهريب عشرين طناً من المخدرات إلى مصر عبر منفذ طابا ، وتبين أن أحدهما يعمل بالملحقية الإدارية لسفارة اليهود في القاهرة ، والثاني في المركز الأكاديمي اليهودي . انظر (مخاطر الوجود اليهودي) لشبير ص ٤٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بفيروسات تصيب التربة بأمراض تصيبها بالبوار لعدة سنوات ، وتم ضبط ٤٤٦ حالة من هذا النوع عام ١٤٠٩(١٩٨٩م) [١٤٨].

٦-إفساد الثروة الحيوانية :

فالثروة الداجنة تعرضت لكارثة بفضل طرود "الكتاكيت" المصابة بمرض "الجابوري" – وهو طاعون الدواجن – والقادمة من "إسرائيل" ، وقد تم ضبط ٣٠٠ طرد "كتاكيت" قادمة من هناك مصابة بهذا المرض .

وفي نفس الوقت جاءت الضربة لإنتاج العسل بعد اكتشاف أكثر من ١٠٠ طرد لِمَلِكات النحل مصابة بمرض "الفاروان" ومستوردة من إسرائيل ، وذلك أدى في عام ١٤١٠ (١٩٩٠م) إلى تدمير ٨٠٪ من خلايا النحل في مصر بعد أن ماتت مليون خلية نحل بالكامل

٧-تلويث الشواطئ :

فقد ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على القبطان الصهيوني "جوزف تزمن" في ٣-١٠-١٩٨٩م متهماً بتسريب البترول من باخرته التي يقودها في البحر الأحمر مما أدى إلى تلويث مياه المنطقة ، وتكررت حوادث تدمير الشعاب المِرْجانية النادرة وتلويث الشواطئ المصرية بصورة ملحوظة ممّا أدى إلى تلويث ٤٠ %من الشاطئ ! [١٤٩].

٨-نشر مرض الإيدز:

اكتشفت السلطات المصرية شبكة يهودية تضم العشرات من بائعات الهوى الإسرائيليات المصابات بمرض الإيدز يعملن بتوجيه من المخابرات الإسرائيلية (الموساد) لنشر هذا المرض في صفوف الشعب المصري عن طريق استدراج الشباب المنحرف لممارسة الرذيلة معهن في أماكن اللهو والشقق المفروشة ، وذكرت الصحف المصرية أن رجال الموساد أقنعوهن بأن ما يقمن به هو لصالح إسرائيل الكبرى ! [١٥٠].

---

[١٤٨] نشرت جريدة القبس عدد ٥٣٢٤ بتاريخ ١٩٨٧/٣/٩م خبراً مفاده أن السلطات المصرية اكتشفت شحنات من الأغذية الملوثة بالإشعاع النووي داخل مصر ، وكانت السفارة اليهودية في القاهرة لعبت دور الوسيط بين المصدر والمستهلك المصري !!.

[١٤٩] جميع ما ورد في المتن من إحصاءات – دون الحاشية – من (١) إلى (٧) منقول عن مجلة (المجتمع) عدد : ١٠٥٢ ، ونشرة الأندلس للجنة الطلابية لجمعية الاتحاد الإسلامي عدد ٢١.

[١٥٠] القبس – عدد ٥٦٠٢ – سنة ١٦ – ١٩٨٧/٢/١٧ م ، نقلاً عن (مخاطر الوجود اليهودي) لشبير ص ٤٦ ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اعلم علمني الله وإياك إن الولاء والثراء قاعدة من قواعد الدين وأصل من أصول الإيمان والعقيدة، فلا يصح إيمان شخص بدونهما ، فيجب على المرء المسلم أن يوالي في الله ويحب في الله ويعادي في الله ، فيوالي أولياء الله ويحبهم ويعادي أعداء الله ويتبرأ منهم ويبغضهم ، قال صلى الله عليه وسلم : (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعادة في الله والحب في الله والبغض في الله) .

واليك الأدلة من القران الكريم و السنة المطهرة أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: { لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

يقول العلامة السعدي –رحمه الله –(وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: { ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء } أي: فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله وجهاد أعدائه، قال تعالى: { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض } فمن والى – الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أولياءه خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين، قال تعالى: { ومن يتولهم منكم فإنه منهم } وفي هذه الآية دليل على الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصداقتهم، والميل إليهم [ص ١٢٨] والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: { إلا أن تتقوا منهم تقاة } أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللسان وإظهار ما به تحصل التقية. ثم قال تعالى: { ويحذركم الله نفسه } أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك { وإلى الله المصير } أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصي أعمالهم ويحاسبهم عليها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل الأجر والمثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصا، ولما في السماء والأرض عموما، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله.(قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "المنهاج": وأما قوله: "إلا أن تتقوا منهم تقاة" قال مجاهد: لا مصانعة، والتقاة ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه كما في "الصحيح" عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا" الخ، ([١٥١])

ويقول القطان في تفسيره (في هذه الآية تحذير كبير من اتخاذ الكافرين أولياء ، فالله سبحانه وتعالى نبّهنا في الآية السابقة أن نلتجىء إليه ، وأفهمنا أن كل شيء بيده ، وهنا يحذّرنا من أن نتخذ الكفارين أصدقاء وناصرين : فما دام الله وحده هو مالك الملك ، يعزّ ويذل ويعطي ويمنع ، فهل يجوز للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم؟ إن في هذا خذلاناً للدِّين وأضعافا للولاية الإسلامية، ومن يسلك هذا المسلك فإن الله يتخلى عنه ولا يجوز للمؤمن أن يرضى بولاية الكافرين إلا مضطرا، فيتقي أذاهم بإظهار الولاء لهم .

وعلى المؤمنين أن يكونوا في الولاية الاسلايمة، وهي ولاية الله، ولْيحذَروا أن يخرجوا منها إلى غير ولايته، فيتولى عقابهم بنفسه، كما هو حاصل اليوم، حيث ألقى طائفة من المسلمين بأنفسهم في أحضان أعدائهم وأعداء الله في الشرق والغرب، فأذاقهم الله الذل ونصَر عليهم اليهود . وهو سينصرهم لو رجعوا ليه، لا إلى مطامعهم ، ووحدوا صفوفهم وباعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله لا في سبيل الكراسي والمناصب ([١٥٢]) .

ويقول الله –تعالى –عن أهداف أعداء الله: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) [سورة النساء: ٨٩]

---

[١٥١] – تفسير السعدي – (ج ١ / ص ١٢٧)

[١٥٢] – تفسير القطان – (ج ١ / ص ١٨٧)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [سورة المائدة: ٥١]

* يقول الشنقيطى –رحمه الله –في قوله تعالى : { وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } ذكر في هذه الآية الكريمة ، أن من تولى اليهود ، والنصارى ، مِن المسلمين ، فإنه يكون منهم بتوليه إياهم . وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله ، والخلود في عذابه ، وأن متوليهم لو كان مؤمناً ما تولاهم ، وهو قوله تعالى : { ترى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الذين كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ الله عَلَيْهِمْ وَفِي العذاب هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بالله والنَّبيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ولكن كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } [المائدة : ٨٠–٨١] .ونهى في موضع آخر عن تَوليهم مبيناً سبب التنفير منه . وهو قوله : { يا أيها الذين آمَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الآخرة كَمَا يَئِسَ الكفار مِنْ أَصْحَابِ القبور } [الممتحنة : ١٣] .

وبين في موضع آخر : أن محل ذلك ، فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف ، وتقية ، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور ، وهو قوله تعالى : { لاَّ يَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ المؤمنين وَمَن يَفْعَلْ ذلك فَلَيْسَ مِنَ الله فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاة } [آل عمران : ٢٨] فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقاً وإيضاح ، لأن محل ذلك في حالة الاختيار ، وأما عند الخوف والتقية ، فيرخص في موالاتهم ، بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم ، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة .

ومن يأتي الأمور على اضطرار*** فليس كمثل آتيها اختيارا

ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً ، رغبة فيهم أنه كافر مثلهم ([١٥٣])

[١٥٣] – أضواء البيان – (ج ١ / ص ٤٣٧)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول العلامة القطان (يا أيها الّذين آمنوا ، لا يحِلُّ لكم أن تتّخذوا اليهودَ ولا النصارى نُصراءَ لكم على أهل الإيمان بالله ورسوله ، فمن اتخذَهم كذلك فهو منهم ، واللهُ ورسوله بريئان منه .

{ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ } .إن اليهود بعضُهم أنصار بعض ، والنصارى بعضهم أنصار بعض ، وقد يتحالف اليهود والنصارى معاً ، أما أن يتحالفوا أو يصدُقوا مع المسلمين فلا . وفي واقعنا الحاضر شاهد على ذلك . . ولقد نقض اليهود ما عقَده الرسول الكريم معهم من العهد من غير أن يبدأهم بقتال . وكذلك فعلت أوروبا في الحروب الصليبية ، وتفعل أمريكا اليوم مع كل من يطلب الحرية لشبعه ، والمسلمين خاصة .

{ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي القوم الظالمين }إن الله لا يهدي الذين يظلمون أنفسهم منكم بموالاة أعداء المؤمنين .فإن اليهود بتدبير من النصارى ، وبقوة سلاحهم أيضاً جاؤا واغتصبوا فلسطين وأجواء من سورية ومصر ، بمعونة أمريكا وسلاحها ومالها ، ولا يزالون في حماية أمريكا . وحتى أوروبا والدول الغربية جميعاً فإنهم يعطِفون على اليهود أعداء العالم أجمع ونحن بحكم جهلنا ، لا نزال نستنصر أمريكا وغيرها ونطلب المعونة منها ، مع أننا لو اجتمعت كلمتُنا ووحّدنا صفوفنا ، لما احتجنا إلى شيء من ذلك . ولكنّنا تفرّقنا ، وبعُدنا عن ديننا ومزّقتنا الأهواء وحب المناصب . بذلك قوي اليهود من ضعفنا ، فهم يهدّدوننا ، ويهاجمون بلداننا وقرانا ، ويعيثون في الأرض فسادا . هذا وكلٌّ منّا يود المحافظة على منصبه ويبيع في سبيله كل ما عداه ، ثم أخبر سبحانه وتعالى أن فريقاً من ضعاف الإيمان يفعل ذلك فقال : فترى الذين في قلوبهم مرض . . الآية ٥٢ .

(فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)

هذا تصويرٌ لحال المنافقين وبعضِ ضعاف الإيمان في المدنية. لم يكونوا واثقين من نجاح دعوة الإسلام، فكانوا يوالون اليهود ويسارعون إلى ذلك كلّما سنحت لهم فرصة. لذا ورد قوله تعالى { يَقُولُونَ نخشى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ } بمعنى إننا نخاف أن نتعرض لكارثة عامة فلا يساعدوننا . عسى الله يا محمد أن يحقق النصر لرسوله وللمسلمين على أعدائهم ، أو يُظهر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفاق أولئك المنافقين ، فيصبحوا نادمين آسفين على ما كتموا في نفوسهم من كفر وشك . وقد تحقق وعد الله بالنصر للمؤمنين .

كان هذا النداء موجهاً في الأصل إلى المسلمين في المدينة المنورة ، لكنه جاء في الوقت ذاته موجّها لكل المسلمين في جميع أركان الأرض ، وفي كل زمان ومكان . وقد أثبت التاريخ والواقع أن عِداء النصارى لهذا الدين وأهله في معظم بقاع الأرض لم يكن أقلَّ من عداء اليهود وأكبر شاهدٍ هو ما يجري اليوم من دَعم أمريكا وأوروبا جميعها لليهود وتثبيتهم في فلسطين بكل ما يستطيعون من قوة ومال . فالنصارى بدافعٍ من تعصبهم قد حملوا للإسلام منذ ظهوره كلَّ عداوة وضغنٍ ولا يزالون . ولا نزال نعاني من الحروب الصليبية التي لم تنته إلى الآن . ولذلك فإن قوله تعالى : { بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ } حقيقةٌ قائمة .

أما النصارى العرب الذين يعيشون معنا ولا يمالئون الأعداء ضدّنا فإنهم مواطنون في ديار الإسلام، لهم ما لنا و عليهم ما علينا. والمعاملة التي يلقَونها أكبر شاهد على ذلك . بل إنهم في كثير من الحالات قد أخذوا وأكثرَ مما لهم. وحتى اليهودُ الذين يعيشون في البلاد العربية، فإنهم معزَّزون مكرمون ما داموا يخدمون المجتمع الذي يعيشون فيه ضمن القانون ، ونحن عندما نطلق كلمة نصارى أو يهود نقصد بذلك أولئك المعتدين من الغربيين وغيرهم [١٥٤]

ويقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) [سورة المائدة: ٥٤] .

أما الأحاديث والآثار فكثيرة وأذكر منها: *ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى عليه وسلم بايعه على أن "تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر"[١٥٥] .

---

[١٥٤] –) تفسير القطان – (ج ١ / ص ٤٠٩)

[١٥٥]) "المسند" للإمام أحمد: (ج٤/٣٥٧، ٣٥٨)، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ، الناشر المكتب الإسلامي وهو حديث حسن.

* روى ابن أبي شيبة بسنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله"[١٥٦] .

* روى الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله"[١٥٧]

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا: (قوله: "ووالى في الله" هذا بيان للازم المحبة في الله، وهو الموالاة فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لابد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب. وهي النصرة والإكرام، والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً. وقوله: "وعادى في الله" هذا بيان للازم البغض في الله، وهو المعاداة فيه. أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم، والبعد عنهم باطناً وظاهراً، إشارة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب، بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه كما قال تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) [سورة الممتحنة: ٤].

ومما سبق يتضح أن الولاء في الله هو: محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم. والبراء هو: بغض أعداء الله ومجاهدتهم. وعلى ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول: بـ"أولياء الله"، والفريق الثاني: بـ"أولياء الشيطان" قال تعالى: (الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [سورة البقرة: ٢٥٧]. وقال تعالى: (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) [سورة النساء: ٧٦]

([١٥٦]) "الإيمان" لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، توفي سنة ٢٣٥هـ: (ص٤٥)، تحقيق الألباني وقال: أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً وهو حسن، المطبعة العمومية بدمشق وانظر "المسند": (٢٨٦/٤).

([١٥٧]) ذكره السيوطي في "الجامع الصغير": (٦٩/١) وقال الألباني: حديث حسن.

انظر "صحيح الجامع الصغير": (٣٤٣/٢، ح٢٥٣٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واعلم أن الله سبحانه لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) [١٥٨] [سورة الأنعام: ١١٢] .

(وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكُتب وحُجج كما قال تعالى: (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) [سورة غافر: ٨٣]

والواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحاً يقاتل به هؤلاء الشياطين، ومن ثَمَّ لا خوف ولا حزن لأن: (كيد الشيطان كان ضعيفاً) [سورة النساء: ٧٦] .

والعامّي من الموحّدين يغلب الألف من علماء المشركين كما قال تعالى: (وإن جندنا لهم الغالبون) [سورة الصافات: ١٧٣].

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان)[١٥٩].

المنافقون يوالون الكفار

من المظاهر موالاة كثير من المنافقين لأعداء الدين وهذا اخطر ما ارتكبه المنافقون: موالاة اليهود والنصارى ضد المسلمين وقد فضحهم القرآن في عدة مواضع ومنها سورة الحشر، قال تعالى: (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون* لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) [سورة الحشر: ١١-١٢].

وقال تعالى : (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) [سورة المجادلة: ١٤].

ذكر السدي ومقاتل: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل المنافقين: فقد كان أحدهما يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود[١٦٠]. وهذا الآية كقوله

---

(١٥٨) "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد" للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (ص٤٢٢)، الناشر: إدارات البحوث العلمية بالرياض بدون تاريخ.

(١٥٩) بتصرف : انظر "كشف الشبهات" للإمام محمد بن عبد الوهاب: (ص ٢٠)، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ، الناشر مؤسسة النور بالرياض. وانظر "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية": (ج ٤/٤٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى : (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً). [سورة النساء: ١٤٣].

وفى هذه الحقبة الأخيرة رأينا ما يبكى العيون من ومالاة كثير من المسلمين لأعداء دينهم وخذلانهم أبناء عقيدتهم كما حدث في الحرب الصليبية على العراق فرأينا من يفتح لهم دياره ومطارتهم لضرب إخواننا في العراق وفريق آخر فتح لهم المجال الجوى والبرى وفريق آخر أصدر الفتاوى المفصلة لضرب الكفار للمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

صور من الولاء والبراء

وفى هذه الصفحات الآتية سنقف مع صور مشرقة للحب في الله والبغض في الله لمن ضربوا أروع الأمثلة للولاء والبراء لذا نصرهم الله على هدوهم وعاشوا أعزة بدينهم وعقيدتهم

يقول الدكتور /محمد سعيد القحطانى– حفظه الله – ومن هذه الأمثلة: موقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كعب بن مالك رضي الله عنه ومن معه من المخلفين الثلاثة، حيث قاطعوهم وهجروهم لتخلفهم عن غزوة تبوك.

وانظر إلى هذه المقاطعة لثلاثة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون خلف رسول الله في مسجد أسس على التقوى: لقد هجروهم ولم يكلموهم حتى في التحية الإسلامية ! !

فمن يا ترى من المسلمين اليوم يتبرأ من الذين يحادون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً؟!

أما الموقف العظيم الذي يبرز فيه ولاء المسلم لدينه وإخوانه المؤمنين، حتى وهذا المؤمن مهجور من إخوانه وأحبابه، مقاطع عنهم حتى في رد السلام. مبتلى بإغراء مادي عظيم، ومحسن له المنصب ورفعة المكان في الدنيا: فهو موقف الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه، فإنه — كما جاء في حديثه الطويل — لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته بهجره ومن معه، حتى زوجته ذهبت إلى أهلها فاجأه أمر عجيب وخطير في آن واحد.

---

(١٦٠) "أسباب النزول" للواحدي: (ص ٢٣٥)، و"تفسير القرطبي": (ج٣٠٤/١٧)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول كعب رضي الله عنه (.. فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلى كتابا من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأنها: وهذا أيضاً من البلاء فتممت بها التنور فسجرته بها "([161])

لقد صدق كعب رضي الله عنه في قوله: "وهذا أيضاً من البلاء" أجل إنه بلاء عظيم، ولقد كان ولاء كعب رضي الله عنه رغم ما هو فيه من شدة وهجر ومع دواعي الإغراء والإغواء لله ولدينه ورسوله والمؤمنين، وكان براؤه من ملك غسان واضحاً في حرقه لكتاب ذلك الملك.

فانظر إلى هذه العظمة وهذا الصدق في الولاء والحب للإسلام والمسلمين والبعد عن كل ما يصرف عن ذلك من متاع الدنيا ووجاهتها التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

قال ابن حجر وهو يشرح قصة كعب: دل صنيع هذا على قوة إيمانية ومحبته لله ولرسوله وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أمنة من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب.. ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعي إليه من الراحة والنعيم حبا في الله ورسوله كما قال صلى الله عليه وسلم "وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " ([162])

ومثال آخر: قصة الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي وموقفه مع ملك الروم، حيث أغراه حتى بمشاطرة ملكه فرفض، وهدده بالقتل والحرق فأبى أن يتنصر. كل ذلك دلالة واضحة، وبرهان صادق لعمق ذلك الولاء ورسوخ هذه العقيدة في تلك النفوس العظيمة.

---

[161] – القصة بطولها في صحيح البخاري كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك (٨/١١٣ ح ٤٤١٨) وانظر القصة أيضاً في تفسير الطبري (١١/٠) وابن كثير (٤/١٦٦-١٦٨) .

[162] – فتح الباري (٨/١٢١) والحديث سبق تخريجه ص ٤٠ وانظر تعليق ابن القيم على القصة في زاد المعاد (٣/٥٨١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولئن كان موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي – الذي تحدثنا عنه سابقاً – عظيماً في منعه أباه من دخول المدينة إلا بإذن رسول

الله صلى الله عليه وسلم: فإن موقف أبي عبيدة رضي الله عنه أعجب من ذلك وأعظم فلقد قتل أباه في معركة بدر لأنه كان كافراً محارباً لله ورسوله، ولم تكن صلة الأبوة لتمنعه دون تنفيذ الولاء والنصرة لله ورسوله ودينه والمؤمنين. والبراءة والجهاد لعدو الله الذي رضي بالبقاء في حزب الشيطان ليكون حرباً على المؤمنين.

ومثال آخر: فقد روت كتب السير أن زيد بن الدثنة ([١٦٣]) رضي الله عنه، اشتراه صفوان بن أمية – بعد يوم الرجيع – ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وخرجوا بزيد إلى التنعيم حيث اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟

قال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي فقال: أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتلوا زيداً رضي الله عنه ([١٦٤])

فانظر إلى هذا الحب وهذا التفاني وذلك الولاء، وقوة النصرة! إنه رضي الله عنه وهو في مكانه البعيد عن رسول الله –لا يرضى أن تمس رسول الله صلى الله عليه وسلم شوكة، فضلاً عن أن يصيبه أكبر من ذلك!!

هذا هو الولاء الصادق الذي بنته هذه العقيدة في النفوس فأخرجت للناس هذه النماذج العظيمة التي تقصر دون عظمتها كل عظمة أرضية.

ومثال آخر: روى الإمام أحمد وغيره أن أنس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال: غيبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين؟ لئن الله أشهدني قتالاً للمشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني

---

[١٦٣] – زيد بن الدثنة : بفتح الدال وكسر المثلثة ابن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري شهد بدراً وأحداً وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته قريش بـ التنعيم . انظر الإصابة (٥٦٥/١) .

[١٦٤] – انظر القصة في السيرة لابن هشام (١٨١/٣) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال: أنا معك، قال سعد فلم أستطع أن أصنع ما صنع، قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم فكانوا يقولون فيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى: {فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ} [([165])سورة الأحزاب: ٢٣].

إن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم كانوا شديدي الاعتزاز بدينهم فلم تخدعهم المظاهر الجوفاء، ولا القوى والاعتبارات التي تتعبد الناس في الجاهلية، وأصدق مثال على ذلك قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه حين قابل رستم، فقد كان الفرس مدججين بالسلاح وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، ووضعوا البسط والنمارق في مجلس رستم وله سرير من الذهب، فأقبل ربعي يسير على فرس له زباء ([166]) قصيرة، معه سيف غمده لفافة ثوب خلق، ورمح وجحفة ([167]) وقوس فلما انتهى إلى أدنى البسط قيل له انزل فحملها على البساط فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه ثم قالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت، فأخبروا رستم فأذن له وقال: هل هو إلا رجل واحد! فأقبل ربعي يتوكأ على رمحه وزجه نصل يقارب الخطو، ويزج النمارق والبسط، فما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً، فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، وجلس على الأرض وركز رمحه بالبسط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه! فكلمه فقال: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً، حتى نفضي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن

---

[165] – مسند أحمد (٣/٣٠١) وتفسير ابن كثير (٦/٣٩٤)

[166] – الزباء : أي طويلة الشعر كثيرته .

[167] – الجحفة : الترس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بقي. فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم. كم أحب إليكم، أيوماً أو يومين؟ قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، وأراد مقاربته ومدافعته فقال: إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أئمتنا ألا نمكن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك. وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى، قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم ([168])

ومما يوضح أيضاً صورة الولاء في نفوس أولئك الأخيار قوله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك "إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم قالوا: وهم بالمدينة؟

قالوا: " وهم بالمدينة حبسهم العذر " متفق عليه ([169])

فانظر إلى هذا الولاء والتناصر حتى ممن حبسهم العذر، لأن هذا أمر لا عذر لهم في تركه، فهم مع إخوانهم بالدعاء والمتابعة.

أما اليوم فيرى المغرورون والمبهورون والمنهزمون أن الكفار – كما قال أحدهم – خصوم شرفاء، بل يرونهم أصدقاء أوفياء.

ولكن الذي يجب على المسلمين اليوم أن يفهموه: هو أن الإقتداء بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح في كل شيء، وفي قضية الولاء والبراء من باب

أخص هو الأمر المطلوب منهم وليس عليهم بعد ذلك أن تقوم أصوات أرباب التبعية والولاء للغرب الكافر والشرق الملحد لتنادي بما قاله وردد من قبلهم أن هذا الفعل رجعية وتقهقر. بل إن عزم المسلمين المخلصين على تحقيق مقتضيات هذه العقيدة والإصرار على تحكيم

---

[168] – تاريخ الطبري (٣/٥١٩ – ٥٢٠) .

[169] – صحيح البخاري (٨/١٢٦ ح ٤٤٢٣) كتاب المغازي وصحيح مسلم (٣/١٥١٨ ح ١٩١١) كتاب الإمارة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشريعة الربانية هو سبيل النجاح وطريق الفلاح، في الدنيا والآخرة وجدير بهم أن يرتفعوا إلى المستوى المطلوب منهم {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[سورة آل عمران: ١٣٩] ([١٧٠])

ومن تلك الامثلة للحب فى الله تعالى :يقول أبو الدرداءِ– رضي الله عنه " :-ما أنصف إخواننا الأغنياء، يحبوننا في الله ويفارقوننا في الدنيا، إذا لقيته قال: أحبكَ يا أبا الدرداء، فإذا احتجت إليه في شيءٍ امتنع مني " ([١٧١])

ويقول أيوب السيختيان– يرحمه الله " :- إنَّه ليبلغني عن الرجل من أهل السنة أنَّه مات، فكأنما فقدتُ بعض أعضائي

وكان أحمد بن حنبل– رحمه الله – إمام أهل السنة، إذا نظر إلى نصراني أغمض عينيه، فقيل له في ذلك، فقال– رحمه الله " :- لا أقدرُ أن أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه " ([١٧٢])

فانظر – يا رعاك الله كيف كان تعظيم الله وتوقيره في قلب الإمام أحمد يجعله لا يطيق النظر إلى من افترى على الله وكذب عليه، وأي افتراء أعظم من مقالة النصارى أن لله ولد – تعالى –الله عن ذلك علواً كبيراً قال عمر بن الخطاب في شان النصارى: " أهينوهم ولا تظلموهم، فإنهم سبُّوا الله – تعالى –أعظم المسبة ."

وهذا بهلول بن راشد – رحمه الله - من أصحاب مالك بن أنس – رحمه الله – دفع إلى بعض أصحابه دينارين ليشتري به زيتاً، فذُكر للرجل أن عند نصراني زيتاً أعذب ما يوجد. فانطلق إليه الرجل بالدينارين وأخبر النصراني أنه يريد زيتاً عذباً لبهلول بن راشد، فقال النصراني: نتقرب إلى الله – تعالى –بخدمة بهلول كما تتقربون أنتم إلى الله بخدمته .وأعطاه بالدينارين من الزيت ما يعطى بأربعة دنانير، ثم أقبل الرجل إلى بهلول وأخبره الخبر، فقال بهلول: قضيت حاجةً فاض لي الأخرى، رُدَّ عليّ الدينارين فقال: لم؟ قال :تذّكرت قول الله – تعالى –: ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))

---

[١٧٠] – الولاء والبراء

[١٧١] – الزهد لابن المبارك (ص ٢٣٢

[١٧٢] – طبقات الحنابلة (١/١٢.

(المجادلة: من الآية٢٢ .(فخشيت أن آكل زيت النصراني فأجد له في قلبي مودة فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير ([١٧٣])

وسئل الإمام أحمد عن جار رافضي؟ فقال: " لا تسلم عليه، وإذا سلم لا يُرد عليه " ([١٧٤])

وكان ابن رجاءٍ من الحنابلة، يهجرُ من باع لرافضي كفنه، أو غسله، أو حمله ([١٧٥])

ولما كان العزُّ بن عبد السلام في دمشق، وقعَ فيها غلاءٌ فاحش، حتى صارت البساتينُ تباع بالثمن القليل، فأعطتهُ زوجته ذهباً وقالت: اشرِ لنا بستاناً نصيّف فيه، فأخذ الذهبَ وباعهُ، وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدي اشتريت لنا ؟ قال: نعم بستاناً في الجنة. إنِّي وجدتُ الناس في شدةٍ، فتصدقتُ بثمنه، فقالت المرأة: جزاك الله خيراً)([١٧٦])

دخل أبو الوليد الطرطوش– يرحمه الله - على الخليفة في مصر، فوجدَ عنده وزيراً راهباً نصرانياً، قد سلّم إليه القيادة، وكان يأخذُ برأيهِ، فقال الطرطوشي :

يا أيها الملك الذي جودهُ ... يطلبهُ القاصدُ والراغب

إنَّ الذي شرفت من أجله ... يزعمُ هذا أنَّه كاذب

فعندئذٍ اشتد غضبُ الخليفة، فأمرَ بالراهبِ فسُحبَ وضُرب، وأقبل على الشيخِ فأكرمهُ وعظَّمهُ بعد ما كان قد عزم على إيذائه .

يقول القرافي معلقاً على هذه القصة: " لما استحضر الخليفةُ تكذيب الراهبِ للرسول– صلى الله عليه وسلم – وهو سببُ شرفه، وشرفَ آبائهِ وأهل الأرض، بعثهُ ذلك عن البعدِ عن السكونِ إليه والمودة، وأبعدهُ عن منازلِ العزِّ إلى ما يليقُ به من الذلِ والصغار ([١٧٧])

صور موالاة الكفار([١٧٨])

أخي المسلم : هناك في المجتمعات الإسلامية صور عديدة من صور موالاة من أمر الله تعالى بمعادته والتبرء منه واليك بعض هذه المظاهر

---

[١٧٣] – ترتيب المدارك للقاضي عياض ج١ ص ٣٣٧

[١٧٤] – طبقات الحنابلة (١٤/٢)

[١٧٥] – طبقات الحنابلة (٥٧/٢)

[١٧٦] – طبقات الشافعية للسبكي (٢١٤

[١٧٧] – الفروق (١٦/٣)

([١٧٨]) من أحسن من كتب في ذلك الإمام/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأبناؤه، لذلك فمعظم هذه الصور منقولة من كتبه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١-الرضي بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي

مذهب من مذاهبهم الكافرة[١٧٩]

ويتضح هذا الأمر في كونه ولاء للكفار : إنه يسرهم ويسعدهم أن يروا من يوافقهم على كفرهم ويجاريهم على مذاهبهم الإلحادية.

ومن لأدهى والأمر ذلك الخبر الذي يندى له الجبين حينما يسئل أخد علماء الأزهر وهو في أمريكا هل النصارى واليهود الموجودون اليوم كفار لأن القران يكفرهم ؟

فيقول ذلك الشيخ: إن النصارى واليهود اليوم ليسوا كفار ، أما الذين ذكروا في القران فهم الذين كانوا على عهد الرسول —صلى اله عليه وسلم – ! ! !

فهذا لا يكفرهم وكفرهم أمر معلوم من الدين بالضرورة

ومن المعلوم في معتقد أهل السنة والجماعة: أن حب القلب وبغضه يجب أن يكون كاملاً. فالذي يحب الكافر لأجل كفره فهو كافر بإجماع الأمة، ولم يخالف في ذلك أحد من علماء المسلمين. يقول ابن تيمية رحمه الله:

" أما حب القلب وبغضه، وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان. وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته. ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل، ذلك أن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله، وهذا من نوع الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) [سورة القصص : ٥٠] [١٨٠].

إذن: فالمحبة والرضى أمران جازمان لا يخرجان عن كونهما كفراً إذا كانا للكفار أو إيماناً إذا كانا للمؤمنين .

٢-التولي العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم: وقد نهى الله عن ذلك فقال: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل

([١٧٩]) انظر نواقض الإسلام في "مجموعة التوحيد" : (ص ١٢٩) مطبعة الحكومة بمكّة.

([١٨٠]) "شذرات البلاتين" : (ج١/٣٥٤)، "رسالة الأمر بالمعروف" .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) [سورة آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير في تفسيرها: (من اتخذ الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء . أي قد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. (إلا أن تتقوا منهم تقاه) أي إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل) [١٨١] .

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [سورة المائدة: ٥١].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: (من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم. أي من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه) [١٨٢] . (

وقال ابن حزم: (صح أن قول الله تعالى : (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) إنما هو على ظاهره: بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) [١٨٣] .

وقال ابن تيمية: (أخبر الله في هذه الآية: أن متوليهم هو منهم وقال سبحانه: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) [سورة المائدة: ٨١].

فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. فالقرآن يصدق بعضه بعضاً) [١٨٤] .

وقال ابن القيم: (إن الله قد حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى، فهو منهم (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم. وهذا عام، خص منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه لا يُقر ولا تُقبل

([١٨١]) "تفسير الطبري" : (ج٣/٢٢٨).

([١٨٢]) المصدر السابق : (ج٦/٢٧٧) .

([١٨٣]) "المحلى": (ج١٣/٣٥) تحقيق حسن زيدان ١٣٩٢هـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر .

([١٨٤]) انظر "الإيمان" لابن تيمية: (ص١٤) طبع المكتب الإسلامي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منه الجزية. بل إما الإسلام أو السيف لأنه مرتد بالنص والإجماع، ولا يصح إلحاق من دخل في دينهم من الكفار قبل التزام الإسلام بمن دخل فيه من المسلمين؛ لأن من دان بدينهم من الكفار بعد نزول القرآن فقد انتقل من دين إلى دين خير منه –وإن كانا جميعاً باطلين–، وأما المسلم فإنه قد انتقل من دين الحق إلى الدين الباطل بعد إقراره بصحة ما كان عليه وبطلان ما انتقل إليه فلا يقر على ذلك) [١٨٥].

ويستبعد سيد قطب أن يكون بين المسلمين، من يميل إلى إتباع اليهود والنصارى في الدين. وإنما المراد ولاء التحالف والتناصر. يقول رحمه الله: (إن الولاية المنهي عنها هنا ولاية التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلق بمعنى إتباعهم في دينهم، فبعيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى إتباع اليهود والنصارى في الدين. إنما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره، فيحسبون أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله. يوضح ذلك قوله تعالى بشأن المسلمين الذين لم يهاجروا: (ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) [سورة الأنفال: ٧٢].

أي ولاية التناصر والتعاون وليس ولاية الدين. نقول هذا : لأن البعض يخلط بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبرّ بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة. ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم .

وسذاجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة: أن تظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين!! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

([١٨٥]) "أحكام أهل الذمة" لابن القيم: (ج١/٦٩،٦٧٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلندع من يغفل عن هذا ولنكن واعين للتوجيه القرآني (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية)[١٨٦]

٣-الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله كما قال تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) [سورة النساء: ٥١]

ونظير هذه الآية قوله تعالى عن بعض أهل الكتاب: (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) [سورة البقرة: ١٠١-١٠٢].فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا السحر وتركوا كتاب الله كما يفعله كثير من اليهود وبعض المنتسبين إلى الإسلام. فمن كان من هذه الأمة موالياً للكفار: من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة كإتيانه أهل الباطل وإتباعهم في شيء من فعالهم ومقالهم الباطل: كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك[١٨٧]. وإن هذه الصورة من صور الموالاة قد وقع فيها معظم المنتسبين إلى الإسلام اليوم، فالإيمان ببعض ما هم عليه أمر واقع في "العالم الإسلام" لا ينكره إلا مكابر جاهل، فها هي الببغاوات من أبناء أمتنا وممن ينطقون بألسنتنا قد آمنت بالشيوعية مذهباً تارة وبالاشتراكية تارة أخرى، وبالديمقراطية نظاماً أو العلمانية دستوراً، فأخذت هذه المبادئ الكافرة وطبقتها في بلاد المسلمين ملزمة الناس بعبادتها "في الطاعة والانقياد والتنفيذ" ونصبت العداء لكل مسلم موحد ينادي في الأمة أن تعود إلى كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وإن من الإيمان ببعض ما هم عليه: مسألة فصل الدين عن الدولة وإنه لا علاقة للإسلام بالسياسة، فهذه أيضاً فرع للقضية السابقة، لم توجد إلا في أوروبا أيام الاضطهاد الكنسي لرجال العلم. ولكن أين الإسلام دين العدل ودين السياسة ودين القوة من "هرطقة" رجال الكنيسة حتى يأتي بعض الأقزام فيستورد تلك السموم من أوروبا ليلبس الإسلام قناعاً مزيفاً

([١٨٦]) " في ظلال القرآن" : (ج٢/٩٠٩-٩١٠) بتصرف . وسيرد مزيد من التفصيل إن شاء الله عند الحديث عن زمالة الأديان! .

([١٨٧]) انظر "فتاوى ابن تيمية" : (ج٢٨/١٩٩-٢٠١) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيقول: الإسلام علاقة بين العبد وربه والسياسة لها رجالها ولها قضاياها التي لا تمت إلى الدين بصلة[١٨٨].

٤-مودتهم ومحبتهم: وقد نهى الله عنها بقوله: (لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) [سورة المجادلة: ٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أخبر الله أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادَّين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله. فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه؛ كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب) [١٨٩].

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) [سورة الممتحنة: ١].

٥-الركون إليهم: قال تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) [سورة هود: ١١٣]

قال القرطبي: الركون حقيقته: الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به [١٩٠].

وقال قتادة: معنى الآية: لا توادوهم ولا تطيعوهم. وقال ابن جريج: لا تميلوا إليهم.

وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم فإن صحبتهم كفر أو معصية. إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة كما قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه && فكل قرين بالمقارن يقتدي[١٩١]

وقال تعالى: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) [سورة الإسراء: ٧٤-٧٥].

وإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه فكيف بغيره؟[١٩٢].

---

(١٨٨) هناك كُتّاب أفاضوا الحديث في هذه القضية منهم د. محمد البهي و سيد قطب و المودودي وغيرهم. ومن أراد التفصيل الدقيق فعليه بمراجعة كتاب "العلمانية وآثارها في العالم الإسلامي" للأخ الدكتور/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

(١٨٩) " الإيمان" : (ص ١٣).

(١٩٠) "تفسير القرطبي": (ج١٠٨/٩)، وانظر "البغوي والخازن" : (ج٢٥٦/٣). أما البيت فهو لطرفة بن العبد

(١٩١) المصدر السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦-مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين: قال تعالى: (ودوا لو تدهن فيدهنون) [سورة القلم: ٩].

والمداهنة والمجاملة والمداراة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذه نتيجة طبيعية للانهزام الداخلي في نفوسهم. حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة ورمز القدوة –فأخذوا ينسلخون من تعاليم دينهم مجاملة للكفار ولئلا يصمهم أولئك الكفرة بأنهم ''متعصبون'' ! وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ يقول في مثل هؤلاء: "لتتبعنَّ سَنَن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم". قلنا : يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال : "فمن" [١٩٣].

إن المداهنة والمجاملة قد تبدأ بأمر صغير ثم تكبر وتنمو حتى تؤدي –والعياذ بالله– إلى الخروج من الملة. وهذه إحدى مزالق الشيطان فليحذر المسلم منها على نفسه، وليعلم أنه هو الأعز وهو الأقوى إذا امتثل منهج الله وتقيد بشرعه ومقتضيات عقيدته.

ومن الأمور الواضحة في تاريخ المسلمين: أن من أكبر العوامل في انتصارهم –بعد الإيمان بالله ورسوله– الاعتزاز بالإسلام. يصدّق ذلك ويؤيده قول الفاروق –رضي الله عنه– : "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله" [١٩٤].

٧-اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين: قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) [سورة آل عمران: ١١٨].

---

(١٩٢) "مجموعة التوحيد" : (ص١١٧) ط. دار الفكر.

(١٩٣) "صحيح البخاري" : (ج١٣/٣٠٠ ح٧٣٢٠) كتاب الاعتصام، و"صحيح مسلم": (ج٤/٢٠٥٤ ح٢٦٦٩). واللفظ للبخاري.

(١٩٤) أخرجه الحاكم في "المستدرك" : (ج١/٦٢) كتاب الإيمان. وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين، ويواصلون رجلاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل الله هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم[١٩٥].

وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم. وقد بيّن الله العلة في النهي عن مباطنتهم فقال: (لا يألونكم خبالاً) أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، ثم إنهم يودون ما يشق عليكم من الضر والهلاك.

والعداوة التي ظهرت منهم: شتم المسلمين والوقيعة فيهم، وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المسلمين[١٩٦]. وفي سنن أبي داود قوله صلى الله عليه وسلم "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" [١٩٧].

٨-طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به [١٩٨].

قال تعالى ناهياً عن ذلك: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) [سورة الكهف: ٢٨]. وقال: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) [سورة آل عمران: ١٤٩] وقال: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) [سورة الأنعام: ١٢١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كما قال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) [سورة التوبة: ٣١]). [١٩٩]

٩- مجالستهم، والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله: قال تعالى في النهي عن

---

(١٩٥) "أسباب النزول" للواحدي: (ص ٦٨).

(١٩٦) انظر "تفسير البغوي": (٤٠٩/١)، و"تفسير ابن كثير": (٨٩/٢).

(١٩٧) "سنن أبي داود": (ج٥/١٦٨، ح٤٨٣٣) كتاب الأدب، وفي "المسند": (ج١٦/١٧٨، ح٨٣٩٨)، طبعة شاكر، والترمذي: (ج٧/١١١، ح٢٣٧٩) في "الزهد"، وقال هذا: حديث حسن غريب.

(١٩٨) "مجموعة التوحيد": (ص ١١٧).

(١٩٩) "تفسير ابن كثير": (ج٣/٣٢٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠- مجالستهم: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله

١١- يكفربها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) [سورة النساء: ١٤٠].

قال ابن جرير: (قوله (إنكم إذاً مثلهم) أي إنكم إذاً جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فأنتم مثلهم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها.

وفي الآية دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من الكفرة والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم) [٢٠٠] .

وفي الحديث: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابكم" [٢٠١].

١٢- توليتهم أمراً من أمور المسلمين :

كالإمارة والكتابة وغيرها، والتولية شقيقة الولاية لذلك فتوليتهم نوع من توليهم. وقد حكم الله أن من تولاهم فإنه منهم. ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم. والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً.

والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً. والولاية صلة فلا تجامع معاداة الكافر أبداً. ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النصارى الكتّاب –مثلاً– ومكاتبتهم الفرنج أعداء الإسلام، وتمنيهم أن يستأصلوا الإسلام وأهله، وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان: لثناهم ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال. فهذا الملك "الصالح" كان في دولته نصراني يسمى: محاضر الدولة أبا الفضل بن دخان ولم يكن في المباشرين أمكن منه. كان قذى في عين الإسلام، وبثرة في وجه الدين. بلغ من أمره أنه وقع لرجل نصراني أسلم برده إلى دين

---

(٢٠٠) "تفسير الطبري" : (ج٥/٣٣٠).

(٢٠١) رواه أحمد في "المسند" (ج٨/٨٠، ح٥٧٠٥) بتحقيق أحمد شاكر، و"صحيح البخاري": (ج٨/١٢٥، ح٤٤١٩) كتاب المغازي، و"صحيح مسلم": (ج٤/٢١٨٥، ح٢٩٨٠) كتاب الزهد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النصرانية وخروجه من الملة الإسلامية، ولم يزل يكاتب الفرنج بأخبار المسلمين، وأعمالهم، وأمر الدولة وتفاصيل أحوالها.

وكان مجلسه معموراً برسل الفرنج والنصارى وهم مكرمون لديه، وحوائجهم مقضية عنده، ويحمل لهم الإدرار والضيافات، وأكابر المسلمين محجوبون عن الباب لا يؤذن لهم، وإذا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام. وحدث أن اجتمع في مجلس ''الصالح'' أكابر الناس من الكتّاب والقضاة والعلماء فسأل السلطان بعض الجماعة عن أمر أفضى به إلى ذكر مخازي النصارى فبسط لسانه في ذلك وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والأخلاق. وقال من جملة كلامه: إن النصارى لا يعرفون الحساب، ولا يدرونه على الحقيقة لأنهم يجعلون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً. والله تعالى يقول: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) [سورة المائدة: ٧٣].

وأول أمانتهم وعقد دينهم: ''بسم الأب والابن وروح القدس إله واحد'' فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال في قصيدة له:

كيف يدري الحساب من جعل الو ... حد رب الورى تعالى ثلاثة

ثم قال: كيف تأمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده، ويكون مع هذا أكثر النصارى أمانة؟ وكلما استخرج ثلاثة دنانير دفع إلى السلطان ديناراً وأخذ لنفسه اثنين ولا سيما وهو يعتقد ذلك قربة وديانة؟ .

وانصرف القوم واتفق أن كبت النصراني بطنته، وظهرت خيانته فأريق دمه وسلط على وجوده عدمه [٢٠٢].

١٣-استئمانهم وقد خونهم الله: قال تعالى: (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) [سورة آل عمران: ٧٥].

١٤-الرضى بأعمالهم والتشبه بهم، والتزيي بزيهم[٢٠٣].

---

(٢٠٢) "أحكام أهل الذمة" لابن القيم: (ج١/٢٤٢-٢٤٤) بتصرف يسير .

(٢٠٣) "مجموعة التوحيد" : (١١٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٥-البشاشة لهم والطلاقة وانشراح الصدر لهم وإكرامهم وتقريبهم[٢٠٤].

١٦-معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم:

ويضرب القرآن لذلك مثالين هما : امرأة لوط التي كانت ردءً لقومها، حيث كانت على طريقتهم، راضية بأفعالهم القبيحة، تدل قومها على ضيوف لوط. وكذلك فعل امرأة نوح[٢٠٥].

١٧-مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم[٢٠٦].

وهذه الصورة ظهرت واضحة في العصور الأخيرة فقد رأينا ''أفراخ المستشرقين'' -مثلاً- ينشرون فضائلهم وأنهم أصحاب المنهج العلمي السديد و..و.. إلخ كذلك جاء من ينشر ''فضائل'' الغرب أو الشرق مضفياً عليها ألقاب التقدم والحضارة والرقي، وواصماً الإسلام والمنتسبين إليه بالرجعية والجمود والتأخر عن مسايرة الركب الحضاري والأمم المتقدمة.

١٨-تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم:

مثل: السادة والحكماء ومبادأتهم بالسلام (ومما يجب النهي عنه ما يفعله كثير من الجهال في زماننا إذا لقي أحدهم عدوَّ الله سلم عليه ووضع يده على صدره إشارة إلى أنه يحبه محبة ثابتة في قلبه. أو يشير بيده إلى رأسه إشارة إلى أن منزلته عنده على الرأس، وهذا الفعل المحرم يُخْشى على فاعله أن يكون مرتداً عن الإسلام؛ لأن هذا من أبلغ الموالاة والموادة والتعظيم لأعداء الله) [٢٠٧].

والتعظيم واللقب الرفيع رمز للعزة والتقدير وهما مقصورتان على المؤمن. أما الكافر فله الإهانة والذلة. وقد ورد في الحديث الصحيح النهي عن مبادأتهم بالسلام فقال صلى الله عليه وسلم : "لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"[٢٠٨]

---

(٢٠٤) "مجموعة التوحيد" (ص١١٧)

(٢٠٥) "تفسير ابن كثير": (ج٦/٢١٠).

(٢٠٦) "مجموعة التوحيد" (ص١١٧) ، ورسائل سعد بن عتيق: (ص١٠١).

(٢٠٧) "تحفة الإخوان" للشيخ حمود التويجري: (١٩)، الطبعة الأولى، مؤسسة النور بالرياض.

(٢٠٨) "صحيح مسلم" : (ج٤/١٧٠٧، ح٢١٦٧) كتاب السلام، وأبو داود: (ج٥/٣٨٤، ح٥٢٠٥) في الأدب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٩- السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم[٢٠٩].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله"[٢١٠]. وقال : : "لاتساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا"[٢١١].

٢٠-التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، والقتال في صفهم[٢١٢]:

٢١-وهذه الصورة من أخطر ما ابتُليت به أُمَّتُنا في هذا العصر. ذلك أن وجود ما يسمى في المصطلح الحديث''الطابور الخامس'' قد أفسد أجيال الأمة في كل مجال سواء في التربية والتعليم أم في السياسة وشؤون الحكم أم في الأدب والأخلاق أم في الدين والدنيا معاً. وصدق الشاعر محمود أبو الوفا فيما نقله عنه الشيخ محمد قطب أنه قال حين خرج الاستعمار الإنجليزي من مصر: (خرج الإنجليز الحمر وبقي الإنجليز السمر! !) — نعم إن داءنا هم الإنجليز السمر.

ترى من هو الساهر على تنفيذ خطة "دنلوب" في التربية والتعليم؟ ومن هو القائم بتنفيذ مخططات اليهود الثلاثة: فرويد وماركس ودور كايم في أفكارهم الخبيثة؟ [٢١٣]. إنهم المستغربون من أبناء هذه الأمة الذين حققوا لأعداء الله مالا يحلمون به. ولكن هيهات لهم فإن الله يقول: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون)[سورة الصافات: ١٧١-١٧٣].

٢٢- من هرب من دار الإسلام إلى دار الحرب بغضاً للمسلمين وحباً للكافرين[٢١٤].

---

(٢٠٩) "الرسائل المفيدة" للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ : (ص٦٤).

(٢١٠) أبو داود: (ج٣/٢٢٤، ح٢٧٨٧)) كتاب الجهاد، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن، انظر "صحيح الجامع الصغير": (ج٦/٢٧٩، ح٦٠٦٢).

(٢١١) الحاكم في "المستدرك": (ج٢/١٤١)، وقال صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٢١٢) "الإيمان. حقيقته. أركانه. نواقضه" للدكتور محمد نعيم ياسين: (ص١٤٧).

(٢١٣) يراجع كتاب "التطور والثبات في حياة البشرية" للأستاذ محمد قطب: (ص٣٥) فصل: اليهود الثلاثة، وكتاب "هل نحن مسلمون؟": (ص١٣٣)، وكتاب "مذاهب فكرية معاصرة".

(٢١٤) "الردة بين الأمس واليوم" : (ص٣٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٣ – من انخرط في الأحزاب العلمانية أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية والماسونية وبذل لها الولاء والحب والنصرة[٢١٥].

الفصل الثامن

هزت غزة إعداد وعدة

واعلم أخي علمني الله وإياك: أن من الأمور التي يجب على الأمة الأخذ بها فهي فرض تأثم الأمة أن لم تأخذ به ألا وهو إعداد العد ة للعدو المتربص بالأمة الدوائر { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ

(٢١٥) المصدر السابق: (ص٤٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا تُظْلَمُونَ)أي { وَأَعِدُّوا } لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. { مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة [ص ٣٢٥] ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأْي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: { ألا إن القوة الرَّمْيُ } ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال،ولهذا قال تعالى: { وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها،حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به،فهو واجب {وقوله: } تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ { ممن تعلمون أنهم أعداؤكم. } وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ { ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به } اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ { فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم،ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية في جهاد الكفار. ولهذا قال تعالى مرغبا في ذلك: وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قليلا كان أو كثيرا(يُوَفَّ إِلَيْكُمْ){ أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.} وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا [٢١٦]

يقول الشيخ /احمد بن حمدان الشهري: واعلم أن إعداد العدة يشتمل على جوانب كثيرة و كلها مرتبط بعض ببعض:

المطلب الأول: تعبئة الجيش وتجنيد الجند ودور ذلك في التمكين

[٢١٦] – تفسير السعدي – (ج ١ / ص ٣٢٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الأمور التي وردت في القرآن الكريم فيما يتعلق بالجهاد تعبئة الجيش وتجنيد الجند، ولقد ذُكرت في القرآن ذكراً ظاهراً وربط الله _سبحانه_ و_تعالى_ بها النصر والغلبة، ووصف بها _سبحانه_ الدولة المسلمة وجعلها من أبرز مزاياها وامتنَّ _سبحانه وتعالى_ بذلك وجعله من نعمائه، يبرز ذلك جلياً في تلك الدولة المسلمة، المملكة العزيزة دولة نبي الله سليمان _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_ الذي دعا ربه أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فحققه الله: ﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾[٢١٦] ص: ٣٥.

ويذكر الله _سبحانه وتعالى_ في كتابه العزيز عن تلك الدولة التي مكن لها والتي كانت تتبنى الدعوة إلى الله وتجاهد من أجلها؛ يذكر أول مزية لها ويبرزها _سبحانه وتعالى_ وهي تعبئة الجيش القوي عندها، وتجنيد الجند وترتيبهم وتفقدهم من الملك تفقداً جاداً حازماً. قال _تعالى_: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ (النمل)وفي هذه الآية نرى كيف بلغ الاعتناء بالتجنيد والجيش لتلك الدولة ذات الملك العظيم وحمل دعوة الحق وتبليغها ذلك المبلغ العظيم، ونلمح ذلك الاعتناء من لفتات في الآية تبرز عند تأملها.

وإليك هذه اللفتات مجملة في النقاط التالية: –

(١) اللفتة الأولى:–

كـثرة الجند وبلوغه من الكثرة عدداً هائلاً وذلك نلمحه في كلمة ﴿حشر﴾

وكلمة ﴿جنوده﴾ في قوله _تعالى_: ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾.قال الراغب عند مادة "حشر": "الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم.. ولا يقال الحشر إلا في الجماعة. قال _تعالى_: ﴿وابعث في المدائن حاشرين﴾ وقال _تعالى_: ﴿والطيرة محشورة﴾ وقال: ﴿لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا..﴾ وقال: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾" [٢١٧].

([٢١٧]) المفردات: ١١٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما كلمة ﴿ جنوده ﴾ في الآية فالجنود جمع الجمع، فهي جمع الجند؛ فإنه يقال ـ في الأصل ـ لكل مجتمع جند، وجمع الجند جنود وأجناد[٢١٨].

ومن خلال تلك اللفتة التي تشخصها ألفاظ الآية وكلماتها نرى الاعتناء بكثرة الجند الكثرة الهائلة في تلك الدولة العظيمة، ونلمس درساً يؤخذ لكل دولة تتبنى دعوة الحق وتجاهد لها أن تعتني بالتجنيد وكثرة الجيش، ونأخذ في الاعتبار كذلك أن هذا لا يعارض ما ورد في قوله _تعالى_: ﴿ ...ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ (التوبة ٢٥)

ففي هذه الآية ذم الله _سبحانه وتعالى_ الالتفات بالقلب إلى الكثرة والاتكال إلى العدد والأسباب وجعلها هي عامل النصر الأساس، وإنما المتوجب على المؤمنين إعداد الأسباب وإتقانها ثم صرف القلوب إلى واهب النصر وحده دون الالتفات بها إلى السبب، وجمع القلوب بكليتها إليه واعتمادها في نيل النصر عليه[٢١٩].

وهذا التجنيد كان حال أمة الإسلام في عصرها الأول، فلقد كان المسلمون كلهم جنوداً في أهبة الاستنفار وبعث المدد أو إعداد الجيش؛ كلهم عن بكرة أبيهم لا يعذر منهم إلا أصحاب الأعذار، فما لواحد منهم بد إذا سمع صوت النفير إلى الجهاد في سبيل الله، قال _تعالى_: ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيرهم ولا تضروه شيئا، والله على كل شيء قدير﴾.(التوبة ٣٨-٣٩)

(٢) اللفتة الثانية في الآية:-

هي وضع كل الطاقات الممكنة في الجيش وتوجيه كل القوى في إعداده وإكماله، وهذا واضح في قوله _تعالى_: ﴿...من الجن والإنس والطير...﴾ فلقد كان يكفي الجن عن الإنس في إعداد جيش عظيم، أو لعله قد كان يكفي الإنس والجن في الجيش فما لازم الطير أن يكونوا في الجند، وتجرى عليهم أنظمة الجيش الحازمة الصارمة عند التخلف عن الحضور في

---

(٢١٨) انظر المفردات كذلك: ١٠٠

(٢١٩) راجع كتاب (الدعوة والدعاة بين تحقيق التوكل واستعجال النتائج) ص٦٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صفوف الجند دون عذر مقنع، إن الطير يعرف موضعها عند ملوك الزمان في الغالب فهم يضعونها في القصور والغابات والصروح العظام للزينة، أما كون نبي الله سليمان وضعها ضمن جنده وفي جيشه مع الجن والإنس؛ فيدل ذلك على شدة الاعتناء بجيش الدولة وتعبئته بكافة الإمكانات المستطاعة، وذلك هو شأن الدولة القوية المؤمنة التي تسعى لإقامة دين الله وجهاد أعدائه ودوامها على ذلك.

(٣) اللفتة الثالثة:- ﴿ فهم يوزعون ﴾ أي الجند من الجن والإنس والطير ومعنى ﴿ يوزعون ﴾ أي يكفون أي يسيرون بانتظام في حشرهم إليه، ويوجد على كل صنف من يزعه أي يكفه ويرده على نظام الجميع في التحرك والسير. قال ابن عباس ﷺ :- "جعل على كل صنف من يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا في المسير.." [٢٢٠].

ومن هذا نستفيد أن تلك الكثرة المختلفة الأصناف في ذلك الجيش على نظام فائق منضبط عند الاجتماع وعند السير والتنقلات، وهذه ميزة ضرورية لجند الدولة المجاهدة، فالكثرة دون تنظيم، ودون من يقوم على تنظيمها كثرة همجية غوغائية، وهي السبب المباشر في هزيمة الجيش عند المواجهة أو إنهاكه وضياعه عند التنقل والتحرك.

تلكم هي أهم خصال جيش الدولة المجاهدة التي مكن الله لها في الأرض والتي تسعى لنشر دعوة الحق وتمكينها فيمن حولها؛ فكثرة المجندين للجهاد سواءً في السلم أو الحرب مطلب ضروري والكثرة يُسعى إليها ولا يُتكل عليها، ولقد استعاذ نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ من القلة وقرنها في دعاءه بالذلة، فقال _عليه الصلاة والسلام_: (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة...) [٢٢١].

وبناءً على هذا فينبغي الإكثار من الجند والتجنيد عند الاقتدار، سواءً كان ذلك التجنيد في السلم أو لمواجهة الحرب وإنشاء الجهاد والفتوح كما قال نبي الله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام:- ﴿ارجع إليهم فلنأتينَهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنَهم منها أذلة وهم صاغرون(النمل ٩٣)﴾. أما تعبئة الجيش بما أمكن من طاقات وقدرات وتقويته، فهو

---

(٢٢٠) تفسير الطبري (١٤١/١٩).

(٢٢١) تمام الحديث في سنن النسائي . الاستعاذة (٢٦١/٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مطلب لقوة الجيش وتمكينه من النصر، وسبب له أمر الله _سبحانه_ و_تعالى_ هذه الأمة باعتماده وصرف القوى إليه.

قال _تعالى_: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (الأنفال \٦٠)﴾

فالله _سبحانه وتعالى_ أمر في هذه الآية بإعداد كل ما في الوسع والاستطاعة من قوة لمواجهة الأعداء، والقوة كل ما يتقوى به في الحرب[٢٢٢]، ومن ذلك السلاح والقسي والحصون وآلات الحرب، ولقد ثبت عنه _صلى الله عليه وسلم_ من حديث عقبة بن عامر، قال: "سمعت رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ..) قالها ثلاث مرات [٢٢٣]. فتقوية الجيش مطلوبة بكل ما أمكن من عدة الحروب وعتادها وآلاتها، والرمي هو أقوى تلك القوى وأولاها بالاعتناء.

أما التعبئة العددية، واعتبار الأعداد، فهو أمر اعتبره القرآن ورتب عليه غلبة أهل الإيمان في حالة معينة، وعذرهم حين يقل العدد في حالة أخرى، وأوجب عليهم المواجهة ووعدهم النصر حين يبلغ العدد حالة ثالثة ويتحلى أهل الإيمان بالصبر قال _تعالى_: ﴿ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون. الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين(الأنفال ٦٥-٦٦)﴾

جاء عن ابن عباس _رضي الله عنه_ في تفسير هذه الآية من طرق عدة قوله _رضي الله عنه_:- "لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ومئة ألفاً فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم

([٢٢٢]) راجع "فتح القدير" للشوكاني (٢/٣٢٠).

([٢٢٣]) سنن أبي داود. الجهاد (٣/١٣) ومسلم في الإمارة في فضل الرمي (٥/٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ضعفاً..﴾ الآية، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم"[٢٢٤].

وهنا نرى كيف أن الله _سبحانه وتعالى_ اعتبر الكمية العددية في لقاء المؤمنين لأعدائهم، وحدد لها حالات وأرقاماً تجاه أرقام كذلك من أعدائهم الكافرين وعليه يتعين لجند الإيمان وجيش الدعوة اعتبار العدد منهم تجاه العدد من أعدائهم، وبناء تقديراتهم في مواجهة الأعداء بما ورد في الآيات المذكورة آنفاً. وتعبئة جيوشهم وإرسال كتائب مقاومة الأعداء بناءً على القيمة العددية التي اعتبرت في الآيات، حتى لا يُؤتوا عن قلة، وما ورد في قوله _تعالى_: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.(البقرة ٢٤٩).﴾ ، إنما هو في حالة قلة أهل الإيمان وانعدام المدد، أما في حالة توافر أهل الإيمان وكثرتهم فينبغي لهم اعتبار العدد الذي عدَه الله _سبحانه_ في كتابه وضمن لهم الغلبة إذا توفر مع الصبر.

ولقد أرشد النبي ﷺ إلى أفضل ما تكون عليه التعبئة العددية للجيوش وفصائلها من سرايا وكتائب؛ كل حسب ما يلائم دوره في الجيش ومهامه بحيث يتناسب العدد مع أداء المهام، فلا يثقل فتتعثر المهمة لكثرته ولا يقل فتكون الغلبة أو الانسحاب لقلته، فعن ابن عباس _رضي الله عنه_ قال: "قال رسول الله ﷺ (خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة) [٢٢٥]. رواه أبو داود وغيره.

المطلب الثاني: الصناعة ودورها في النصر والتمكين

لقد ذكر الله _سبحانه وتعالى_ في كتابه الكريم مصنوعات عدة ومتنوعة، إلا أنه _سبحانه وتعالى_ لم يذكر مصنوعاً من تلك المصنوعات إلا في معرض تمكينه لدعوة الحق، وجعله مظهراً من مظاهر تمكينها، أو عاملاً أساسياً في تحققه لها عن طريق ذلك المصنوع أو يذكره _سبحانه وتعالى_ في معرض امتنانه _سبحانه وتعالى_ على أهل الإيمان وبني الإنسان،

---

(٢٢٤) تفسير ابن كثير (٣٣٧/٢).

(٢٢٥) سنن أبي داود. الجهاد (٣٦/٣). وهو عند أحمد والترمذي والحكم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويعد _سبحانه_ تلك الصنعة أو ذلك المصنوع من نعمائه عليهم وتعليمه لهم، قال _تعالى_ مبينا كيف أنجى نبيه نوحاً _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_ بوسيلة صناعية علمه صناعتها وهي السفينة: ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون(هود ٣٧) ﴾ ومعنى بوحينا أي: "بما أوحينا إليك من كيفية صنعها"[٢٢٦] وقال ابن كثير: "أي تعليمنا لك ما تصنعه"[٢٢٧] أما في معرض امتنانه _سبحانه وتعالى_ بنتاج الصناعة فلقد قال _سبحانه وتعالى_: ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون(الأنبياء ٨٠)﴾ فامتن _سبحانه_ بما علمه لنبيه داود من صناعة الدروع الواقية في الحروب من الطعن والضرب والرمي وعد ذلك من نعمائه على الخلق وقال _تعالى_ في سورة النحل: ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون(النحل ٨١)﴾ فعد _سبحانه وتعالى_ استخدام ما أنتجته الصناعة من نعمائه وجوده راجعاً إلى تعليم منه واستخدام البشرية له في شؤون حياتها من تمام نعمته عليهم التي ينبغي لهم إذا ذكروها وتلبسوا بها أن يزدادوا انقياداً للخالق المنعم الذي ألهمهم إياها ويسلموا له، ولقد بين الله _سبحانه وتعالى_ في موضع آخر من كتابه أنه هو الذي علم داود تلك الصناعة حتى في دقائق من إحكامها وإتقانها قال _تعالى_: ﴿ أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير(١١)﴾ قال قتادة: "وهو أول من عملها ـ أي الدروع ـ من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح"[٢٢٨] أما السرد، فقال ابن عباس _رضي الله عنه_ : "هو حلق الحديد"[٢٢٩] قال سيبويه: [معنى سرد الدروع إحكامها وأن يكون نظام حلقها ولاء غير مختلف..] [٢٣٠]، قال ابن كثير _رحمه الله_: "هذا إرشاد من الله _تعالى_ لنبيه داود _عليه السلام_ في تعليمه صنعة الدروع"[٢٣١].

([٢٢٦]) فتح القدير للشوكاني ٤٩٧/٢.

([٢٢٧]) تفسير ابن كثير ٤٦٠/٢.

([٢٢٨]) راجع تفسير ابن كثير ٥٣٥/٣.

([٢٢٩]) المرجع السابق.

([٢٣٠]) فتح القدير للشوكاني ٣١٦/٤.

([٢٣١]) تفسير ابن كثير ٥٣٥/٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولنا في هذا البحث أن نستعرض منتجات الصناعة في القرآن التي اقترنت بتمكين دعوة الحق اقترانا ظاهراً، وهذا بيانها:-

(١) سفينة نوح _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_

وهي أول اختراع من نوعه، والسفن إنما جاءت بعدها وبالاستفادة من طريقة صنعها التي أوحى الله بها إلى نبيه قال _تعالى_: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون(يس ٤١)﴾ فالآية هنا تدل على أن سفينة نوح هي الأولى ولم يكن قبلها سفن وذلك لقوله _تعالى_: ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ أي مثل سفينة نوح، فجعلها الأولى وجعل ما بعدها أقل منها لقوله: ﴿من مثله﴾ ويكفي دليلاً على متانة صناعتها أنها بوحي من الله وأنها وسعت من كل نوع من المخلوقات زوجين اثنين مما يدل على عظم حجمها ومتانة صنعها كما قال الله _تعالى_: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر(نوح ٣)﴾ وقال _تعالى_: ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال(هود ٤٢)﴾ وهذه الآية تدل على براعة تصميمها، وشاهدنا في هذا أن الله _سبحانه وتعالى_ بقدرته على كل شيء كان قادراً على أن ينجي نوحاً ومن معه وما يريد أن يستبقيه من مخلوقات الأرض من غير السفينة ودون الحاجة إلى صناعتها فهو قادر أن يحييهم بعد موتهم أو يبلغهم موضعاً من الأرض لا يغرقون فيه وحدهم دون غيرهم من المغرقين، أو غير ذلك من قدرته _سبحانه_ التي لا تحد، ولكنه أمر نوحاً بصنع السفينة ليُلهم خلقه تلك الصناعة، ويعلمهم كيف يستطيعون أن ينجوا من كوارث الأرض ويتوقوا منها عن طريق إعمال العقول واختراع الوسائل من صناعة وغيرها، ثم منَّ الله _سبحانه_ و_تعالى_ على خلقه فأبقى لهم من مثل تلك السفينة ما يركبون عليه ويمخرون البحار به، ولعل هنا بالذات لفتة إلى أهل الحق كيف أن لهم في وسائل الصناعة طريقاً للنجاة والخلوص بأنفسهم وبالتالي تمكينهم في الأرض.

(٢) سد ذي القرنين

من وسائل الصناعة التي ذكرها القرآن الكريم في معرض التمكين والنجاة والامتناع من عبث المفسدين، قال _تعالى_ عن ذي القرنين: ﴿ثم اتبع سببا . حتى إذا بلغ بين السدين وجد

من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً . قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكني فيه ربي خيرٌ فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا﴾الكهف ٩٢-٩٨﴾وهنا نرى كيف أن ذا القرنين حال بين المفسدين العابثين وبين الأقوام التي كانت دون السدين "وهي سلسلة الجبال" ببناء ذلك الردم العظيم، وهو سد بناه ذو القرنين لم يكن كغيره من سدود بني الإنسان التي تبنى باللبن والحجارة ونحوه، وإنما كان سداً مبنياً بأرقى طرائق البناء وأقوى معادن الصناعة وأتقن وسائل التصميم، وإليك بيان هذا مجملاً فلقد أتى ذو القرنين على أولئك الأقوام المتخلفين الذين لا يكادون يفقهون قولاً، ولا يعلمون شيئاً من أحوال التحضر، فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج وطلبوا منه إقامة سد ويعطونه أجراً على ذلك، وطلبهم لإقامة سد كان وجيهاً، لأنه كان بينهم وبين يأجوج ومأجوج حواجز من شواهق الجبال الصم؛ تمتد بينهما على شكل سلسلتين من الجبال، بينهما فجوة هي منفذ يأجوج ومأجوج في هجماتهم على القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً وعند ذلك استعد ذو القرنين ببناء السد وسماه ردماً أي أعظم مما طلبوه، وعمد إلى تلك الفجوة التي بين الصدفين ـ وهما الجبلان العظيمان المتقابلان ـ فملأ الفجوة بزبر الحديد أي قطَعهُ المقدرة مثل اللَّبن حتى ساوى بين رؤوس الجبلين وبين ما في الفجوة من الحديد فجعلهم سواء، ثم أمر بالمياكير فنفخت الحديد بالنار حتى جعلت من قِطَع الحديد ناراً فأصبحت حمراء متوهجة فصب عليها وهي في تلك الحال النحاس المذاب وهو القِطْر، فاستحكم البناء أيما استحكام وقوي كل قوة وأصبح غاية في الصلابة والملاسة قال _تعالى_: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً﴾[٢٣٢].

([٢٣٢]) راجع تفسير ابن كثير ١١٠/٣ و"مباحث في التفسير الموضوعي" ٣٠٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكي نعلم مدى ما وصل إليه ذو القرنين من العلم بطرائق الصناعة وخصائص المعادن، والاستفادة من ذلك، نرى العلم قد توصل في عصرنا الحاضر إلى أن خير طريقة لتقوية الحديد هي إضافة نسبة من النحاس إليه وأن ذلك يزيد من مقاومة الحديد وصلابته.

ولا أدل على قوة صناعية سد ذي القرنين وعلى ارتقاء علم الصناعة والعمران لديه من بقاء ذلك السد وعدم تغيره رغم تعاقب العصور والدهور حتى جاء رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ والسد لا زال قائماً وحتى يومنا هذا وحتى يأذن الله بقرب يوم القيامة وخروج يأجوج ومأجوج ﴿قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا(الكهف٩٨)﴾. وهنا نرى كيف كان "السد" الذي هو من منتجات الصناعة الفائقة رحمة من رحمات الله _سبحانه_ للناس ليتمكنوا من العيش آمنين، في عزلة من عبث المفسدين من يأجوج ومأجوج.

(٣) الثورة الصناعية في مملكة سليمان: _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_.

دولة نبي الله سليمان دولة ذات تمكين عظيم، بل لعلها أعظم دولة وجدت على ظهر الأرض من حيث ما مكن الله لها ولملكها النبي الصالح الشاكر _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_، ورغم كل ذلك ورغم تسخير الجن والطير لم تكن في غنىً عن منتجات الصناعة ومزاولتها، بل إن نصوص القرآن لتصور لنا ثورة صناعية دائبة مستمرة حية في تلك الدولة، حتى مات ملكها وهو واقف يشرف على تلك الأعمال الدائبة[٢٣٣] قال _تعالى_: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور . فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين(سبأ ١٣-١٤)﴾

ومما يوضح ويصور تلك الثورة الصناعية في مملكة سليمان ـ خلاف واقعة موته ـ مجيء التعبير عن عمل الجن في منتجات الصناعة بالفعل المضارع ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل..﴾ الآية فالتعبير بالمضارعة في "يعملون" يفيد الدوام والاستمرار والتجدد.

([٢٣٣]) راجع تفسير ابن سعدي "تيسير الكريم الرحمن" ٢٦٨/٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك مما يفيد ذلك قوله _تعالى_ في الآية قبل آية ذكر أعمال الجن: ﴿وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه.(سبأ١٢).﴾ الآية. قال الواحدي في تفسير الآية :(قال المفسرون: أجريت له عين الصفر ـ أي النحاس ـ ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وإنما يعمل الناس اليوم بما أُعطي سليمان)[٢٣٤].

فإعطاء الله لنبيه سليمان _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_ النحاس بهذه الكمية والكيفية يدل على أن هناك استعمالات كثيرة له وهو المعدن العريق في منتجات الصناعة ومن أهم معادنها الذي تقوم عليه، ولذلك جاء التعبير بعمل الجن في صنائع الصناعة لسليمان عقيب ذكره _تعالى_ لإسالة عين النحاس لسليمان، ولو لم يكن هناك إعمال لهذا المعدن في استخدام وصناعات لما كان هناك فائدة وطائل من إعطاء سليمان كل هذه الكمية منه، وبيانه _سبحانه_ أنها من نعمائه وعطاياه التي أعطى سليمان وامتن بها عليه.

كل هذا يشهد بأن الاهتمام بالصناعة هو شأن الدولة المُمَكَّن لها المؤمنة المجاهدة لإعلاء كلمة الله، وأن ذلك مظهر من مظاهر تمكينها ومن نعم الله التي يتوجب شكرها وردها إليه _سبحانه_.

وبعد هذا الاستعراض لمنتجات الصناعة في القرآن الكريم ودورها في تمكين الله بها لدعوة الحق وجعلها من مظاهرها حال تمكينها نخلص إلى أن أوائل المخترعات من السفينة والدروع كانت على يد أنبياء بتعليم من الله حتى في دقائق صنعها وكيفيات تصميمها وللمتأمل في كتاب الله أن يذهب به العجب كل مذهب وهو يرى حال المسلمين في الصناعة اليوم، ويرى كتاب الله المنزل عليهم ولهم قد ذكرت فيه منتجات صناعية في أكثر من عشرة مواضع وفي كل موضع من تلك المواضع يمتن _سبحانه وتعالى_ عليهم ويستحثهم للشكر عليها أو يبين لهم أن تلك الصنائع كانت وسائل نجاة لأمم وامتناع لآخرين من أعدائهم ووقاية من بأسهم، ويكفي للعلم بمدى حض القرآن على الصناعة وتشجيعه عليها أن سورة كاملة فيه جاءت باسم المعدن الأساسي للصناعة وهو الحديد وبين الله _سبحانه وتعالى_

---

(٢٣٤) فتح القدير ٣١٦/٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيها أنه لم ينزله _سبحانه_ إلا لشيء واحد وهو ليعلم من ينصر به دينه ويوظفه في صناعات ينصر بها الحق ويجاهد بها الكفر.

وعند التأمل في القرآن الكريم والاهتمام بالصناعة فيه لتمكين دعوة الحق، نجد أن نتاج الصناعة في القرآن على قسمين ونجد القرآن قد عرض كل قسم من ذلك النتاج عرضاً خاصاً:-

القسم الأول:- كل ما تنتجه الصناعة من عتاد وآلات الحرب من سلاح أمثال السيوف والحراب والسنان والنصال والدروع وغير ذلك وقد جاء القرآن الكريم بذكر تلك المنتجات في كلمات تدل عليها من "قوة" أو "بأس شديد" ولم تذكر بأسمائها تفصيلاً، ولكن القرآن أوردها في سياق تلك الكلمات ذات الدلالة الواضحة عليها وعرضها آمراً بها موجباً على المسلمين إعدادها بكل ما أمكن قال _تعالى_: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..(الانفال ٦٠)﴾ الآية، ولقد ثبت ـ كما سبق ذكره ـ عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ انه فسر القوة بالرمي، وإعداد الرمي إنما يكون قبل ذلك بإعداد آلته من السهم والقسي ولهذا جاء في السنة عظم ثواب صناعة السهم والإمداد به فضلاً عن رمايته، بل أن صانعه لا يقل أجراً عن الرامي به في سبيل الله إذا احتسب نيته، بل إن صناعة سهم واحد ـ إذا احتسب النية ـ كفيلة بأن تكون سبباً مباشراً في دخول الجنة، فعن عقبة بن عامر _رضي الله عنه_ قال: سمعت رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يقول: (إن الله _عز وجل_ ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب في عمله الخير، والرامي به، والممد به..) [٢٣٥] الحديث. رواه أبو داود والنسائي والترمذي، وفي هذا الحديث نرى عظمة الصناعة الحربية في الإسلام وكيف أن سهماً واحداً أدخل ثلاثة الجنة، مما يدفع بالمسلمين لو عقلوا هذا الحديث أن يحترفوا صناعات الحرب ويجعلوها مهن الحياة وخير حرفة لكسب العيش، ونيل الدرجات في الجنة، الأمر الذي لا يكادون يجدونه في حرفة أخرى البتة، وما ورد هنا في شأن الرمي ينسحب كذلك على سائر آلات

([٢٣٥]) سنن أبي داود ، في الجهاد باب في الرمي ١٣/٣.

الحرب مما يتقوى به فيها للجهاد في سبيل الله، مثل السيف والرمح وغيره من وسائل وصناعات الحرب الحديثة كذلك وتقنية التسلح في هذا العصر الحاضر.

وفي هذا القسم قال _تعالى_: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله لقوي عزيز(الحديد٢٥)﴾ وهنا يبين _سبحانه وتعالى_ أن "الحديد" معدن الصناعة الأول أنزله _سبحانه وتعالى_ وعطف بإنزاله _سبحانه_ على إنزال الكتاب والميزان على الرسل، ويبين _سبحانه_ أنه إنما أنزله ليعلم من ينصره به ويوظف ما يصنع منه في نصرة دينه والجهاد في سبيله. قال ابن كثير رحمه الله: "فيه بأس شديد: يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها"[٢٣٦].

ومن هنا نصل إلى أن القرآن الكريم ذكر في آياته التقوي للحرب وللجهاد في سبيل الله، ورتب على الحديد نصرة ينصره بها أهل الإيمان به والجهاد في سبيله، وأن القرآن عنى بذلك منتجات الصناعة كالسلاح ونحوه فإن الحديد لا يمكن أن ينصر به أحدٌ أحداً وهو خام، وأن الله _سبحانه وتعالى_ أمر بالإعداد وأمر كذلك بنصرته في موضع آخر فقال _تعالى_: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله.(الصف ١٤).﴾ الآية، وفي آية الحديد ربط إنزال الحديد بنصرته فتوجب بذلك نصرته _سبحانه وتعالى_ بالاهتمام بصناعة آلات الحرب وإعدادها والإمداد بها، فهي واجبة على المسلمين متى تركوها أثموا جميعاً[٢٣٧]، ودلالة نصوص القرآن ظاهرة واضحة في الأمر بها من ذلك قوله _تعالى_: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل..﴾ الآية، ومن ذلك ما سبق إيضاحه بشأن نصرته _سبحانه_ بالاهتمام بصناعات الحرب وتوجب ذلك.

القسم الثاني: ما ذكره _سبحانه وتعالى_ في كتابه من منتجات الصناعة مثل سفينة نوح والدروع ـ السابغات ـ وسد ذي القرنين وما ذكره _سبحانه وتعالى_ لسليمان _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_ من ذلك، ولقد عرض القرآن هذا القسم عرضاً يختلف عما في القسم الأول فلقد سمى تلك الصناعات بأعيانها ولكنه لم يأمر بها أو لم يوجه تجاهها أمراً

([٢٣٦]) تفسير ابن كثير ٣٣٧/٤.

([٢٣٧]) فهي فرض كفاية ، راجع مجموع فتاوى ابن تيمية ٨٠/٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للمؤمنين بإعدادها أو نحوه كما سبق في القسم الأول، بل جعل منها ما هو آية وموضع عبرة لهم وبين _سبحانه_ أن طريق النجاة كان بواسطتها مثل سفينة نوح قال _تعالى_: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون .وخلقنا لهم من مثله ما يركبون(يس ٤١)﴾.

وقال _تعالى_: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر، ولقد تركناها آية فهل من مدكر(القمر١٣-١٥)﴾

وامتنَّ _سبحانه وتعالى_ على بني الإنسان كذلك بصناعة السفينة والدروع وبيَّن أنها من نعمائه واستحثهم لشكر تمتعهم بها، وجعل السد من رحمته.

وبيَّن _سبحانه_ موارد نفعها ودورها في تمكين أهل الحق فبصناعة السفينة كانت نجاة المؤمنين والخليقة في الأرض، وبسد ذي القرنين كان تمكين رعايا ذي القرنين من العيش آمنين هانئين ونحو ذلك وفي هذا عبرة لأهل الإيمان أن يعتنوا بالمخترعات ويعرفوا قيمتها وأنها من أسباب رحمته وسوابغ نعمته ووسائل النجاة من الكوارث والوصول إلى التمكين في الأرض، وعلى أهل الحق أن يأخذوا في الحسبان ما ورد في القرآن بخصوص هذا الشأن وأن يسعوا إلى الصناعة لتمكين دعوة الحق ونصرة الدين، معتبرين ومتأسين بهذه الوقائع التي دارت أدوارها على تلك الصنائع، حتى تحقق لأهل الحق التمكين ونُصِرَ بها الدين ([٢٣٨])

الفصل التاسع

مؤهلات جيل النصر

اعلم علمني الله و إياك أن للنصر على الأعداء صفات لابد أن تتحقق في ذلك الجيل فالنصر ليس هبة تعطى لكل إنسان و إنما هو تشريف و تمكين يمن الله تعالى به على من يستحقه و

[٢٣٨] – انظر كتاب عوامل النصر والتمكين في دعوة المرسلين لأحمد بن حمدان بن محمد الشهري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أوفى لله عز وجل في عهوده و مواثيقه و صفات جيل النصر تمثلت في الجيل الأول من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – حيث حقق هؤلاء الصفات الإعتقادية و القولية و العملية فمكنهم الله تعالى و دانت لهم البلاد و العباد و نحن مأمورن أن نقتدي بهم و أن نسير على دربهم فها هي مؤهلات النصر و التمكين

أولا :الإيمان العميق الذي تخلل القلوب و الجوارح فاضحى الواحد منهم إيمان يمشي على الأرض إيمان بان الله واحد احد إيمان بان دين الله هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده ليكون لهم منهج حياة و دستور سعادة و منبع امن و استقرار يقول الله تعالى { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)" النور" }

يقول سيد قطب – رحمه الله – ذلك وعد الله للذين أمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يستخلفهم في الأرض. وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم . وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً . . ذلك وعد الله . ووعد الله حق . ووعد الله واقع . ولن يخلف الله وعده . . فما حقيقة ذلك الإيمان؟ وما حقيقة هذا الاستخلاف؟

إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله؛ وتوجه النشاط الإنساني كله . فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى الله؛ لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله؛ وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة ، لا يبقى معها هوى في النفس ، ولا شهوة في القلب ، ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله .

فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله ، بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه . وأشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه ، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعاً . . يتوجه بهذا كله إلى الله . . يتمثل هذا في قول الله سبحانه في الآية نفسها تعليلاً للاستخلاف والتمكين والأمن : { يعبدونني لا يشركون بي شيئاً } والشرك مداخل وألوان ، والتوجه إلى غير الله بعمل أو شعور هو لون من ألوان الشرك بالله .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك الإيمان منهج حياة كامل ، يتضمن كل ما أمر الله به ، ويدخل فيما أمر الله به توفير الأسباب ، وإعداد العدة ، والأخذ بالوسائل ، والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض . . أمانة الاستخلاف . .

فما حقيقة الاستخلاف في الأرض؟

إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم . . إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء؛ وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه؛ وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض، اللائق بخليقة أكرمها الله.)([٢٣٩])

ويقو السعدي — رحمه الله – هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل.

فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط

---

[٢٣٩] – في ظلال القرآن – (ج ٥ / ص ٢٩٢)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح.

{ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ } التمكين والسلطنة التامة لكم، يا معشر المسلمين، { فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } الذين خرجوا عن طاعة الله، وفسدوا، فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره، وعدم وجود الأسباب المانعة منه، يدل على فساد نيته، وخبث طويته، لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك. ودلت هذه الآية، أن الله قد مكن من قبلنا، واستخلفهم في الأرض، كما قال موسى لقومه: { وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } وقال تعالى: { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ }([٢٤٠])

ثانيا تعظيمهم لأمر الله عز و جل و أمر رسوله صلى الله عليه و سلم

و من صفات جيل النصر و التمكين أنهم يعظمون أمر الله و أمر رسوله – صلى الله عليه و سلم – فقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز و جل و أمر رسوله صلى الله عليه و سلم عملا بقول الله {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)" النور"}

يقول ابن كثير – رحمه الله – " ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله وسنة رسوله، فقال: { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } أي: سمعًا وطاعة؛ ولهذا وصفهم تعالى بفلاح، وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب، فقال: { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } .

وقال قتادة في هذه الآية: { أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } ذُكر لنا أن عُبَادة بن الصامت –وكان عَقَبِيًّا بدريا، أحد نقباء الأنصار –أنه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية: ألا أنبئك بماذا عليك وَمَاذا لك؟ قال: بلى. قال: فإن عليك السمع والطاعة، في عسرك

---

[٢٤٠] – تفسير السعدي – (ج ١ / ص ٥٧٣)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويسرك، ومَنْشَطك ومكرهك، وأثرةً عليك. وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وألا تنازع الأمرَ أهله، إلا أن يأمروك بمعصية الله بَوَاحا، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله، فاتبع كتاب الله.

وقال قتادة: وَذُكر (٢) لنا أن أبا الدرداء قال: لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله، وللخليفة وللمؤمنين عامة.

قال: وقد ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كان يقول: عُروة الإسلام شهادةُ أن لا إله إلا الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين.

رواه ابن أبي حاتم، والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله [وسنة رسوله، وللخلفاء الراشدين، والأئمة إذا أمروا بطاعة الله] (٣) كثيرة جدًا، أكثر من أن تحصر في هذا المكان.([٢٤١])

و تأمل كيف أنهم بادروا إلى الاستجابة لأمر رسول الله — صلى الله عليه و سلم– – بعد غزوة احد عندما دعاهم الرسول– صلى الله عليه وسلم للخروج و هم بين مصاب و منهك و جريح { الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) "آل عمران" }

البخاري عن عائشة رضي الله عنها في هذه الآية ، قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك منهم : الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما . لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أصابهم يوم أحد ، وانصرف عنه المشركون ،خاف أن يرجعوا فقال : من يذهب في أثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير ، قال أبو هشام : ولما ثنى مَعْبَد أبا سفيان ومن معه ، كما تقدم ، مرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولمَ ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتمونا ؟ قالا : نعم ، قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد جمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر

[٢٤١] – تفسير ابن كثير – (ج ٦ / ص ٧٥)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه ، فقالوا : حسبنا والله ونعم الوكيل ، فأنزل الله تعالى في ذلك : { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ } أي : الركب المستقبل لهم : { إِنَّ النَّاسَ } أي : أبا سفيان وأصحابه : { قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ } أي : الجموع ليستأصلوكم : { فَاخْشَوْهُمْ } ولا تأتوهم : { فَزَادَهُمْ } أي : ذلك القول : { إِيمَاناً } أي : تصديقاً بالله ويقيناً . والمعنى: أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا، بل ثبت به عزمهم على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمر به وينهى عنه. وفي الآية دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصاناً ، فإن ازدياد اليقين بتناصر الحجج ، وكثرة التأمل ، مما لا ريب فيه : { وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ } أي : كافينا أمرهم من غير عدة لنا ولا عدد: { وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } أي: الموكول إليه والمفوض إليه الأمر ([٢٤٢]) كان الواحد منهم لو أمره رسول الله – صلى الله عليه و سلم أن يقتل أبيه و أمه لفعل ذلك دون تردد في ذلك لعلمهم أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم لا يأمرهم الا بما ينفعهم في الدنيا و الآخرة

ثالثا: الصدق مع الله تعالى في جميع الأقوال و الأعمال

فليس الإيمان بالتمني و لا لكنه بالتحلي فهم كانوا كما وصفهم الله تعالى في غير ما اية من كتابه يقول الله عنهم { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً }

عن أنس بن مالك قال: نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر: { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ } ([٢٤٣])

عن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة قال: لما أن رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وعَزّى المسلمين بما أصابهم، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر والذخر، ثم قرأ هذه الآية: { رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ } . فقام إليه رجل

---

[٢٤٢] – محاسن التأويل (تفسير القاسمي) – (تفسير سورة آل عمران)

[٢٤٣] –صحيح البخاري برقم (٤٧٨٣).

من المسلمين فقال: يا رسول الله، مَنْ هؤلاء؟ فأقبلت وَعَلَيّ ثوبان أخضران حَضْرَمِيَّان فقال: "أيها السائل، هذا منهم".([٢٤٤])

ولقد صدقوا مع الله تعالى و مع رسوله – صلى الله عليه وسلم – في بذل اموالهم و ترك ديارهم يقول الله تعالى " لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ " (الحشر ٨)

يقول العلامة الشنقيطي – رحمه الله – في هذه الآية الكريمة وصف شامل للمهاجرين في دوافع الهجرة : أنهم { يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله } ، وغايتها : وهي { وَيَنصُرُونَ الله وَرَسُولَه } ، والحكم لهم بأنهم { أولئك هُمُ الصادقون } .

ومنطوق هذه الأوصاف يدل بمفهومه أنه خاص بالمهاجرين ، مع أنه جاءت نصوص أخرى تدل على مشاركة الأنصار لهم فيه : منها قوله تعالى : { إِنَّ الذين آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله والذين آوَواْ ونصروا أولئك بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ } [الأنفال : ٧٢] ، وقوله تعالى بعدها : { والذين آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ الله والذين آوَواْ ونصروا أولئك هُمُ المؤمنون حَقّاً } [الأنفال : ٧٤] .

فذكر المهاجرين بالجهاد بالمال والنفس ، وذكر معهم الأنصار بالإيواء والنصر ، ووصف الفريقين معاً بولاية بعضهم لبعض ، وأثبت لهم معاً حقيقة الإيمان { أولئك هُمُ المؤمنون حَقّاً } [الأنفال : ٤] ، أي الصادقون في إيمانهم فاستوى الأنصار مع المهاجرين في عامل النصرة وفي صدق الإيمان .

وفي قوله تعالى : { والذين تَبَوَّءُوا الدار والإيمان مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ على أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر : ٩] وصف شامل للأنصار ، تبوءوا الدار : أي المدينة ، والإيمان من قبلهم : أي ببيعة العقبة الأولى والثانية من قبل مجيء المهاجرين ، بل ومن قبل إيمان بعض المهاجرين يحبون من هاجر إليهم ويستقبلونه بصدور رحبة ، ويؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، لأنهم هاجروا إليهم .

---

[٢٤٤] –سنن الترمذي برقم (٣٢٠٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وظاهر النصوص تدل بمفهومها أن غيرهم لم يشاركهم في هذه الصفات ، ولكن في الآية الأولى ما يدل لمشاركة المهاجرين الأنصار في هذا الوصف الكريم ، وهو الإيثار على النفس ، لأن حقيقة الإيثار على النفس هو بذل المار للغير عند حاجته مقدماً غيره على نفسه ، وهذا المعنى بالذات سبق أن كان من المهاجرين أنفسهم المنصوص عليه في قوله تعالى : { لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ } [الحشر : ٨] فكانت لهم ديار ، وكانت عندهم أموال وأخرجوا منها كلها ، فلئن كان الأنصار واسوا إخوانهم المهاجرين ببعض أموالهم ، وقاسموهم ممتلكاتهم ، فإن المهاجرين لم ينزلوا عن بعض أموالهم فحسبن بل تركوها كلها . أموالهم وديارهم وأولادهم وأهلهم ، فصاروا فقراء بعد إخراجهم من ديارهم وأموالهم . ومن يخرج من كل ماله وديارة ويترك أهله وأولاده ، لا يكون أقل تضحية من آثر غيره ببعض ماله ، وهو مستقر في أهله وديارهن فكأن الله عوضهم بهذا الفيء عما فات عنهم .

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله : أنه صلى الله عليه وسلم قال للأنصار ما يشعر بهذا المعنى ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم فقالوا يا رسول الله : أموالنا بيننا قطائع » الحديث .

أي أن الأنصار عرفوا ذلك للمهاجرين ، وعليه أيضاً ، فقد استوي المهاجرون مع الأنصار في هذا الوصف المثالي الكريم ، وكان خلقاً لكثيرين منهم بعد الهجرة كما فعل الصديق رضي الله عنه حين تصدق بكل ماله فقال له ، رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أبقيت لأهلك » ؟ فقال رضي الله عنه : أبقيت لهم الله ورسوله . وكذلك عائشة الصديقة رضي الله عنها . حينما كانت صائمة وليس عندها سوى قرص من الشعير وجاء سائل فقالت لبريرة : ادفعي إليه ما عندك ، فقالت : لها : ليس إلا ما ستفطرين عليه ، فقالت لها : ادفعيه إليه ، ولعلها أحوج إليه الآن ، أو كما قالت .

ولما جاء المغرب أهدى إليهم رجل شاة بقرامها – وقرامها هو ما كانت العرب تفعله إذا أرادوا شواء شاة طلوها من الخارج بالعجين حفظاً لها من رماد الجمر – فقالت لبريرة : كلي ، هذا خير من قرصك .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكما فعل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تصدق بالعير وما تحمله من تجارة حين قدمت ، والرسول صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فخرج الناس إليها .

فعلى هذا ، كان مجتمع المدينة في عهده صلى الله عليه وسلم مجتمع متكافلاً بعضهم أولياء بعض ، وقد نوَّه صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم حنين بفضل كلا الفريقين في قوله صلى الله عليه وسلم : « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار »

ومن بعده عمر رضي الله عنه قال : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوأوا الدار والإيمان ، من قبل أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم .

ثم كان هذا خلق المهاجرين والأنصار جميعاً ، كما وقع في وقعة اليرموك ، قال حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ، ومعي شيء من الماء وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به فقلت له : أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم ، فإذا أنا برجل يقول : آه آه ، فأشار إلي ابن عمي أن أنطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت أسقيك؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول آه آه . فأشار هشام أن أنطلق إليه فجئته ، فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام ، فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات .

وكان منهج الخواص من بعدهم ، كما نقل القرطبي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ ، قدم علينا حاجاً فقال لي : ما حد الزهد عندكم؟ فقلت : إن وجدنا أكلنان ، وإن فقدنا صبرنا ، فقال : هكذا كلاب بلخ عندنا . فقلت : وما حد الزهد عندكم؟ قال : إن فقدنا شكرنا وإن وجدنا آثرنا .

وفي قوله : { وَيُؤْثِرُونَ على أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر : ٩] . الإيثار على النفس : تقديم الغير عليها مع الحاجة ، والخصاصة : التي تختل بها الحال ، وأصلها من الاختصاص ، وهو الانفراد في الأمر .

و لا نستطيع أن ننسى موقف أنس بن النضر رضي الله عنه يوم أحد و قوله لسعد بن معاذ الجنة و رب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : فوجدنا به بضعا و ثمانين ضربة بالسيف أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه .([٢٤٥])

إن جيل النصر و التمكين جيل انتصر أولا على حب الذات فعلم أن هذا الدين لا يبلغ العبد حقيقته إلا إذا كان صادقا مع ربه في كل حركة من حركات حياته فهو يعي انه وقف على الله تعالى فالنفس الذي يتنفسه إنما هو لله و لرسوله — صلى الله عليه و سلم

رابعا جيل زهد في الحياة الدنيا راغب فيما عند الله

لأنه تربى في مدرسة النبوة التي ربته على خشونة العيش و شظف الحياة لأنهم أدركوا حقيقة كبرى ألا و هي "أن النعيم لا يدرك بالنعيم و من ركن إلى الراحة فاتته الراحة " يقول ابن القيم — رحمه الله – وأجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن من رافق الراحة فارق الراحة وحصل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة فإن قدر التعب تكون الراحة

على قدر أهل العزم تأتي العزائم** وتأتي على قدر الكريم الكرائم

ويكبر في عين الصغير صغيرها*** وتصغر في عين العظيم العظائم ([٢٤٦])

إن جيل النصر و التمكين ليس في قلبه إلا رب العالمين و سكنى جنات النعيم لذا كان همهم ما أراد ربهم من الزهد في الدنيا و عدم الركون لها

حرص النبي ﷺ على التخفف من الدنيا .

النبي ﷺ كان أزهد الناس في الدنيا وكان شديد الحرص على التخفف منها وليس أدل على ذلك من قوله ﷺ كما في حديث علقمة عن عبد الله قال : اضطجع النبي ﷺ " مالي وللدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها " ([٢٤٧])

وتأمل حرصه الشديد على التخفف منها فعن أبي هريرة ﷺ قال : أن رسول الله ﷺ قال : لو أن لي مثل أحد ذهبا ما يسرني أن تأتي علي ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء

---

[٢٤٥] – أضواء البيان – (ج ٨ / ص ١٩٠–١٩١–)

[٢٤٦] – مدارج السالكين – (ج ٣/ ص ١٧)

[٢٤٧] – أخرجه الترمذي ٢٣٨٤ في الزهد وابن ماجة ٤١٠٩ وصححه الألباني صحيح سنن بن ماجة وصححه ايضا في صحيح الترمذي ح ٣٣٧٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أرصده لديني . ([٢٤٨])وكان ﷺ كثيرا ما يدعوا ربه بذلك الدعاء النابع عن قلب زهد في الدنيا وزخارفها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " اللهم أجعل رزق آل محمد قوتا . ([٢٤٩])

يقول الحافظ بن حجر رحمة الله . قال ابن بطال : فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفير نعيم الآخرة وإيثار لما يبقي علي ما ينفي فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك . وقال القرطبي : معني الحديث أنه طلب الكفاف فإن القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغني والفقر جميعا والله أعلم . ([٢٥٠])

وهيا هيا لندخل بيت النبوة لنري ما فيها من متاع الدنيا ، ولنرى كيف كان عيش سيد الأولين وأمام المرسلين .

فراش محمد ﷺ وطعامه .

عن ابن عباس أن عمر رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ في خزانته فإذا هو مضطجع على حصير ، فأدني عليه أزاره وجلس وإذا الحصير قد أثر بجنبه ، فقلبت عيني في خزانة رسول الله ﷺ فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين أو قال قبضة من شعير وقبطه من قرظ نحو الصاعين ، وإذا أفيق معلق أو أفيقان قال : فابتدرت عيناي فقال : رسول الله ﷺ ما يبكيك يا ابن الخطاب ؛ قلت يا رسول الله ومالي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله وهذه خزانتك ! وكسرى وقصير في الثمار والأنهار وأنت هكذا . فقال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؛ قلت بلي : يا رسول الله قال " فاحمد الله تعالي " ([٢٥١])

وعند البخاري : عن عمر في هذه القصة فما رأيت في البيت شيئا يرد البصر غير أهب ثلاثة فقلت : ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك ، فقد وسع على فارس والروم وهم لا

---

[٢٤٨] ـــ أخرجه البخاري رقم ٦٤٤٥ .

[٢٤٩] – أخرجه البخاري رقم ٦٤٦٠

[٢٥٠] – فتح الباري جـ١١ ص٢٩٩.

[٢٥١] – أخرجه مسلم ١٤٧٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعبدون الله ، فاستوى جالسا وقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؛ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت أستغفر الله ، وكان أقسم أن لا يدخل على نسائه شهرا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالي . ([٢٥٢])

أما عن طعامه ﷺ

فعن عائشة رضي الله عنها : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى توفي ([٢٥٣])وعنها أيضا قالت : كنا نخرج الكراع ([٢٥٤])بعد خمس عشرة فنأكله ، فقلت ولم تفعلون ؛ فضحكت وقالت : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مأدوم حتى لحق بالله ([٢٥٥])

وعنها أيضا : كنا يمر بنا هلال والهلال ، ما نوقد بنار الطعام ، إلا أنه التمر والماء ، إلا أن حولنا أهل دور من الأنصار فيبعثون بغزيرة الشاة إلي النبي ﷺ فكان النبي ﷺ من ذلك اللبن.

وعن أنس ﷺ قال : ما أكل النبي ﷺ على خوان ، ولا في سكرجه ([٢٥٦])

والخوان : المائدة التي يوضع عليها الطعام ولا خبز له مرقق ، فقلت لأنس : علام كانوا يأكلون ؛ قال : علي السفر. ([٢٥٧])

وعن أنس ﷺ : أنه مشي النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سنخة ([٢٥٨]). ولقد رهن درعه عند يهودي فأخذ لأهله شعيرا ولقد سمعته ذات يوم يقول: ما أمسي عند آل محمد صاع تمر ولا صاع حب وإنهم يومئذ تسعة أبيات. ([٢٥٩])

وأما فراشه ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش النبي ﷺ من أدم حشوه ليف . ([٢٦٠])

---

[٢٥٢] – أخرجه البخاري رقم ٥١٩١.

[٢٥٣] – أخرجه مسلم٢٩٧٠.

[٢٥٤] – أخرجه البخاري رقم ٥٤٢٣

[٢٥٥] – أخرجه البخاري رقم ٦٤٥٨

[٢٥٦] –– سكرجه : صحاف صغار يؤكل فيها ومنها الكبير . فتح الباري جـ٩ ص٤٤٢.

[٢٥٧] – أخرجه البخاري رقم ٥٣٨٦.

[٢٥٨] – سنخة : منتنة الريح

[٢٥٩] – أخرجه البخاري رقم ٦٤٥٦

[٢٦٠] – أخرجه أحمد في الزهد ص٢٠وصححه الألباني في الصحيحة ح ٢٤٨٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عمر ابن الخطاب ﷺ :مع فاروق هذه الأمة الذي أعز به الله الإسلام وأهله فكان إسلامه نصرا وكانت هجرته فتحا لا يخاف في الله لومه لائم ، يفرق منه الشيطان فلا يلقاه في طريق ، ملهم محدث مواقف رأيه لما أنزل من القرآن أزهد الأمة بعد بنيها ﷺ هيا هيا لنرى من قوض عرش كسرى وقيصر لنرى من جاءته الدنيا بحذافيرها فردها صاغرة ذليلة ، لنرى حرصه الشديد ورأيه السديد فى الفرار من زينة الحياة الدنيا .لما تولى ﷺ الخلافة بعد أبي بكر ﷺ : قال " لا يحل لي من مال الله إلا حلتان : حلة للشتاء ، وحلة للصيف وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ثم أنا رجل من المسلمين ! !

قال ابن الجوزي : فى مناقب عمر : قال عبد العزيز ابن أبى جميلة : أبطأ عمر ابن الخطاب — ﷺ — جمعه بالصلاة فلما خرج صعد المنبر واعتذر إلى الناس فقال " إنما حبسني قميصي هذا لم يكن لي قميص غيرة كان يخاط ، أبيض — لا يجاوز كمه رسغ كفيه " (٢٦١)

عن جابر ﷺ قال رأى عمر ابن الخطاب ﷺ فى يدي لحما معلقا قال ما هذا يا جابر ؟ قال اشتهيت لحما فاشتريته

فقال عمر كلما اشتهيت اشتريت ! ! أما تخاف هذه الآية " أذهبتكم طيباتكم فى حياتكم الدنيا " (٢٦٢)

وعن حميد ابن هلال : أن حفص ابن العاص كان يحضر طعام عمر ، فكان لا يأكل فقال عمر له : ما يمنعك من طعامنا ؟

قال : إن طعامك هذا جشب غليظ ، وإني أرجع إلى طعام لين قد صنع لي فأصيب منه ، قال : أتراني أعجز أن آمر بشاة فيلقى عنها شعرها ، وآمر بدقيق فينخل ثم يصب فى خرقة ، ثم آمر به فيخبز خبزا رقاقا وآمر بصاع من زبيب فيقذف في سعن ثم يصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم الغزال ؟ فقال إني لا أراك عالما بطيب العيش .

قال : أجل والذي نفسي بيده لولا أن تنقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم " (٢٦٣)

---

٢٦١ — الطبقان لأبن سعد ٣٥١/٣ ، وإسناده صحيح

٢٦٢ – أخرجه مالك في الموطأ وأحمد في الزهد ١٥٣ ، والبيهقي في الشعب ٣٢٨٤ .

٢٦٣ – سير الخلفاء للذهبي ص ٨١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعوتب عمر فقيل له : لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق ؟

فقال : إني تركت صاحبي على جادة فإن تركت جادتهما فلن أدركهما فى المنزل "

وكان معاوية ﷺ يقول " أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، أما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن " ([٢٦٤])

قال طلحه ابن عبيد الله : ما كان عمر ابن الخطاب بأولنا إسلاما ولا أقدمنا هجرة ولكنه كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة. وأخرج ابن عساكر عن الحسن البصري قال أتيت مجلسا في جامع البصرة فإذا أنا بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون زهد أبى بكر وعمر — رضي الله عنهما وما فتح الله عليهما من الإسلام وحسن سيرتهما فدنوت من القوم فإذا فيهم لأحنف ابن قيس ﷺ معمم فسمعته يقول : أخرجنا عمر ابن الخطاب في سرية إلى العراق وبلد فارس ، فأصبنا فيها من بياض فارس وخرسان فجعلناه معنا واكتسينا منها ، فلما قدمنا على عمر ﷺ أعرض عنا وجهه وجعل لا يكلمنا ، فأشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتينا ابنه عبد الله بن عمر — ﷺ وهو جالس في المسجد فشكونا إليه ما نزل بنا من الجفاء من أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، فقال عبد الله : إن أمير المؤمنين رأى عليكم لباسا لم ير رسول الله ﷺ يلبسه ولا الخليفة من بعده أبو بكر الصديق ﷺ ، فأتينا منازلنا فنزعنا ما كان علينا وأتيناه في البزة التي كان يعهدنا فيها ، فقام يسلم علينا على رجل رجل ويعانق منا رجلا رجلا حتى كأنه لم يرنا قبل ذلك ، فقدمنا إليه الغنائم فقسمها بيننا بالسويه فعرض عليه في الغنائم سلال من أنواع الخبيص من أصفر وأحمر فذاقه عمر فوجده طيب الطعم طيب الريح فأقبل علينا بوجهه وقال : يا معشر المهاجرين والأنصار ليقتلن منكم الأبن أباه والأخ أخاه على هذه الطعام ، ثم أمر به فحمل إلى أولاد من قتلوا بين يدي رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، ثم إن عمر قام منصرفا فمشى وراءه أصحاب رسول الله ﷺ في أثره فقالوا : ما ترون يا معشر المهاجرين والأنصار إلى زهد هذا الرجل وإلى حليته ؟ لقد تقاصرت الدنيا إلي أنفسنا مذ فتح الله على يديه ديار كسرى وقيصر ، وطرفي المشرق والمغرب ، ووفود العرب والعجم يأتونه فيرون

[٢٦٤] – أخرجه ابن عساكر ٢٢٤/٥٢ في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة ١٤٧/٤ بسند حسن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه هذه الجبة قد رفعها اثنتي عشرة رفعة فلو سألتم معاشرا أصحاب محمد ﷺ وأنتم الكبراء من أهل المواقف والمشاهد مع رسول الله ﷺ والسابقين من المهاجرين والأنصار يغير هذه الجبة بثوب لين يهاب فيه منظره ويغدى عليه جفنه من الطعام ويراح عليه جفنه يأكل ومن حضره من المهاجرين والأنصار فقال القوم أجمعهم . ليس لهذا القول إلا علي بن أبي طالب ﷺ فإنه أجرا الناس عليه وصهرة على ابنته أو ابنته حفصة فإنها زوجة رسول الله ﷺ وهو موجب لها لو ضعها من رسول الله ﷺ فكلموا علينا فقال ليست بفاعل ذلك ولكن عليكم بأزواج النبي ﷺ فأنهن أمهات المؤمنين يجترئن عليه .

قال الأحنف بن قيس : فسألوا عائشة وحفصة رضي الله عنهما وكانتا مجتمعتين فقال عائشة إني سائلة أمير المؤمنين ذلك . وقالت حفصة ما أراه يفعل ذلك . فدخلنا على أمير المؤمنين فقربهما وأدناهما فقالت عائشة يا أمير المؤمنين : أتأذن أكلمك ؛ قال : تكلمي قالت : أن رسول الله ﷺ مضي لسبيله إلى جنته ورضوانه لم يرد الدنيا ولم ترده ، وكذلك مضى أبو بكر ﷺ على أثره وإرضاء رب البرية فقبضة الله إلى رحمته ورضوانه وألحقه بنبيه ﷺ بالرفيق الأعلى لم يرد الدنيا ولم ترده ، وقد فتح الله على يديك كنوز كسرى وقيصر وديارهما ، وحمل إليك أموالهما ودانت لك أطراف المشرق والمغرب ونرجو من الله المزيد وفي الإسلام التأييد ، ورسل العجم يأتونك ووفود العرب يردون عليك وعليك هذه الجبة قد رقعتها اثنتي عشر رفعة فلو غيرتها بثوب يهاب فيه منظرك ويغدي عليك بجفنة من الطعام ويراح عليك بجفنة تأكل أنت ومن حضرك من المهاجرين والأنصار ، فبكى عمر عند ذلك بكاء شديد ثم قال : سألتك بالله هل تعلمنى أن رسول الله ﷺ شبع من خبز عشرة أيام أو خمسة أيام أو ثلاثة أيام أو جمع بين عشاء وغذاء حتى لحق بالله ؛ فقالت : لا فأقبل علي عائشة فقال هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرب أليه طعام علي مائدة في ارتفاع شبر من الأرض كان يأمر بالطعام فيوضع علي الأرض و يأمر بالمائدة فترفع ؛ فالتا : اللهم نعم . فقال لهما : أنتما زوجتا رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين ولكما علي المؤمنين حق وعلي خاصة . ولكن أتيتما ترغباني في الدنيا وإني لأعلم أن رسول الله ﷺ لبس جبة من الصوف فربما حك جلده من خشونتها أتعلمان ذلك ؛ قالتا : اللهم نعم . فقال هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يرقد على عباءة على طاقة واحدة وكان مسحا .

في بيتك يا عائشة تكون بالنهار بساطا وبالليل فراشا فندخل عليه فنرى أثر الحصير على جنبه ، ألا يا حفصة أنت حدثتني أنك ثنيت له المهاد ذات ليلة فوجد لينها فرقد فلم يستيقظ إلا بأذان بلال فقال لك : يا حفصة ماذا صنعت ؛ أثنيت المهاد ليلتي حتى ذهب بي النوم إلى الصباح ، مالي وللدنيا ومالي شغلتموني بلين الفراش أما تعلمين أن رسول الله ﷺ كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أمسي جائعا ورقد ساجدا ولم يزل راكعا وساجدا وباكيا ومتضرعا في أناء الليل والنهار إلى أن قبضه الله برحمته ورضوانه لا أكل عمر طيبا ولا لبس لينا فله أسوة بصاحبيه ولا جمع بين أدمين إلا الملح والزيت ولا أكل الحما إلا في كل شهر ينقضي ما أنقضي من القوم فخرجتا فأخبرنا بذلك أصحاب رسول الله ﷺ فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل . ([٢٦٥])

يا رفعا راية الشورى وحارسها ** جزاك ربك خير عن محبيها

رأي الجماعة لا تشتقي البلاد به **رغم الخلاف ورأي الفرد يشيقها

أن جاع الخليفة في شدة قوم شركتهم **الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها

جوع الخليفة والدنيا بقبضته **منزلة في الزهد سبحان موليها

فمن يباري أبا حفص وسيرته **أو يجاري للفاروق تشبيها

يوم اشتهيت زوجة الحلوي فقال **لها من أين لي ثمن الحلوى فأشتريها

ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به **أولي فقومي لبيت المال رديها

كذلك أخلاقه كانت وما **عهدت عليه بعد النبوة أخلاق تحاكيها

رابعا: جيل متماسك حرص على الاجتماع و الوحدة ونبذ الخلاف:

إن الأمة المتماسكة أمة قوية لا ينفت عضدها و لا تذهب ريحها و لا يداس طرفها لأنها كالبنيان يشد بعضه بعضا لذا كان من أخص خصائص جيل النصر و التمكين أنه معتصم بحبل الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ، و الناظر إلى أحوال الأمة في هذه الحقبة التي نعيشها نرى أنها تمزقت وحدتها و ضاعت هيبتها و ديست كرامتها لأنها لم تعتصم بكتاب الله و سنة رسوله– صلى الله عليه وسلم – و ما أحداث غزوة في هذه الأيام منا

[٢٦٥] – حياة الصحابة ص ٣٨٣– ٣٨٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ببعيد فأهلها يقتلون و يشردون على مرأى و مسمع من العالم الإسلامي و الكل واقف مكانه يقول نفسي نفسي و يحدقون أعينهم تجاه الغرب الذي ما نالنا منه إلا المعرة و الهوان و الاستخفاف بأرواح عباد الرحمن ،إن جيل النصر الذي يحمل ألويته جيل متماسك الأطراف حتى إذا أبصرته أبصرت جسدا واحد يتألم بالآم أي عضو من أعضائه كما خبرنا بذلك نبينا– صلى الله عليه و سلم عن النعمان بن بشير قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ([٢٦٦])

و في رواية ((المسلمونَ كرجلٍ واحد إذا اشتكى عينُه، اشتكى كلُّهُ، وإنْ اشتَكى رأسُه، اشتكى كلُّه)) ([٢٦٧]).

عن سهلِ بن سعدٍ ، عنِ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، قال :((المؤمن من أهلِ الإيمانِ بمنْزلةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ ، يأْلَمُ المؤمنُ لأهلِ الإيمانِ كما يأْلَمُ الجَسَد لِما في الرَّأْسِ)) ([٢٦٨]).

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، عنِ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم –، قال: ((المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ ، المؤمنُ أخو المؤمن ، يكُفُّ عنه ضَيعَته ، ويحوطُه من ورائه)) .([٢٦٩])

فأين علماء و ملوك و حكام الأمة الإسلامية من أقوال خير البرية و هل نحن قد آمنا بالله حقا و أسلمنا له رقا ؟

إن الصحابة الكرام ما مكنهم الملك العلام إلا بعد أن التفوا جميعا حول كتاب ربهم و ساروا على درب نبيهم — صلى الله عليه و سلم — اعتصاما بقول الله تعالى { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

---

[٢٦٦] –أخرجه احمد ح ١٨٣٩٨ و مسلم ح ٢٥٨٦ و غيرهما

[٢٦٧] –أخرجه احمد ح ٤٩٧

[٢٦٨] – أخرجه أحمد ٣٤٠/٥ وأخرجه : ابن المبارك في " الزهد " (٦٩٣) ، والطبراني في " الكبير " (٥٧٤٣) ، والقضاعي في " مسند الشهاب " (١٣٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي ، به . وهو حديث قويٌّ .

[٢٦٩] – أخرجه الترمذي (٤٩١٨) . وأخرجه : البخاري في " الأدب المفرد " (٢٣٩)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (١٢٥) من حديث أبي هريرة ، به . قال العراقي في " تخريج الإحياء " ١١٣٠/٣ (١٦٥٢) : ((رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد حسن)) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)آل عمران }

* فوائد الاعتصام و محن الفرقة ([٢٧٠])(الاعتصام بحبل الله هو سبيل المنعة والقوة، وهو سبيل النصر والتمكين والعزة والكرامة، ولقد سجلت أمة الإسلام في التاريخ مكانة مرموقة وسؤدداً عظيماً يوم أن تمسك المسلمون بدينهم، واعتزوا بتعاليم ربهم وتمسكوا بسنة نبيهم – صلى الله عليه وسلم –، والتمسوا العزة في دين الله فأعزهم الله سبحانه، وأظهرهم على أعدائهم، فحافظوا على قيادتهم للإنسانية، وريادتهم للبشرية ما بقوا معتصمين بحبل الله، متآلفين على قلب رجل واحد، فهابهم أعداؤهم، وحسبوا لهم ألف حساب وحساب، وحين وقع الخلاف بين أبناء الأمة، وتنازعوا فيما بينهم ضاعت هيبتهم من قلوب أعدائهم، وأصابهم الوهن والضعف، فتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها وذهبت ريحهم وتبددت قوتهم، وأصبحت بلاد العالم الإسلامي لقمة سائغة، يتطاول عليها القاصي والداني، ويتجرأ عليها الضعفاء قبل الأقوياء.

لذلك يخاطبنا رب العزة والجلال بضرورة الاعتصام والوحدة والبعد عن الاختلاف والفرقة حتى يعود للأمة مجدها وعزتها وسؤددها، وذلك في الآيات الآتية:

قوله تعال { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا (آل عمران الآية ١٠٣) }

الاعتصام بحبل الله سبيل لوحدة الأمة:

إنَّ نعم الله علينا عظيمة، وأعظم هذه النعم بعد نعمة الإيمان والهداية هي نعمة الأخوة في الله التي جعلت أبناء أمة الإسلام تربطهم علاقة متينة راسخة هي علاقة الدين التي هي أقوى من علاقة النسب، وهي العلاقة التي جعلت المسلمين جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى رغم اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم يوحدهم الاعتصام بحبل الله والانضواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

المطلب الأول: ثمرات الاعتصام بحبل الله:

للاعتصام بحبل الله ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة بيَّنها الله سبحانه في كتابه وهي:

[٢٧٠] – راجع كتابنا الإذاعة بمفاسد الخروج على ولاة الأمر و الجماعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولاً: الامتثال لأمر الله:

فاعتصام الأمة بحبل الله والالتفاف حول دينهم فيه امتثال لأمر الله وسمع وطاعة له والرضا بما ارتضاه، فالله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بخير ولا يحذر إلا من شر حين يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا.... ﴾ (٢٧١).

أي تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدينه الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله فقد كره الله لكم الفرقة وحذركموها ونهاكم عنها ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم (٢٧٢).

يقول الإمام الفخر الرازي حول معنى الاعتصام بحبل الله: " واعلموا أنه تعالى لما أمرهم بالاتقاء عن المحظورات أمرهم بالتمسك وبالاعتصام بما هو كالأصل لجميع الخيرات والطاعات وهو الاعتصام بحبل الله، واعلم أن كل من يمشي على طريق دقيق يخاف أن تنزلق رجله فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن من الخوف، ولا شك أن طريق الحق طريق دقيق، وقد انزلق أرجل الكثير من الخلق عنه، فمن اعتصم بدين الله .. يكون بذلك قد أطاع الله تعالى وامتثل لأوامره ويأمن من الانزلاق عن طريق الحق، فكان المراد من الحبل ههنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين " (٢٧٣). ومن هنا يتبين لنا أن طاعة الله تعالى والامتثال لأمره هي ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله.

ثانياً: الهداية إلى صراط الله المستقيم:

و اعلم أن الضلال و الإضلال سببه التفرقة شيعا و أحزابا فيصبح كل حزب بما لديهم فرحون فيضلوا و يضلوا ،فالهداية إلى الحق ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢٧٤).

" فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد " (٢٧٥).

---

(٢٧١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٢٧٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج٤، ص٣١-٣٣ .

(٢٧٣) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، م ٤، ج٨، ص١٧٨، " بتصرف " .

(٢٧٤) سورة آل عمران : الآية ١٠١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول الإمام القرطبي: " ومن يعتصم بالله أي يمتنع ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدي أي وفق وأرشد إلى صراط الله المستقيم " (٢٧٦).

ويقول الإمام الشوكاني: " أرشدهم الله إلى الاعتصام به ليحصل لهم بذلك الهداية إلى الصراط المستقيم الذي هو الإسلام " (٢٧٧).

ويقول الإمام محمد الطاهر بن عاشور: سياق الآية مؤذن بأنها جرت على حادثة حدثت وأن لنزولها سبباً، وسبب نزولها أن الأوس والخزرج كانوا في الجاهلية قد تخاذلوا وتحاربوا حتى تفانوا وكانت بينهم حروب كان آخرها يوم بعاث التي انتهت قبل الهجرة بثلاث سنين، فلما اجتمعوا على الإسلام زالت تلك الأحقاد من بينهم وأصبحوا عدة للإسلام، فساء ذلك يهود يثرب، فقام شاس بن قيس اليهودي وهو شيخ قديم منهم بإرسال شاب يهودي جلس إلى الأوس والخزرج يذكرهم حروب بعاث، فكادوا أن يقتتلوا، ونادى كل فريق يا للأوس! يا للخزرج، وأخذوا السلاح، فجاء النبي ﷺ فدخل بينهم وقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم ثم قرأ عليهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٧٨).

فما فرغ منها النبي ﷺ حتى ألقوا السلاح، وعانق بعضهم بعضاً، وقوله: " ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم، أي من يتمسك بالدين فلا يخش عليه الضلال، وفي هذا إشارة إلى التمسك بكتاب الله ودينه لسائر المسلمين الذين لم يشهدوا حياة النبي ﷺ لأن ذلك هو السبيل في عصمة المسلمين من كيد أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب الذين يحاولون جاهدين في الإيقاع بين المسلمين كما كانوا يفعلون زمن النبي ﷺ (٢٧٩).

فطاعة أهل الكتاب تحمل معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة، وهم أيضاً لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن

---

(٢٧٥) تفسير القرآن العظيم، للحافظ بن كثير، ج١، ص٣٨٧ .

(٢٧٦) الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٣٨٧ .

(٢٧٧) فتح القدير، ج١، ص٣٦٧ .

(٢٧٨) سورة آل عمران : الآيتان ١٠٠، ١٠١ .

(٢٧٩) التحرير والتنوير، م٣، ج٤، ص٢٨، " بتصرف " .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عقيدتها وإثارة الفتن والقلائل بين أبنائها، ويبذلون في سبيل ذلك كل ما في وسعهم من مكر وحيلة وقوة وعدة، وحين يعييهم أن يحاربوا الإسلام بأنفسهم يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممن ينتسبون زوراً إليه لتنخر لهم في جسمه وجسم أتباعه من داخل الدار، فالاعتصام بالله والالتفاف حول دينه والتمسك بكتابه والوثوق بوعده يعصم الأمة من مكايدهم ومخططاتهم وإذا كان رسول الله ﷺ قد استوفى أجله، واختار الرفيق الأعلى، فإن آيات الله باقية، وهدي رسول الله ﷺ باق، ونحن اليوم مخاطبون بهذا القرآن كما خوطب به الأولون، وطريق العصمة بيّن ولواء العصمة مرفوع، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم [٢٨٠].

ثالثاً: الدخول في رحمة الله ونيل فضله وهدايته:

وهي ثمرات الاعتصام بالله كما يقول سبحانه: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ [٢٨١].

والمراد آمنوا بالله في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه واعتصموا به في أن يثبتهم على الإيمان، ويصونهم عن نزغ الشيطان، ويدخلهم في رحمة منه وفضل، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً فوعد الله المعتصمين به بأمور ثلاثة: الرحمة والفضل والهداية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرحمة الجنة، والفضل ما يتفضل به عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً يريد ديناً مستقيماً [٢٨٢].

ويقول الإمام الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: " الذين آمنوا بالله واعتصموا به جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم فهؤلاء يرحمهم الله ويدخلهم الجنة ويزيدهم ثواباً ومضاعفة ورفعاً في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً أي طريقاً واضحاً لا اعوجاج فيه ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين في الدنيا

---

(٢٨٠) انظر: في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، ج١، ص٤٣٨، ٤٣٩.

(٢٨١) سورة النساء: الآية ١٧٥.

(٢٨٢) انظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، م٦، ج١١، ص١٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنان " (٢٨٣).

ويتحدث الأستاذ سيد قطب عن علاقة التلازم والتوافق بين الإيمان والاعتصام فيقول: والاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به، متى صح الإيمان، ومتى عرفت النفس حقيقة الله، وعرفت حقيقة عبودية الكل له، فلا يبقى أمامها إلا أن تعتصم بالله وحده، وهو صاحب السلطان والقدرة وحده، فهؤلاء يدخلهم الله في رحمة منه وفضل، رحمة في هذه الحياة الدنيا قبل الحياة الأخرى، وفضل في هذه العاجلة قبل الفضل في الآجلة فالإيمان هو الواحة الندية التي تجد فيها الروح الظلال من هاجرة الضلال في تيه الحيرة والقلق والشرود، كما أنه هو القاعدة التي تقوم عليها حياة المجتمع ونظامه، فالذين آمنوا بالله واعتصموا به في رحمة من الله وفضل في حياتهم الحاضرة وفي حياتهم الآجلة، وكلمة إليه في قوله: ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ تخلع على التعبير حركة مصورة، إذ ترسم المؤمنين ويد الله تنقل خطاهم في الطريق إلى الله على استقامة، وتقربهم إليه خطوة خطوة، وهي عبارة يجد مدلولها في نفسه من يؤمن بالله على بصيرة، فيعتصم به على ثقة حيث يحس في كل لحظة أنه يهتدي، وتتضح أمامه الطريق، ويقترب فعلاً من الله كأنما هو يخطو إليه في طريق مستقيم (٢٨٤).

رابعاً: استحقاق معية المؤمنين ومرافقتهم في الدارين:

فهذه أيضاً شهادة من الله لمن اعتصم بحبل الله وتمسك بدينه وأخلص عمله فيه بأنه مع المؤمنين كما يقول سبحانه: ﴿ إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٨٥).

جاءت هذه الآية الكريمة بعد الحديث عن المنافقين وما يستحقون من الله من عذاب يوم القيامة فهم أشد الناس عذاباً وفي الدرك الأسفل من النار إلا الذين تابوا منهم وأصلحوا عملهم واعتصموا بالله وأخلصوا لدينهم بحيث لم يشبه عملهم بتردد ولا تربص بانتظار من

---

(٢٨٣) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٥٩٢ .

(٢٨٤) انظر : في ظلال القرآن، ج٢، ص٨٢٣ .

(٢٨٥) سورة النساء : الآية ١٤٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينتصر من الفريقين المؤمنين والكافرين، فأخبر أن من صارت حاله إلى هذا الخير فهو مع المؤمنين وفي لفظ (مع) إيماء إلى فضيلة من آمن من أول الأمر ولم يصم نفسه بالنفاق لأن (مع) تدخل على المتبوع وهو الأفضل [٢٨٦].

الإمام القرطبي: هذا استثناء ممن نافق، ومن شرط التائب من النفاق أن يصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله أي يجعله ملجأ ومعاذاً، ويخلص دينه لله وإلا فليس بتائب قال الفراء: معنى " فأولئك مع المؤمنين " أي من المؤمنين [٢٨٧].

ويقول الإمام النسفي في معنى الآية: نزلت هذه الآية تتحدث عن المنافقين الذين تابوا من نفاقهم، وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص، وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه، فأولئك مع المؤمنين وهم أصحابهم ورفاقهم وفي معيتهم في الدارين الدنيا والآخرة [٢٨٨].

فهذه بعض ثمرات الاعتصام بحبل الله فما أحوجنا إلى الامتثال لأمر الله والاعتصام بحبله وأن نتعرف على الله في الرخاء حتى يتعرف علينا وقت الشدة، وما أحوجنا أن نلجأ إليه سبحانه ليمنحنا الهداية الإلهية إلى صراطه المستقيم، وما أحوجنا إلى رحمات الله ونيل فضله لنكون في معية المؤمنين في الدارين فكل هذه الثمرات وعد بها رب العزة والجلال إذا اعتصمنا بحبله والتزمنا بشرعه ووثقنا بوعده.

ثانيا: ويلات الفرقة والاختلاف:

نهى الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام عن الفرقة والاختلاف وحذر من الاكتواء بويلاتها مذكراً بما حصل للأمم السابقة من جراء فرقتهم ومحذراً من الويلات التي تنجم عن ذلك والتي من أخطرها:

أولاً: التشبه بالكافرين من أبناء الأمم الماضية:

---

(٢٨٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، م٣، ج٥، ص٢٤٤.

(٢٨٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٤٢٣.

(٢٨٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج١، ص٢٩١، ٢٩٢، " بتصرف ".

كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨٩).

" ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم " (٢٩٠).

ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ معطوف على قوله ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وفي هذا تمثيل لحال التفرق في أبشع صوره المعروفة لديهم عن مطالعة أحوال اليهود وفيه إشارة إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفضي إلى التفرق والاختلاف إذ تكثر النزاعات والنزغات وتنشق الأمة بذلك انشقاقاً شديداً.

وأريد بالذين تفرقوا واختلفوا الذين اختلفوا في أصول الدين من اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم من الدلائل المانعة من الاختلاف والافتراق، وقدم الافتراق على الاختلاف للإيذان بأن الاختلاف علة التفرق وهذا من المفادات الحاصلة من ترتيب الكلام وذكر الأشياء مع مقارناتها وفيه إشارة بأن الاختلاف المذموم هو الذي يؤدي إلى الافتراق، وهو الاختلاف في أصول الدين الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضاً أو تفسيقه دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار وهو المعبر عنه بالاجتهاد، ونحن إذا تقصينا تاريخ المذاهب الإسلامية لا نجد افتراقاً نشأ بين المسلمين إلا عن اختلاف العقائد والأصول دون الاختلاف في الاجتهاد في فروع الشريعة (٢٩١).

ثانياً: الفشل وذهاب القوة:

كما بين الله سبحانه وتعالى وهو ينهي عن الفرقة والتنازع والاختلاف أن مآل ذلك كله هو فشل الأمة وضعفها وهوانها على أعدائها وذلك في قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٢٩٢).

---

(٢٨٩) سورة آل عمران : الآية ١٠٥ .

(٢٩٠) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج١، ص٣٩٠ .

(٢٩١) انظر : التحرير والتنوير، م٣، ج٤، ص٤٢، ٤٣ .

(٢٩٢) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"المعنى ولا تختلفوا فإن التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن، وقوله تعالى: ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ يعني قوتكم" (٢٩٣).

فالناس يتنازعون حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وحين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيس للنزاع بينهم — مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة — فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق، وإنما هو وضع الذات في كفة والحق في كفة وترجيح كفة الحق، عندئذ يزول التنازع ويتلاشى الخلاف ويحل الوفاق والوئام مكان النزاع والصدام فيبقى للدين هيبته وللإسلام قدسيته وللوحدة مكانتها (٢٩٤).

والنهي عن التنازع يقتضي الأمر بالتفاهم والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضاً حتى يصدروا عن رأي واحد، فإن تنازعوا في شيء رجعوا إلى أمرائهم وردوا أمرهم إليهم ولقد كان التنازع مفضياً إلى الفشل لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضاً، وتوقع عدم إلفاء النصير عند مآزق القتال فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم فيتمكن منهم العدو كما قال سبحانه: ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ ﴾ (٢٩٥) (٢٩٦).

وهذا الفشل والضعف أدى إلى تفكك الأمة الإسلامية وضعفها وهوانها على أعدائها، فاستبيحت الديار، وانتهكت الأعراض، وخدشت الكرامة، ودنست المقدسات، وعزت النخوة، وقلَّ النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثاً: الدخول في دائرة الشرك:

حيث يبين الله سبحانه أن الفرقة والاختلاف هي صفة من صفات المشركين وينهى ويحذر أبناء الأمة من مغبة الوقوع في ذلك فيقول: ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٢٩٧).

---

(٢٩٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ج٢، ص٣١٧ .

(٢٩٤) انظر : في ظلال القرآن، ج٣، ص١٥٢٨، ١٥٢٩ .

(٢٩٥) سورة آل عمران : الآية ١٥٢ .

(٢٩٦) انظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور، م٦، ج١٠، ص٣٠، ٣١ .

(٢٩٧) سورة الروم : الآية ٣١-٣٢ .

فالله عز وجل هو الذي يصف المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، فالشرك ألوان وأنماط كثيرة، منهم من يشركون الجن، ومنهم من يشركون الملائكة، ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين، ومنهم من يشركون الكهان والأحبار، ومنهم من يشركون الأشجار والأحبار، ولا تنتهي أنماط الشرك وأشكاله، وكل حزب منهم بما لديهم فرحون، بينما الدين القيم واحد لا يتبدل ولا يتفرق، ولا يقود أهله إلا إلى الله الواحد [٢٩٨].

رابعاً: تبرؤ رسول الله ﷺ منهم:

فقد برأ الله سبحانه رسول الله ﷺ من أصحاب البدع الذين تفرقوا في دينهم واختلفوا فيما بينهم فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [٢٩٩] فمعنى شيعاً: فرقاً وأحزاباً حيث أوجب الله براءة رسوله ﷺ منهم، أي هؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا لست منهم يا محمد وهم ليسوا منك [٣٠٠].

ويقول الإمام الحافظ ابن كثير ﴿ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً ﴾ هم أصحاب البدع والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه وكانوا شيعاً، أي فرقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فإن الله تعالى قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه [٣٠١].

ورغم هذه التحذيرات الإلهية كلها نجد أمة الإسلام قد اختلفت وتنازعت فضعفت وفشلت وها هي الأمم تتكالب عليها من كل حدب وصوب حتى أصبحت هذه الأمة التي وصفها الله من فوق سبع سموات بأنها خير أمة أخرجت للناس كمّاً مهملاً بين الأمم والشعوب.([٣٠٢])

خامسا: و من صفات جيل النصر أنهم توابون أوابون إلى ربهم عزوجل خاضعين

---

(٢٩٨) انظر : في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، ج٥، ص ٢٧٦٨ .

([٢٩٩]) سورة الأنعام : الآية ١٥٩ .

(٣٠٠) انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٧، ص ١٤٨ .

(٣٠١) انظر : تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ١٩٦ .

[٣٠٢] – الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات (دراسة قرآنية واقعية) بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" د. محمود هاشم عنبر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن مم يميز جيل النصر و التمكين الذي تربى في مدرسة النبي الأمين انه لا يعرف الإصرار على الذنوب و المعاصي بل هو تواب أواب يخاف من ربه و يخشى عاقبة ذنوبه و بذلك ينتصر على نفسه و هولاه و يقبل على رضا ربه و مولاه ، عرف أن النصر على العدو ليس بالعدد و لا بالعدة و إنما هو بالعمل الصالح و تقوى الله تعالى ، فالانتصار للتقوى فإذا غابت التقوى كان الانتصار للأقوى ،

يجب أن يتربى المسلمون على الحذر من معصية الله أكثر مما نحذر من أعداء الله، ويجب أن نخاف المعاصي، والمسالك التي تقرب منها سدا للذريعة وبعدا عن الفتنة واتقاء للشبهة، ونستغفر الله ونذكره كثيرا إذا وقعنا في معصية، فهذه ميزة الصالحين {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ" [آل عمران: ١٣٥]}.

ورحم الله عمر الفاروق – رضي الله عنه – عندما وصى سعد بن أبي وقاص وهو في مسيره إلى حرب الفرس، فقال: «... أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا ولن يسلط علينا وإن أسأنا ، فرب قوم سلط عليم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل – لما عملوا بالمعاصي – كفار المجوس +فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً" [الإسراء: ٥]. وسلوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم...» ([٣٠٣]).

سادسا: أنه جيل ذا أنفة وعزة بإيمانه و انتسابه لدينه

[٣٠٣] –إتمام الوفاء للخضري، ص٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن جيل النصر و التمكين جيل فريد في عزته و كرامته انه جيل يعي أن العزة ليست إلا لله و لرسوله و لعباده المؤمنين فهو يأبى أن يرضخ لكافر بغيض و يترفع أن يذل نفسه لعدو لئيم زاده من مصدر العزة و ينبوع الكرامة انه قول الله تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦المائدة }

يقول السعدي – رحمه الله – ومن صفاتهم أنهم { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله – أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } وقال تعالى: { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.([٣٠٤])

أما جيل الغوغائية الذي استمرئ الذل و الهوان فإننا نشاهد منه اليوم أمام أحداث غزة نصرها الله و سدد رمية أهلها فإنهم يركعون و يسارعون من أجل إرضاء العدو الغاصب الذي يسفك الدماء المسلمة و يستبيح الأعراض المؤمنة وهؤلاء ممن سمى الله تعالى في كتابه يقول الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ

---

[٣٠٤] – تفسير السعدي – (ج ١ / ص ٢٣٥)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) " المائدة "}

أيها المسلمون علموا أن العزة ليست من قبل الشرق و الغرب و إنما مصدرها واحد يقول الواحد – سبحانه و تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠) [فاطر/١٠، ١١]}

يقول الشنقيطي – رحمه الله – بيّن جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة : أنّ من كان يريد العزّة فإنها جميعها لله وحده ، فليطلبها منه وليتسبب لنيلها بطاعته جل وعلا ، فإنّ من أطاعة أعطاه العزّة في الدنيا والآخرة ، أما الذين يعبدون الأصنام لينالوا العزّة بعبادتها ، والذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يبتغون عندهم العزّة ، فإنهم في ضلال وعمى عن الحق ، لأنهم يطلبون العزّة من محلّ الذّل .

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات من كتاب الله تعالى كقوله تعالى : { واتخذوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً } [مريم : ٨١٨٢] وقوله تعالى : { الذين يَتَّخِذُونَ الكافرين أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ المؤمنين أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ العزة فَإِنَّ العزة للَّهِ جَمِيعاً } [النساء : ١٣٩] وقوله تعالى : { وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ العزة للَّهِ جَمِيعاً هُوَ السميع العليم } [يونس : ٦٥] . وقوله تعالى : { يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعز مِنْهَا الأذل وَلِلَّهِ العزة وَلِرَسُولِهِ } [المنافقون : ٨] الآية وقوله تعالى : { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزة عَمَّا يَصِفُونَ } [الصافات : ١٨٠] والعزّة : الغلبة والقوة ، ومنه قول الخنساء :

كأن لم يكونوا حمى يختشى ** إذ الناس إذ ذاك من عزيزا

أي من غلب استلب، ومنه قوله تعالى: { وَعَزَّنِي فِي الخطاب } [ص: ٢٣] أي غلبني وقوي عليّ في الخصومة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقول من قال من أهل العلم: إن معنى الآية: { مَن كَانَ يُرِيدُ العزة } أي يريد أن يعلم لمن العزة، أصوب منه ما ذكرنا . والعلم عند الله تعالى .([٣٠٥])

و تأمل إلى جيل النصر الذي رباه سيد البشر

سابعا: جيل استعلى على شهواته ورغباته

إنه جيل تحرر من جميع الشهوات و النزوات و لم يرض بالرق إلا لرب الأرض و السماوات و تعال لنقارن بين موقف المسلم العزيز بدينه الذي استعلى على شهوات الدنيا و زينتها و بين ما نراه الآن من تكالب على الدنيا و سعيا لتحصيلها ذكر الطبري في تاريخه موقفا من مواقف الرجال هذا نصها:قال كان معه (رستم) ثلاثة وثلاثون فيلا، في القلب ثمانية عشر فيلا ومعه في المجنبتين خمسة عشر فيلا كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن المجالد وسعيد وطلحة وعمرو وزياد قالوا فلما أصبح رستم من ليلته التي باتها بالعتيق أصبح راكبا في خيله فنظر إلى المسلمين ثم صعد نحو القنطرة وقد حزر الناس فوقف بحيالهم دون القنطرة وأرسل إليهم رجلا إن رستم يقول لكم أرسلوا إلينا رجلا نكلمه ويكلمنا وانصرف ...قالوا وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربعي بن عامر وقرفة بن زاهر التيمي ثم الواثلي ومذعور بن عدي العجلي والمضارب بن يزيد العجلي ومعبد بن مرة العجلي وكان من دهاة العرب فقال إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم قالوا جميعا نتبع ما تأمرنا به وننتهي إليه فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس فكلمناهم به فقال سعد هذا فعل الحزمة اذهبوا فتهيؤوا فقال ربعي بن عامر إن الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى نأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فمالؤوه جميعا على ذلك فقال فسرحوني فسرحه فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره فاحتبسه الذين على القنطرة وأرسل إلى رستم لمجيئه فاستشار عظماء أهل فارس فقال ما ترون أنباهي أم نتهاون فأجمع ملؤهم على التهاون فأظهروا الزبرج وبسطوا البسط والنمارق ولم يتركوا شيئا ووضع لرستم سرير الذهب وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربعي يسير على فرس له زباء قصيرة

---

[٣٠٥] – أضواء البيان – (ج ٦ / ص ٤٠١)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معه سيف له مشوف وغمده لفافة ثوب خلق ورمحه معلوب بقد معه حجفة من جلود البقر على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ومعه قوسه ونبله فلما غشي الملك وانتهى إليه وإلى أدنى البسط قيل له انزل فحملها على البساط فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما ثم أدخل الحبل فيهما فلم يستطيعوا أن ينهوه وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا فأراد استحراجهم وعليه درع له كأنها أضاة ويلمقه عباءة بعيره قد جابها وتدرعها وشدها على وسطه بسلب وقد شد رأسه بمعجرته وكان أكثر العرب شعرة ومعجرته نسعة بعيره ولرأسه أربع ضفائر قد قمن قياما كأنهن قرون الوعلة فقالوا ضع سلاحك فقال إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم أنتم دعوتموني فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت فأخبروا رستم فقال ائذنوا له هل هو إلا رجل واحد فأقبل يتوكأ على رمحه وزجه نصل يقارب الخطو ويزج النمارق والبسط فما ترك لهم نمرقة ولا بساطا إلا أفسده وتركه منهتكا مخرقا فلما دنا من رستم تعلق به الحرس وجلس على الأرض وركز رمحه بالبسط فقالوا ما حملك على هذا قال إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه فكلمه فقال ما جاء بكم قال الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله قال وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي فقال رستم قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه

وتنظروا قال نعم كم أحب إليكم أيوما أو يومين قال لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا وأراد مقاربته ومدافعته فقال إن مما سن لنا رسول الله وعمل به أئتمنا ألا نمكن الأعداء من آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل اختر الإسلام وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه وإن كنت إليه محتاجا منعناك أو المنابذة في اليوم الرابع ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا أنا كفيل لك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى قال أسيدهم أنت قال لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم. انتهى كلام الطبري.([٣٠٦])

ثامنا: جيل واثق بنصر الله تعالى له

قال تعالى " وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ " (الروم ٤٧)

و قال تعالى " وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ " (الصافات ١٧٣)

و قال صلى الله عليه وسلم " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها " فكان من ثقة الصحابة الكرام بنصر الله عز و جل يتهمهم المنافقون بالغرور كما قال تعالى " إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (الأنفال ٤٩)

الفصل العاشر

{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}

[٣٠٦] –تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٤ و تاريخ الرسل والملوك – (ج ٢ / ص ٢٦٨)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخي المسلم بعد أن تعرفنا على بعض صفات جيل النصر و التمكين لابد أن نربط على القلوب بكلام علام الغيوب الذي ينزل على القلوب المؤمنة بردا و سلاما و ينزل على القلوب الفاجرة حرقة و عذابا، إنها الآيات البينات و البراهين الساطعات و الحجج الدامغات التي تبشر كل مسلم بأن النصر و التمكين ليس إلا للموحدين و إن اشتد الظلام و علا الغمام و ادلهمت الخطوب و زمجر كل كفار عنيد، فإن الله تعالى وعد وعداً لا شك فيه و امتراء بأن الغلبة لأولياء الرحمن و، فالي إخواني في غزة أهل الصمود و العزة و إلى كل مسلم يلقى من الكفار العنت و التنكيل هذه البشارات و تلك الهبات من رب الأرض و السماوات إنها بشائر و مبشرات للمؤمنين و المؤمنات

البشارة الظاهرة القاهرة:

هذه البشارة الظاهرة لان الله تعالى اخبر فيها بظهور دينه عل جميع الأديان و الملل و النحل و هي قاهرة أيضا لأنها تقهر جحافل الكفر و الشرك قال عز وجل:﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[٣٣]﴾ "سورة التوبة" فإظهار دين الله أمر تكفل به الله سبحانه .

يقول الرازي – رحمه الله– اعلم أن ظهور الشيء على غيره قد يكون بالحجة ، وقد يكون بالكثرة والوفور ، وقد يكون بالغلبة والاستيلاء ، ومعلوم أنه تعالى بشر بذلك ، ولا يجوز أن يبشر إلا بأمر مستقبل غير حاصل ، وظهور هذا الدين بالحجة مقرر معلوم ، فالواجب حمله على الظهور بالغلبة .

فإن قيل : ظاهر قوله : { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ } يقتضي كونه غالباً لكل الأديان ، وليس الأمر كذلك ، فإن الإسلام لم يصر غالباً لسائر الأديان في أرض الهند والصين والروم ، وسائر أراضي الكفرة .

قلنا أجابوا عنه من وجوه :

الوجه الأول : أنه لا دين بخلاف الإسلام إلا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع ، وإن لم يكن كذلك في جميع مواضعهم ، فقهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب ، وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها إلى ناحية الروم والغرب ، وغلبوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجوس على ملكهم ، وغلبوا عباد الأصنام على كثير من بلادهم مما يلي الترك والهند ، وكذلك سائر الأديان . فثبت أن الذي أخبر الله عنه في هذه الآية قد وقع وحصل وكان ذلك إخباراً عن الغيب فكان معجزاً .

الوجه الثاني : في الجواب أن نقول : روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان . وتمام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى ، وقال السدي : ذلك عند خروج المهدي ، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الخراج .

الوجه الثالث : المراد : ليظهر الإسلام على الدين كله في جزيرة العرب ، وقد حصل ذلك فإنه تعالى ما أبقى فيها أحداً من الكفار .

الوجه الرابع : أن المراد من قوله : { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ } أن يوقفه على جميع شرائع الدين ويطلعه عليها بالكلية حتى لا يخفى عليه منها شيء .

الوجه الخامس : أن المراد من قوله : { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ } بالحجة والبيان إلا أن هذا ضعيف؛ لأن هذا وعد بأنه تعالى سيفعله والتقوية بالحجة والبيان كانت حاصلة من أول الأمر ، ويمكن أن يجاب عنه بأن في مبدأ الأمر كثرت الشبهات بسبب ضعف المؤمنين واستيلاء الكفار ، ومنع الكفار سائر الناس من التأمل في تلك الدلائل . أما بعد قوة دولة الإسلام عجزت الكفار فضعفت الشبهات ، فقوي ظهور دلائل الإسلام ، فكان المراد من تلك البشارة هذه الزيادة .([٣٠٧])

بشارة التمكين و ها هي بشارة التمكين و الوعد الصادق الا ليس في شك و لا ريب يقول الله سبحانه :﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ[٥٥]﴾ "سورة النور" } و قد سبق بيان معنى هذه البشارة في صفات جيل النصر

بشارة النصر لمن نصر الله و معنى نصر الله نصر رسله و أوليائه و قام بعبوديته تعالى

---

[٣٠٧] – تفسير الرازي – (ج ٨ / ص ٦)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ[٤٠]الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ[٤١]﴾ "سورة الحج" .

يقول سيد قطب – رحمه الله – فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره . . فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله ، فيستحقون نصر الله ، القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه؟ إنهم هؤلاء :

{ الذين إن مكناهم في الأرض } . . فحققنا لهم النصر ، وثبتنا لهم الأمر . . { أقاموا الصلاة } . . فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به ، واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين . . { وآتوا الزكاة } . . فأدوا حق المال ، وانتصروا على شح النفس ، وتطهروا من الحرص ، وغلبوا وسوسة الشيطان ، وسدوا خلة الجماعة ، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج ، وحققوا لها صفة الجسم الحي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . { وأمروا بالمعروف } . . فدعوا إلى الخير والصلاح ، ودفعوا إليه الناس . . { ونهوا عن المنكر } . . فقاوموا الشر والفساد ، وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره ، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه .([٣٠٨])

و مثلها قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ[٧]﴾ "سورة محمد"

بشارة أحقية النصر والتمكين و هذه البشارة بالنصر و التمكين انما خصها الله تعالى لطائفة من خلقه ألا وهم المؤمنون الصادقون وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[٤٧]﴾ "سورة الروم"

---

[٣٠٨] – في ظلال القرآن – (ج ٥ / ص ٢٠١)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البشارة بخلافة على منهاج النبوة

عن النعمان بن بشير قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ] ([٣٠٩])رواه أحمد .

أبو قبيل قال كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي : وسئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية فدعا عبد الله بصندوق له حلق قال فاخرج منه كتابا قال فقال عبد الله بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه و سلم نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم أي المدينتين تفتح أولا قسطنطينية أو رومية فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم مدينة هرقل تفتح أولا يعني قسطنطينية ([٣١٠])

وقد تحقق الفتح الأول على يد الخليفة العثماني محمد الفاتح رحمه الله، وذلك عام ثلاثة وخمسين وأربعمائة وألف للميلاد أي بعد تقريبا: ثماني مائة سنة من وعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن ننتظر الآن صدق الوعد الآخر سقوط روما بفضل الله ومشيئته، وهذا وعد منه صلى الله عليه وآله وسلم لابد صائب بمشيئة الله .

عن ثوبان قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم

---

[٣٠٩] –أخرجه أحمد ح ٨٩٦٠ ز البزار ح **٢٧٩٦** السلسلة الصحيحة – ح ٥

[٣١٠] _أخرجه احمد ح ٦٦٤٥ و الدارمي ح ٤٨٦ و ابن أبي شيبة ح **١٩٨١١** و الحاكم في المستدرك ح **٨٦٦٢** و السلسلة الصحيحة – مختصرة –ح ٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها – أو قال من بين أقطارها – حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا ([٣١١])

يقول النووي — رحمه الله –

أما (زوي) فمعناه جمع ، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة ، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به صلى الله عليه وسلم قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب والفضة ، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام . فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب ، وهكذا وقع . وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب ، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيستبيح بيضتهم)

أي جماعتهم وأصلهم ، والبيضة أيضا العز والملك .([٣١٢])

عن تميم الداري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر وكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية([٣١٣])

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ([٣١٤])

---

[٣١١] – أخرجه مسلم ح ٢٨٨٩ و الترمذي ح ٢١٧٦

[٣١٢] – شرح النووي على مسلم – (ج ٩ / ص ٢٦٨)

[٣١٣] – أخرجه احمد ح ١٦٩٩٨وقال شعيب الارنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم

[٣١٤] – أخرجه مسلم ح ٢٩٢٢ و احمد ح ٩٣٨٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول ابن بطال – رحمه الله – قال المهلب: في هذا الحديث دليل على ظهور الآيات بتكلم الجماد وما شاكله عند نزول عيسى ابن مريم الذي يستأصل الدجال واليهود معه.

وفيه دليل على بقاء دين محمد ودعوته بعد نزول عيسى ابن مريم لقوله: « تقاتلوا » ولا يكونوا مخاطبين بالقتال إلا وهم على دينهم لجواز علم النبي – – صلى الله عليه وسلم – – أن الذين يقاتلون الدجال غير من يخاطب بالحضرة، لكن خاطب من بالحضرة لمجيء من بعدهم على مذهبهم، وهذا فى كتاب الله كثير خاطب من الحضرة ما يلزم الغائبين الذين لم يخلقوا بعد.

وفيه جواز مخاطبة من لا يسمع الخطاب، ومخاطبة من قد يجوز منه الاستماع يومًا ما.([٣١٥])

عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض وهو يشك في السادسة قال فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ([٣١٦])

الفصل الحادي عشر

لحن الخلود و دم الشهيد

[٣١٥] – شرح ابن بطال – (ج ٩ / ص ١٣٨)

[٣١٦] – أخرجه احمد ح ٢١٢٥٨ و البيهقي في شعب الإيمان ح ٦٨٣٣و الحاكم في المستدرك ح ٧٨٦٢ وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (ج ١ / ص ٦) صحيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَدْ حَصْحَصَ الْحَقّ لا سِلمٌ ولا كَلِمٌ

يَكفي الْقَوَافي وَيَكْفي حِينَ أُلْقِيهَا ** أَنّي إلَى ثالِثِ البَيْتَيْنِ أُهْدِيهَا

قَلبِي يَتُوقُ إلى تِلْكَ الْبِقَاعِ بِهَا ** صَلى الرّسُولُ وَأُسرِيَ من نَوَاحِيها

وَالْمُرْسلونَ لَهُمْ ذِكرٌ وَسَابِقَةٌ ** صَلّى بِهِمْ مُنْقِذُ الدّنْيَا وَهَادِيهَا

كَانَتْ فِلَسْطِينُ بِالأَخْيَارِ حافِلَةً ** وَاليَومَ أنْذَالُ صُهيونٍ تُرَدّيهَا

كَانَتْ تُعَانِقُ أَمْجَادًا إذا ذُكِرَتْ ** حَنّ الفُؤَادُ وَفَاضَتْ عَينُ بَاكِيهَا

وَاللهِ لَوْ كَانَ فِينا مِثْلُ مُعْتَصِمٍ ** لَمَا تربّع شارون عَالِيهَا

وَلو رَأَى عُمَرُ الْفَارُوقُ ذِلّتَنَا ** لَعبّأَ الجَيْشَ يَرْعَاهَا وَيَحْمِيهَا

وَلَوْ رَآنَا صَلاحُ الدّينِ في خَوَرٍ ** لَجَرّدَ السّيفَ يَفري مَنْ يُعَادِيهَا

مِنْ أَينَ يَهْنَؤُنَا عَيْشٌ وَعَافِيَةٌ ** وَفِي فِلِسْطينَ آلامٌ تُعَنّيهَا؟!!

مَعَاوِلُ الْهَدْمِ فِي أَرْجائِهَا عَمِلَتْ ** هَدْمًا وَنَسْفًا وَتَخْرِيبًا وتشْوِيها

حوادِثٌ يَسْتَدِرّ الدّمْعَ مَنظرُهَا ** وَيَصْرِفُ النّفْسَ عَنْ أَحْلى أَمانِيهَا

هَلْ مِنْ غَيُورٍ على الإسلامِ يُعْلِنُهَا ** حَرْبًا ضرُوسًا وَقُودُ الدّين يُذْكيهَا

هَلْ من مُحبّ لأَرضِ القُدسِ يَنْثُرُ في ** رُبُوعِها مِنْ صُنُوفِ الْوَرْدِ زَاهِيهَا

قَدْ حَصْحَصَ الْحَقّ لا سِلمٌ ولا كَلِمٌ ** مَعَ اليهودِ وقدْ أبدَتْ عَوَادِيهَا

قَدْ حَصْحَصَ الْحَقّ لا قولٌ وَلا عَمَلٌ ** وَلا مَوَاثِيقُ صِدْقٍ عِنْدَ دَاعِيهَا

أَينَ السّلامُ الّذِي نَادَتْ مَحافِلُكُمْ ** أَيْنَ الشّعَارَاتُ يَا مَنْ بَاتَ يُطْرِيهَا

أَيْنَ الْمَوَاثِيقُ بَلْ أَيْنَ الْوُعُودُ وَمَا ** قَالَتْهُ مَدْرِيدُ في أيّامِ مَاضِيهَا؟!

تآمُرٌ ليسَ تَخْفانَا غَوَائِلُه ** وَفِتنةٌ نَتوَارَى من أَفَاعِيهَا

بُشْرَاكَ يَا أَيّهَا الأقصَى بِمَوْعِدَةٍ ** قَدْ قَالَهَا المُصْطَفَى واللهِ مُجْرِيها

بُشْرَاكَ صَحْوَتُنا شَعّتْ طَلائِعُهَا ** وَلاحَ في الأُفْقِ يَحْدُونَا مُنَادِيها

شبَابُنَا لأصُولِ الدّين قَدْ رَجَعوا ** بِعَزْمَةِ الحَقّ مَا كفّتْ غوَادِيها

أَبْصارُهُمْ نَحْوَ بَيْتِ اللهِ شاخِصَةٌ ** وَقُوّةُ الدّينِ مَا اهْتَزّتْ رَوَاسيهَا

بَشّرْ زَبانِيةَ اللّيكُودِ أَنّ لَهُمْ ** يَوْمًا عَبُوسًا سَيَنْعي فِيهِ نَاعِيهَا

لا وَعْدُ بِلْفُورَ يَبْقَى ذِكْرُهُ أَبَدًا ** وَلا لَقِيطُ يَهُودٍ في مَبَانِيهَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَنْ تَسْتَمِرّ يَهُودُ فِي غِوَايَتِهَا ** وَسَوفَ يُجْتَثّ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

الشهيد

شعر / سيد عبد الحليم الشوربجي

طريقك مفروش بتبر ([٣١٧]) وعسجد ([٣١٨]) وفل وريحان ومجد وسؤدد

فأقبل ولا تخشى الملامة والردى ** فأنت طريق المجد في الزمن الردى

وأنت طريق الحق إن جنحت بنا ** دروب الهوى خلف الطريق المعقد

فأقبل فإن المجد عزم وهمة ** ونفس تضحى بالنفيس وتفتدي

واقبل لا تصغى لقولة يائس ** ولا رأى مفتون بغرب ملحداً

وعلم يهود الغدر كيف نذيقهم ** كؤوس المنايا عند صولة منجد

ألا أيها الشهم الشهيد قد انجلت ** سحائب ظلم عند موتك فاسعد

وهذى فلول الغدر جرت ذيولها ** تنكس أعلاماً وتكسى بأسود

تلملم أشلاء الضحايا وقد وعت ** بأنك أقوى من لهيب وموقد

وهذى جنان الخلد تفتح بابها ** فأقبل بعزم ثم لا تتردد

يقولون عنك إن هذا تهور ** ونقض لميثاق وخلف لموعد

وازهاق نفس ثم هتك محارم ** فوا عجباً هل من يؤمن معتدى

وكيف بأطفال أميتوا فظاعة ** وأم تداس تحت أقدام عربد

وشيخ دوى صوت الرصاص برأسه ** فأرداه مقتولاً بليل مسرمد

وكيف ببيتا كان بالأهل عامرا ** فصار رماداً من قذائف مفسد

وكيف نعيد للضحايا حقوقهم ** وكيف نرد الحق من يد جلمد ([٣١٩])

وقل لدعاة السلم دعكم فإنني ** سأحمل روحي فوق كفي وأفتدي

سأنزع خوفاً صار ملء قلوبنا ** وعند وفاتي سوف يكتب مولدي

سأبذل روحي حين يطلبها الردى ** فداء لديني وانتقاماً لمسجدي

تظنون أني يائس من حياتكم ** فكيف يطيب العيش والذل مرقدي ؟!

---

٣١٧ _ تبر فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ

٣١٨ _ العسجد : الذهب

٣١٩ _ جلمد : الصخر والرجم الشديد

نساق كقطعان الشياة إلى الردى** وإن نطلب الإنصاف ننفى ونطرد

وكيف بميزان العدالة أطرد **وأترك بيتاً كان عزي وملتدي ؟!([٣٢٠])

فأين دعاه العدل ؟! أسرق عنوة ** ويوضع غل حول عنقي وفي يدي

وحين أذود عن بلادي وموطني ** يقولون إرهاب وتخريب مفسد ! !

فلسطين يا أرض الشهامة والندى **فداؤك نفسي كي تعودى وتسعدى

فها هم بنوك صاروا رمزاً وقصة ** يعيدون مجداً سوف يكتب في غد

يعيدون للأقصى الكرامة بعدما ** تدنس حيناً من يهود ومعتدي

دم الشهداء[٣٢١]

شعر / عاطف عكاشة السيد

دم الشهداء يدعوني تعالا **ودع عنك التشدق والجدالا

فإني ما اشكو إليك همي** لتملأ مسمعي قيلا وقالا

لسان العرب أشبعني كلاما **ولست أريد من أحد مقالاً

أريد جيوشكم تأتي لنصرى **وتمنحني المهابة والجلال

فلا تقل الطريق إليك وعر ** وتنتحل المعاذير انتحالاً

بدونك لن يفارقني يهود ** يرون بشرعهم سفكي حلالاً

فبادر بالمجيء فـــــــــإن **جـــحيم عذابه فاق الخيالا

ستلقاني مراقاً فوق أرضي **وقد صال العدو بها وجالا

وفي الطرقات تلقاني بحاراً ** لمن يمشون لم أترك مجالاً

على الجدران أصرخ في جنون **لماذا أمتي تأبى النزالا

أليس بأمه التوحيد جند **يصدون السفاهة والضلالا

أليس المسجد الأقصى لدينا **جدير أن نشد له الرحالا

ونملأ حوله الدنيا عتاداً ** وتنتقل الجيوش له انتقالاً

أنختار القعود بغير عذر **ونطمع من عدو أن ندالا

---

[٣٢٠] –تاج العروس – (ج ١ / ص ٢٢٥٤) مُلْتَدٌّ أي بُدٌّ

[٣٢١] _ مجلة الوعي الإسلامي عدد ربيع ثاني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خلاص المسجد الأقصى محال ** بلا لهب القذائف أن ينالا

فإن أبت العزائم خوض حرب **فلا تبغوا لعزتكم نوالا

فليس العز في الدنيا بثوب **لمن تأبى نفوسهم النضالا

فهيا يا أخي أنصرني بفعل **ودع عنك التخاذل والمطالا

ولا تجلس لتمشي تحت نعشي ** وتشدني مراثيك الطوالا

لقيت من اليهود أشد سفك **وألقى من تقاعسك الخبالا

مسالمة اليهود غدت محالاً **فهل درب الجهاد غدا محالاً

* أين الشهادة أهل الله تطلبها *

شعر / عبد السلام كامل عبد السلام [٣٢٢]

ماذا يقلبك من هم ومن قلق ** وما بعينيك من سهد [٣٢٣] ومن أرق

رأيت وجهك قد غاض البهاء به ** وغاب عنه رواء اللون في الحدق

أفضت لأذنى أصوات مروعة**يا ليتها صمتت عن نبرة الفرق

لكنها ملئت بالخوف أحرفها **والضيق والرعب والحرمان والملق [٣٢٤]

يا من يصوغ لنا الأيام ثانية** فيها " صلاح " حساما باسل الخلق

الله أكبر يعلو صوتها غرداً ** يربى صداها صروح الليل والغسق

الله أكبر لا التواء به **منها تخر جيوش الفسق والنزق [٣٢٥]

أين الشهادة أهل الله تطلبها ** بل أين قاصدها في الموضع الزلق

داسوا الحياة وظنوا أنها عبث ** وأن طالبها في الحق في زهق

راموا الخلود وطاروا للرد زمراً ** واستسهلوا الموت ما أبقوا على رمق

أبناء يعرب ماذا بعد يجعلكم **تستأنسون بهذا الزيف والخرق ؟

مالي أراكم على حال ممزقة ** مثل البغاث[٣٢٦]وطير البوم في نعق

---

[٣٢٢] – مجلة منار الإسلام ع ذو القعدة ١٤٢٠ ص ٦٩

[٣٢٣] – السهد : من اليقظة والحذر ، وتسهد : أرق

[٣٢٤] – الملق : الفقر

[٣٢٥] – النزق : الخفة والطيش

[٣٢٦] – البغاث طائر أبغث اللون أصغر من الرخم بطئ الطيران

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مالي أراكم كأن ما كان ديدننا ** صدق اللقاء ونبذ العين والورق

إنا انطلقنا وقد عادت طلائعنا ** تبغي الشهادة والرضوان في لصق

نبغي نعيد لهذا الدين رونقة ** حتى يكون له الإكبار في الأفق

أو باطن الأرض مثوانا وموئلنا ** ما قيمة العيش في دنيا بلا نسق ؟

درس تلاه لنا الأبطال من قدم ** أبناء مؤته واليرموك ذو ألق

أبنا مصعب المذكور سيرته ** وأبى دجانة ساقى السيف من فسق

وابن الوليد سيوف الله تتبعه ** والنصر تصنعه الأبطال في سبق

إنا انطلقنا فهل من تابع حذق ** يقضو خطا سابق للمجد ذى حذق

شهيد الفدائية

شعر : احمد حمدي والي ([٣٢٧])

وهبت الروح يا بن الأكرمينا ** وسطرت العلا صرحاً متيناً

فعشت على الشهادة في أباء ** ومت وأنت لا تحنى الجبينا

فلم ترهب أساليب المنايا ** ولم ترهب صراخاً أو أنيناً

أذقت الكفر كأساً من هوان ** فصاروا كالنعام مهروليناً

رأيت أخاك يقتل من رصاص ** وراح الوغد يذبح ذا الجبينا

وأختك يستباح العرض منها ** وقومك في الديار مشتتينا

فأقسمت اليمين بأن ثأراً ** سيوقف مدفع الكفر اللعينا

خرجت من الدنايا في شموخ ** وودعت الأحبة والعرينا

وأمك بالحزام تلف صدراً ** كتاب الله له معينا

وتخرج والإله عليك يرضى ** تفجر منبع الطهر الأمينا

هنيئاً يا حبيب الله عرس ** لدى الجنات بين المؤمنينا

الشـهيد

الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان

---

[٣٢٧] – مجلة الأزهر ع ذو القعدة ١٤٢٢ ص ١٩٦٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العالـــــــم يحـــــــكمه الـــــــشيطان

ويـــــــعربد فـــــــيه صـــــــنائـــعه

فـــــــرعون وقـــــــارون وهـــــــامان

عـــزمات شـــهيد تحـــرسنا ** وتـــقود الـــزورق للـــشطآن

عـــبس الخـــطب فابـــتسم ** واطـــــــغى الهول فاقتحم

رابـــــــط الـــجأش والنـــهى ** ثـــابت الـــقلب والـــقدم

لـــــم يـــبال الأذى ولـــم ** يـــشنه طـــارئ الألـــم

نـــفسه طـــوع هـــمة ** وجـــمت دونـــها الـــهمم

تلـــتقى فـــي مـــزاجها ** بـــالأعاصـــير والـــحمم

تـــجمع الـــهائج الخـــضم ** إلـــى لـــراسخ الأشـــم

وهـــي مـــن عـــنصر الفداء ** لـــفحها حـــرر الأمـــم

ســـار فـــي مـــنهج العلا ** يـــطرق الـــخلد مـــنزلاً

لا يـــبالـــى مـــكبلا ** نـــالـــه أو مـــجدلا

فـــهو رهـــن بمـــا عـــزم

ربـــما غـــالـــه الـــردى ** وهـــو بـــالسجـــن مـــرتـــهن

لـــم يـــشيع بدمعة ** مـــن حـــبيب ولا ســـكن

ربـــما أدرج الـــتراب ** سلـــيـــباً مـــن الـــكفن

لـــست تـــدرى بـــطاحها ** غـــيـــبته أم الـــقنن [1]

لا تـــقل أيـــن جـــسمه ** واســـمه فـــي فـــم الزمن

إنـــه كـــوكـــب الهدى ** لاح فـــي غـــيهب الـــمحن

أرســـل النور في العيون ** فـــلما تـــعرف الـــوسن [2]

ورقـــى الـــنار فـــي الـــقلوب ** فـــما تـــعرف الـــضغن

أي وجـــه تـــهـــللاً ** يـــرد الـــموت مـــقبلاً

صـــعد الـــروح مرسلاً ** لـــحنة يـــنشد الـــملا

إنـــا لـــله والـــوطن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المراجع

كتب التفسير

١- أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- في ظلال القران لسيد قطب

٣- تفسير ابن كثير

٤- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي

٥- الجامع لأحكام القران للقرطبي

٦- التحرير والتنوير لابن عاشور

٧- روح المعاني للألوسي

٨- تفسير السعدي

٩- فتح القدير للشوكاني

١٠- تفسير الطبري

١١- تفسير الشيخ الشعراوي

١٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل

كتب السنة

١٣- -صحيح البخاري

١٤- صحيح مسلم

١٥- -سنن أبي داود

١٦- -سنن النسائي

١٧- -سنن ابن ماجة

١٨- -مس الإمام احمد

١٩- -سنن سعيد بن منصور

٢٠- أرواء الغليل / للألباني .

٢١- الجامع الصغير وزيادته/ للألباني.

٢٢- صحيح الترغيب والترهيب / للألباني.

٢٣- ضعيف الترغيب والترهيب/ للألباني.

٢٤- السلسلة الصحيحة / للألباني.

٢٥- السلسلة الضعيفة / للألباني.

٢٦- ضعيف الأدب المفرد / للألباني.

٢٧- صحيح الأدب المفرد / للألباني.

٢٨- صحيح أبي داود / للألباني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٩- صحيح ابن ماجة /للألباني.

٣٠- صحيح النسائي / للألباني.

٣١- -مشكاة المصابيح /للألباني

ثالثا كتب الشروح

٤٥-فتح الباري بشرح صحيح البخاري /لابن حجر العسقلاني

٣٢- شرح صحيح مسلم / للنووي

٣٣- - شرح صحيح مسلم /للإمام السيوطي

٣٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير / لعبد الرؤوف المناوي

٣٥- شرح صحيح البخاري/ لابن بطال

٣٦- شرح صحيح البخاري / لابن رجب الحنبلي

٣٧- شرح السنة للبغوي

٣٨- الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة لعدنان عبد الرحمن أبو عامر

٣٩- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، اتفاقيات الهدنة العربية الإسرائيلية، .

٤٠- صالح، حسن، فلسطين: الجغرافيا والديموغرافيا ،شؤون عربية جامعة الدول العربية تونس ،العدد٦٠،ديسمبر ١٩٨٩ ،ص٧.

٤١- هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية ،بيروت ، ط١، ١٩٨٥ ، ج٣ص٣٩٠

٤٢- . المكتب المركزي للإحصاء الإسرائيلي، ١٩٨٩ .

٤٣- الحمد، جواد ، تحرير ، المدخل إلى القضية الفلسطينية ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، عمان ،

٤٤- رافق ، عبد الكريم ، فلسطين في عهد العثمانيين ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، ج٢، ص٧١٧ .

٤٥- " الفوائد للجرجاني

٤٦- حلية الأولياء لأبي نعيم

٤٧- تاريخ دمشق لابن عساكر

٤٨- فضائل الشام للألباني

٤٩- - لطائف المعارف،لابن رجب

٥٠- السيرة لابن هشام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥١- القواصم من العواصم،

٥٢- استخلاف أبو بكر الصديق، جمال عبد الهادي

٥٣- دلائل النبوة للبيهقي

٥٤- أبو بكر رجل الدولة، مجدي حمدي،

٥٥- التاريخ الإسلامي للذهبي

٥٦- الخلافة والخلفاء، البهنساوي،

٥٧- مشاهير أعلام المسلمين

٥٨- الكامل في التاريخ لابن عدي

٥٩- المعجب في تلخيص أخبار المغرب

٦٠- صفة جزيرة الأندلس

٦١- البداية والنهاية

٦٢- دولة السلاجقة د/علي الصلابي

٦٣- دولة المرابطين د/على الصلابي

٦٤- تاريخ قضاه الأندلس

٦٥- ظاهرة الإرجاء لسفر بن عبد الرحمن

٦٦- حول التفسير الإسلامي للتاريخ محمد قطب

٦٧- الفوائد ،لابن القيم

٦٨- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم

٦٩- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم

٧٠- – مدارج السالكين لابن القيم

٧١- أحكام أهل الذمة" لابن القيم

٧٢- مجلة البيان —

٧٣- مجلة الرسالة

٧٤- التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧٥- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد" للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:

٧٦- أسباب النـزول" للواحدي

٧٧- الولاء والبراء للقحطاني

٧٨-) الزهد لابن المبارك

٧٩- طبقات الحنابلة. ابن أبي يعلى

٨٠- ترتيب المدارك للقاضي عياض

٨١- طبقات الشافعية للسبكي

٨٢- " رسالة الأمر بالمعروف لابن تيمية

٨٣- المحلى": لابن حزم

٨٤- "الإيمان" لابن تيمية

٨٥- "فتاوى ابن تيمية

٨٦- التطور والثبات في حياة البشرية" للأستاذ محمد قطب

٨٧- عوامل النصر والتمكين في دعوة المرسلين لأحمد بن حمدان بن محمد الشهري

٨٨- الطبقان لأبن سعد

٨٩- سير الخلفاء للذهبي

٩٠- الإذاعة بمفاسد الخروج على ولاة الأمر والجماعة للمؤلف

٩١- الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات (دراسة قرآنية واقعية) بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" د. محمود هاشم عنبر

٩٢- إتمام الوفاء للخضري

الفهرس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدمة ٤
الفصل الأول: قطاع غزة: لمحة جغرافية وتاريخية ؟..... ٨
الآثار المترتبة على احتلال قطاع غزة: ١٤
الفصل الثاني لن ينكسر أهل الشام وإن تكالب عليهم اللئام ١٨
الفصل الثالث: أزمة أمة ٢٢
الأزمة الكبرى موت النبي – صلى الله عليه وسلم ٢٢
ثالثاً: سقيفة بني ساعدة: ٢٥
صلاح الدين وتحرير بيت المقدس ٢٧
معركة حطين ٢٧
من مواقف صلاح الدين ٢٨
تحرير القدس ٢٩
يوسف بن تاشفين وانتصاره في " لزلاقة " في الأندلس ٣١
الفصل الرابع: سنن: الابتلاء، التمحيص، التمكين ٣٧
الموقف الأول: موقف المنافقين والمرجفين..... ٥٢
الموقف الثاني: موقف اليائسين والمحبَطين والخائفين..... ٥٤
الموقف الثالث: موقف المسايرين للواقع أهل الحلول الوسط ٥٤
الموقف الرابع: موقف المتعجلين المغيِّرين بالقوة: ٥٥
الفصل الخامس: إحياء روح الجهاد في سبيل الله ٥٩
أنواع الجهاد في سبيل الله سوى القتال ٦٤
النوع الأول الجهاد بالمال ٦٤
لنوع الثاني جهاد النفس ٦٨
النوع الثالث: جهاد الشيطان ٧١
النوع الرابع جهاد المنافقين ٧٢
الفصل السادس: شهداء غزة زيادة في رصيد أهل العزة ٧٥
جوائز الشهداء ٨٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ٧٨
فضل من اغبرت قدمه في سبيل الله ٨٦
الفصل السابع: هزت غزة أحيت عقيدة الولاء والبراء في الأمة ٨٨
آثار التطبيع على مصر ٨٨
١-إفساد الدين ٨٨
٢-التجسس ٨٩
٣-إفساد الاقتصاد ٨٩
٤-ترويج المخدرات..... ٩٠
٥-إفساد المزروعات ٩٠
٦-إفساد الثروة الحيوانية ٩١
٧-تلويث الشواطئ ٩١
٨-نشر مرض الإيدز ٩٢
صور من الولاء والبراء ١٠٠
الفصل الثامن: هزت غزة هزت إعداد وعدة
.....١١٩
الفصل التاسع: مؤهلات جيل النصر ١٣٣
الإيمان العميق الذي تخلل القلوب والجوارح ١٣٣
ثانيا تعظيمهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ١٣٥
ثالثا: الصدق مع الله تعالى في جميع الأقوال والأعمال ١٣٧
حرص النبي ﷺ على التخفف من الدنيا ١٤٢
رابعا: جيل متماسك حرص على الاجتماع والوحدة ونبذ الخلاف ١٤٨
أولاً: الامتثال لأمر الله..... ١٥٠
ثانياً: الهداية إلى صراط الله المستقيم.....١٥١
ثالثاً: الدخول في رحمة الله ونيل فضله وهدايته: ١٥٢
رابعاً: استحقاق معية المؤمنين ومرافقتهم في الدارين: ١٥١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيا: ويلات الفرقة والاختلاف: ١٥٥
خامسا من صفات جيل النصر أنهم توابون أوابون إلى ربهم خاضعين ١٥١
ساديا أنه جيل ذا أنفة وعزة بإيمانه وانتسابه لدينه ١٥٢
سابعا: جيل استعلى على شهواته ورغباته ١٥٥
ثامنا جيل واثق بنصر الله تعالى له ١٥٧
الفصل العاشر: كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ١٦٤
الفصل الحادي عشر: لحن الخلود و دم الشهيد ١٧٠
المراجع ١٧٧
الفهرس ١٨١